تحولات المركز والهامش

أوروبا الوسيطية
في المصادر الإسلامية



د. يوسف المساتي

تحولات المركز والهامش
أوروبا الوسيطية في المصادر الإسلامية

د. يوسف المساتي

الطبعة الأولى

١٤٤٦/ ٢٠٢٥

الكتاب : تحولات المركز والهامش أوروبا الوسيطية في المصادر الإسلامية

المؤلف: د. يوسف المساتي

الناشر: دار النابغة للنشر والتوزيع

المقاس: ١٧*٢٤

رقم الإيداع:٣١٣٢٨ / ٢٠٢٤

الترقيم الدولي:٤ / ٥٩٢/ ٧٩٩/ ٩٧٧/ ٩٧٨

١- تحولات المركز والهامش ٢- أوروبا الوسيطية

٣- المصادر الإسلامية

دار النابغة للنشر والتوزيع

طنطا- سبرباى – أمام مجمع كليات جامعة طنطا

ت : ٠٤٠٣٤٥١٣٥١ – ٠٠٢٠١٠٦٤١٠٤٥٦١

darelnapegha@yahoo.com

تحولات المركز والهامش

أوروبا الوسيطية
في المصادر الإسلامية

د. يوسف المساتي

الإهداء..

إلى والدي الذي لم يمهله القدر البقاء بيننا

وأمي التي حفرت على جدار الزمن سيرتها

وإلى الذين كانوا بجانبي في لحظات المحن والاختبار

والتيه ومن آمنوا بي في أشد اللحظات سوادا

إليكم جميعا أهدي أول أعمالي

مقدمة عامة

هل ولدت أوروبا في العصر الوسيط؟ كانت هذه الجملة عنوان كتاب صدر سنة ٢٠٠٣ للمؤرخ الفرنسي جاك لوغوف، والذي سعى فيه منذ البداية إلى إبراز أن العصور الوسطى لم تكن فقط مرحلة انتقالية بين العصور القديمة والحديثة، بل كانت لحظة مفصلية بدأت فيها أوروبا تشيد هويتها الخاصة متجاوزة الإرث اليوناني والروماني، ومؤسسة لكيان جديد متمايز ثقافيا وسياسيا وهو ما سيحدد ملامح أوروبا التي نعرفها اليوم.

ولا يتوانى لوغوف الكشف عن توجهه العام الهادف إلى تأكيد أن فكرة الاتحاد الأوروبي، ليست وليدة منتصف القرن العشرين، بل تجد جذورها في أوروبا الوسيطية، وهو ما أعلن عنه صراحة في موضع آخر بالقول أن: """الانخراط الملتزم في عملية تشييد أوروبا يجب أن يتم في إطار معرفة عميقة بالماضي ونظرة استشرافية للمستقبل""[1]، أي أن استدعاء هذا الماضي اليوم يشكل جزءًا من مشروع تعزيز الهوية الأوروبية الموحدة.

وبالتالي، فإن إعادة تفسير التاريخ الأوروبي في العصور الوسطى ليست مجرد عملية أكاديمية، بل هو جزء من مشروع سياسي أكبر يهدف إلى تعزيز الفكرة القائلة بأن الاتحاد الأوروبي هو تتويج لمسار تاريخي طويل بدأ منذ العصور الوسطى، ولهذا استعمل مصطلح "ولادة" الذي يحمل في طياته دلالات عميقة تتجاوز التفسير الكرونولوجي البسيط، إذ لا يقصد به ظهور كيان/ كيانات جغرافية أو سياسية فقط، بل عملية طويلة ومعقدة تشمل التكوين الثقافي، الاجتماعي، والديني، أو لنقل تلك اللحظة المفصلية التي بدأت فيها القيم الأوروبية بالتمايز عن غيرها.

---

(١)- جاك لوغوف، "هل ولدت أوروبا في العصر الوسيط"، ترجمة محمد حناوي ويوسف نكادي، مطبعة مفكر، وجدة المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠١٥، ص ١٠.

وبهذا يتحول التاريخ من توثيق الماضي من أجل فهمه إلى أداة تستعمل لتعزيز الهوية/ الهويات الأوروبية المعاصرة، ويعلن لوغوف صراحة أن التاريخ هو أساس الهوية الأوروبية، وأنها بدون تاريخ مشترك ستفقد شرعيتها وهويتها، ف"أوربا بدون تاريخ ستكون يتيمة وبئيسة، لأن اليوم يخرج من الأمس، والغد ينبثق من الماضي"(1).

ومرد ذلك أن التاريخ ليس مجرد سرد للأحداث، بل هو معرفة أي سلطة (كما وضح ذلك فوكو ودريدا وغيرهما) تشكل وعي المجتمعات بذاتها وبالآخر، فإن الكتابة التاريخية تتجاوز كونها مجرد توثيق للأحداث، بل تصبح أداة للهيمنة السلطوية –استعمارية كانت أو غيرها–، من خلال التركيز على بعض السرديات وتغييب أخرى، فتُعيد بذلك الكتابة التاريخية تشكيل الوعي الجماعي وتُحدّد ما يُعتبر "حقيقة" أو "محددا".

لهذا فإن فكرة جاك لوغوف أحد أعمدة مدرسة الحوليات التاريخية (إلى جانب بروديل وآخرون)(2) ليست جديدة، فآباء التاريخ الكولونيالي اعتمدوا على التاريخ من أجل إضفاء الشرعية على الحملات الاستعمارية، وعصر النهضة اعتمد على التراث اليوناني الروماني وغيرهم كثير، هي عملية مستمرة ومتجددة، عبر خلق سرديات وتهميش أخرى وتزييف ثالثة، خدمة "لحقيقة" معينة.

وإذا كان الاستعمار المباشر قد انتهى، فإن أشكاله الأخرى مستمرة، ومن بينها استعمار الوعي التاريخي وتزييفه، من هنا يصبح أحد أدوات التحرير هو "نزع الشرعية" عن السرديات التاريخية الكبرى، وتفكيكها، والاتجاه صوب الهامش أو

(1)– جاك لوغوف، "هل ولدت أوروبا في العصر الوسيط"، ترجمة محمد حناوي ويوسف نكادي، مطبعة مفكر، وجدة المغرب، الطبعة الأولى، 2015، ص 10

(2)– رغم أن مدرسة الحوليات شكلت فتحا جديدا في العلوم التاريخية، وأسهمت في تطوير مناهجه إلى حد كبير، إلا أن علاقتها بالتصورات والمنطلقات الكولونيالية، لم توضع على محك النقد، إذ أعتقد أنها وعلى تطورها المنهجي لم تكن سوى وجه آخر من أوجه الكولونيالية، أو مركزية الرجل الأوروبي.

التابع (بتعبير مدرسة "دراسات التابع الهندية") أو صوب ذاكرة وتاريخ عادلين، لرد الاعتبار إلى ما تم نسيانه وتزييفه وتعيد تركيب التاريخ من جديد.

في هذا السياق، فسيكون سؤال لوغوف هو المنطلق لهذا الكتاب أيضا، من خلال طرح السؤال هل وجدت أوروبا الوسيطية؟ وبما أن لوغوف أكد أن العصر الوسيط عرف تفعيل مقولة التقابل بين الشرق والغرب، فسيكون من المشروع رصد تقابل الشرق والغرب، والبحث عن الوجود الأوروبي في المصادر الشرقية أو بتعبير أدق العربية الإسلامية، عبر دراسة حضور الإثنيات والجغرافية الأوروبية في المصادر العربية الإسلامية خلال العصر الوسيط، وتحديدا من القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي إلى القرن العاشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، تاريخ التحول الجذري في موازين القوى، وظهور السرديات التاريخية الكبرى.

يهدف هذا المشروع إذا إلى تتبع التطور التاريخي والجغرافي للإثنيات والجغرافية (أو الجغرافيات) "الأوروبية" في هذه المصادر، ومحاولة الوقوف على مكامن الخلل في السردية الرسمية، والتناقض بين ما تقدمه هذه المصادر والجغرافية الحالية، وفهم القطائع والاستمراريات في هذا التاريخ الممتد على عشرة قرون، وهي عملية طويلة يستحيل معها الوصول إلى نتائج سريعة قدر ما تتطلب التراكم والاشتغال المتعدد التخصصات ومقاربات ورؤى متعددة، ولهذا كان لابد من الاستعانة بالمنهج التاريخي، وذلك عن طريق جمع النصوص (الجغرافية) وترتيبها كرونولوجيا، وعرض موضوع كل فصل أو بحث[1] في كل واحد منها، لفهم تطورها التاريخي، ثم محاولة فهم الأفكار العامة المؤطرة لها.

ولأن الدراسة لا تستعجل النتائج بقدر ما تروم استنطاق النصوص والوقوف على تناقضاتها، وطرح الأسئلة، فلن يتم الجنوح في التحليل، أو التفريط فيه خلال هذه المرحلة من المشروع، بل سينصب التركيز على الوصف مع التعليق الذي يسائل

(١)- مادة هذا الكتاب، في الأصل كانت عبارة عن أبحاث ودراسات، نشرت في عدد من المجالات والدوريات العلمية.

البديهيات، ويعيد طرح السؤال حول ما اعتبر منطلقات راسخة ويقينية وقطعية، وذلك في محاولة للإصغاء للنصوص على اختلافها، واستنطاقها كخطوة أولى حتى تتضح الرؤية كاملة، وتتشكل خارطة الجغرافية والإثنيات الأوروبية في الذهن، ويتبلور الوعي بإشكالياتها ومكامن خللها، فآنذاك يمكننا إعادة تركيب الصورة.

اعترضت هذا العمل صعوبات عدة، أبرزها، الضياع الكامل أو الجزئي لعدد من المصنفات الجغرافية، والأخطاء التي شابت عمليات "التحقيق"، فشوهت النصوص الأصلية، حتى غدا التمييز في بعض الأحيان بين النص الأصلي وتدخلات النساخ والمحققين أمرا صعبا؛ إضافة إلى صعوبة المصطلحات التي أوردها الجغرافيون، واختلافها من واحد لآخر، وعدم اتفاقهم على معايير أو مصطلحات ثابتة، خاصة أن كثيرا من المقاييس (الدرجة، الفرسخ، الذراع...) قد عرفت بعض التحولات التي لازال تحديدها يحتاج لعمل ودراسات أكثر.

زد على هذا التضارب الموجود بين النصوص، والذي يصل أحيانا كثيرة حد التناقض، ليس بين المؤلفين، بل داخل الكتاب الواحد، فيمكن العثور على إشارة، ثم نقيضها في نص آخر في نفس الكتاب لنفس المؤلف، إضافة إلى كثرة النسخ واللصق دون احالات، وما يبدو واضحا من تدخلات "المحققين" أو "المخرجين"، بشكل شوه النصوص بشكل كبير، وهو ما يستلزم النقد الخارجي للمصادر والدراسة البيوغرافية لمؤلفيها، حتى يتم تحري الصدق والصواب، وتصحيح التحريفات، والوقوف على المصادر الأصلية لكل مؤلف.

وهذا ما سيغدو مشروعا آخرا قائما بذاته، غير مشروع هذا الكتاب، لهذا كان التركيز على تجميع المعطيات الواضحة والمتفق عليها، أو ما يبدو منسجما مع ما أورده المؤلف، ومحاولة القيام بعمل تركيبي للنصوص، ومحاولة تجميع أكبر عدد من النصوص والمؤلفات المرتبطة بفترة البحث واستجلاء مستوياتها ومحدداتها، في أفق فهم سيرورة وصيرورة تشكل أوربا جغرافية وإثنيات في التصور العربي الإسلامي.

يروم هذا الكتاب إذن، فهم التشكل التاريخي والجغرافي والثقافي أيضا لبعض الإثنيات والجغرافيات الأوروبية، وتحديدا اليونان مع بداية أرض الروم، باعتبارها كانت الأقرب ثقافيا وحضاريا ومجاليا للمجال العربي الإسلامي، من أجل فهم مستويات حضورها في المصادر العربية الإسلامية، وكيف تطورت عبر التاريخ؛ وقد انطلق الكتاب من الوقوف على صورة الأرض، باعتبارها الإطار العام الذي أطر صورة المسلمين خاصة الجغرافيين منهم، ثم المرور إلى اللغة اللاتينية وبحر الروم واليونان وغيرها من المباحث، التي ركزت على المنطقة التي كانت أكثر احتكاكا بالثقافة الإسلامية (اليونان، أثينا، الإغريق، بحر الروم...الخ).

إن هذا العمل الأول لا يروم تقديم إجابات، بقدر ما يهمه طرح الأسئلة، وإعادة السؤال، والتساؤل حول البديهيات والمنطلقات التي ارتقت إلى درجة المطلقات، في أفق فهم أفضل لتاريخنا، ومن أجل ذاكرة عادلة.

يوسف المساتي
٢٣ نونبر ٢٠٢٤
بوزنيقة، المغرب.

الفصل الأول:
تطور صورة الأرض في المصادر الجغرافية العربية الإسلامية
(ق ٣هـ-ق٨هـ/ق٩-١٥م)

عندما يفتح الإنسان عينيه ينظر للمحيط به، وتنطلق رحلة البحث عن المعنى، فتتناسل الأسئلة عن الكون، ويبدأ الإنسان في تكوين تصوراته عنه، محاولا البحث عن الإجابات انطلاقا من المحيط والمجال المرتبط به، مستغلا إدراكاته، معارفه وتراثه، ومطورا مهاراته، ومع تقدمه في المعرفة وكلما اعتقد أنه أدرك السر واتضحت الصورة ينبثق العلم ليحرك الأسئلة من جديد، ويعيد صياغة التصورات من جديد، فتندمج رحلة البحث عن المعنى بالأسئلة الوجودية المرتبطة بالكون والمجال.

وما يجري على الأفراد يسري على الجماعات والمجموعات، التي تشكل تصوراتها فتؤثر في أفكار الأفراد كما تتأثر بها، ولأن الأرض هي المستقر، هي المجال، حيث يدفن الإنسان وحيث يعتقد أنها محطة عبور، وهي المورد للرزق والأكل.. الخ، فقد كانت صورتها أول ما يدفع الإنسان لطرح الأسئلة.

إن صورة الأرض وشكلها لا يرتبطان بصورة مجال نوجد عليه فقط، ولكن السؤال والجواب يحملان في ثناياهما أسئلة مرتبطة بالآخر والذات وبرؤية العالم، أو كما أسلفنا برحلة البحث عن المعنى، ولهذا لن يكون من المبالغة القول أن فهم صورة الأرض في مخيال ثقافة أو مجموعة ما مفتاح أساسي لفهم الكثير من الرموز والمعاني والتمثلات.

من هنا إذا يحاول هذا الفصل رصد صورة الأرض في المصادر الجغرافية الإسلامية العربية، باعتبارها حاملة للمعرفة العلمية آنذاك، مؤطرا بأسئلة أساسية: ما هو تمثل المصادر العربية الإسلامية للأرض وتحديداتها الجغرافية من مساحة، وخطوط طول وعرض، وخط استواء وموقعه، والأجزاء العامرة والفارغة، وغيرها من

التحديدات المرتبطة بالصورة العامة لشكل الأرض؟ ما هي أبرز مراحل الجغرافية العربية الإسلامية؟ كيف حضرت صورة الأرض تطبيقا (على مستوى الرسوم الجغرافية والخرائط)، وتنظيرا (على مستوى النصوص)؟ وتهدف الإجابة على هذا السؤال إلى فهم تطور نظرة الجغرافيا العربية الإسلامية لخارطة الكرة الأرضية، والوقوف على مراحلها الانتقالية الكبرى، وطبيعتها، وبالتالي فهم إلى أي حد يظل تمثلنا للكرة الأرضية استمرارا للتمثل الوسيطي الذي يعد بدوره استمرارا للقديم؟ وهل نحن إزاء سردية جغرافية مستمرة؟ أم أننا إزاء سردية جغرافية أخرى بنيت في زمن لاحق؟

المحور الأول: مراحل تطور الجغرافية العربية الإسلامية

عرفت الجغرافية العربية الإسلامية ثلاث مراحل أساسية:

أولا: البدايات الأولى

تنطلق هذه المرحلة من بداية تشكل المجتمعات الإسلامية، حيث كان الإسلام القوة المحورية التي وحدت القبائل والمجتمعات المختلفة في شبه الجزيرة العربية وما بعدها، كما أنه تجاوزها إلى مناطق كانت لها ثقافات مختلفة، فتركزت "المعرفة الجغرافية" خلال هذه المرحلة على الاحتياجات العملية للمجتمعات الإسلامية خاصة ما ارتبط بالدين، كموقع مكة واتجاه القبلة وحساب مواقيت الصلاة حسب البلدان، الشيء الذي جعل العلم خادما للدين.

كان من الطبيعي أن تتأطر المعرفة الجغرافية بالتصورات الدينية، خاصة أن المسلمين أرادوا تقديم نموذج حضاري/ معرفي بديلًا عن النماذج الحضارية السابقة، ولهذا تم توظيف معارف الفلك والجغرافيا القديمة، مع إعادة قولبتها وتأطيرها لتتماشى مع العقيدة الإسلامية.

اتجهت النظرة إلى الذات انطلاقا من الجغرافيا المقدسة الإسلامية، أي مكة التي ليست مجرد قبلة أو موقع جغرافي بل هي مركز الأرض، انطلاقا من الآية ٩٦من سورة

آل عمران التي ورد فيها ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [1]، ويوازيها في السماء البيت المعمور الذي جاء في الحديث عنه أن "البيت المعمور بيت في السماء بحيال الكعبة لو سقط سقط عليها، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، والحرم حرم بحياله إلى العرش، وما من السماء موضع إهاب إلا وعليه ملك ساجد أو قائم"[2].

وبما أن مكة أصبحت حاملة للحقيقة الجغرافية كما تحمل الحقيقة الدينية، فإنها انتقلت من الرمزي إلى المادي، ولم تعد فقط مكانا مقدسا على المستوى الديني أو المخيال الجماعي، بل نقطة مرجعية ومركزية في النظام المعرفي الإسلامي، وهو ما سيؤطر التفسيرات الجغرافية للعالم الإسلامي، على غرار تأطيره للتفسيرات الدينية.

من هنا إذا شكلت مكة نقطة الانطلاق المحوري للتحديدات الجغرافية، ويمكن القول إننا في هذه المرحلة أمام تمركز ذاتي أولي، حيث تنطلق كل معرفة من الذات الإسلامية ومركزها المقدس، في هذه الحالة، الذات الإسلامية ليست فقط فردًا أو جماعة، بل هي مفهوم حضاري يتمحور حول مكة والأماكن المقدسة.

ثانيا: تطور علم الجغرافيا

مع قدوم بني العباس ستشهد الدولة تحولات كبيرة، إذ ركز العباسيون على التوغل الاقتصادي أكثر من تركيزهم على الامتداد العسكري، ما سيسفر تحولا في اقتصاد الدولة من قائم على اقتصاد حربي إلى اقتصاد متعدد في مقدمته الوساطة التجارية بين بقاع مختلفة (أوروبا واسيا مثلا) التي تم احتكارها من بني العباس، إضافة إلى الخراج والمداخيل القادمة من أماكن شتى، من الإمبراطورية العباسية التي توسعت وشملت بقاعا وثقافات مختلفة.

(١)- ال عمران، الآية ٩٦.

(٢)- أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، تفسير مجاهد، تحقيق محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، ص٦٢٢.

من هنا برزت الحاجة إلى ضبط البقاع الداخلية، بما يشمل مساحتها ومداخيلها وخراجها، ومعرفة منتوجاتها ومستورداتها، مما أتاح للدولة العباسية تنظيم عائداتها بشكل أكثر دقة، وفي نفس الوقت معرفة البقاع المختلفة الخارجة عن سلطة إمبراطورية بني العباس وضبط مسالكها وممالكها، من أجل تحكم فاعل في خطوط التجارة الخارجية، وامتلاك زمام الوساطة التجارية.

هذه التحولات الاقتصادية والتجارية فرضت على الدولة العباسية تطوير أدوات معرفية جديدة، مما جعل الجغرافية تتجاوز تلبية الحاجات الدينية، وتنزل من السماء إلى الأرض، منتقلة من ضبط مواعيد العبادات، إلى حساب مداخيل الخراج، ومن تحديد مكان القبلة إلى تحديد الأطوال والأعراض، لتنفصل بذلك الجغرافية عن علم الفلك وتقترب أكثر من الرحلات، فظهرت مؤلفات جغرافية جديدة تحاول تلبية هذه الحاجات من أبرزها:

- كتب الأطوال والعروض: هدفت لتحديد المواقع بدقة وضبط المواقيت لتسهيل الشؤون الدينية والإدارية.

- كتب تقويم البلدان: ركزت على تصنيف الأراضي وتقدير مواردها وخراجها.

- كتب المسالك والممالك: خدمت غرضين رئيسيين، الأول اقتصادي لضبط الطرق التجارية ومعرفتها معرفة دقيقة، من أجل التحكم فيها وتطوير الحركة التجارية، والثاني إداري لمعرفة حدود بلاد الإسلام والبلاد المجاورة، وضبطها ضبطا دقيقا.

- كتب صورة الأرض: تأثرت بكتب الرحلات وهدفت إلى تطوير معرفة جغرافية شاملة بالعالم المأهول متأثرة في ذلك بالتراث الجغرافي السابق.

ومع التنامي المتزايد لحركة الترجمة تأثرت الجغرافية في هذه المرحلة بثلاثة مؤثرات رئيسية، هي:

١- المؤثر المصري/البابلي[1]:

يبدو مؤثر هرمس الحكيم حاضرا في الثقافة العربية الإسلامية، فحسب المستشرق نللينو في كتابه "علم الفلك عند العرب"، فإن من بين أوائل الكتب التي ترجمت إلى العربية عن الفلك كان كتاب "عرض مفتاح النجوم" المنسوب لهرمس الحكيم[2]. ولا زالت شخصية هرمس الحكيم مثار جدل كبير بين الباحثين، فهناك من يعتبرها شخصية وهمية، والبعض الآخر يعتبرها شخصية واقعية.

بالعودة إلى المصادر العربية، نجد تضاربا كبيرا حول هذه الشخصية، فبعض المصادر التراثية العربية اعتبرت هرمس الاسم اليوناني للنبي إدريس، وهو أول من نظر في علم الفلك والنجوم والكيمياء[3]، لكن أهم رواية هي التي يقدمها ابن النديم إذ يجعله أول من تكلم عن علم الصنعة، ويشير إلى أنه حكيم بابلي انتقل إلى مصر عند أفول نجم بابل، وأصبح ملكا لمصر، جمع بين الحكمة والفلسفة، وقد ألف عدة كتب، في علم الروحانيات والفلك والكيمياء، وما يعرف بالطلسمات[4].

تتقاطع هذه الرواية مع روايات أخرى تدفع في اتجاه الأصل البابلي/ المصري لهرمس الحكيم، وبالتالي فسواء كان شخصية واقعية أو خيالية، فإن الإشارة هنا للمؤثر المصري/ البابلي.

---

(١)- لقد كان من اللافت تعامل بعض الباحثين الانتقائي مع المؤثر البابلي/ المصري، إذ أسقطوه من القائمة، وقد تذرع البعض بخيالية شخصية هرمس، وهو لا يقوم دليلا على هذا الاسقاط أو التجاوز، بل يمكن القول انه كان محكوما بمركزية غربية تربط الثقافة العربية الإسلامية بالثقافة اليونانية (بمفهوم اليونان الأوروبي).

(٢)- كرلو نلينو، "علم الفلك: تاريخه عند العرب في القرون الوسطى"، روما، ١٩١١، ص ١٤٢

(٣)- عز الدين ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، الجزء الأول، ص ٥٥. حسين الديار بكري، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، دار صادر-بيروت، الجزء الأول، ص ٦٦.

(٤)- ابن النديم، الفهرست، تعليق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٧، ص٤٣١.

٢- المؤثر المصري/اليوناني

لا يمكن الحديث عن الجغرافية العربية، دون الإشارة إلى حضور المؤثر المصري/ اليوناني، إذ أن كتاب المجسطي، ثم الجغرافيا لبطليموس (عرف أيضا باسم الأقلوذي)، كان من أهم المصادر التي أخذ منها العرب والمسلمون معلوماتهم، وقد اهتموا كثيرا بكتب بطليموس الأقلوذي، مع الإشارة أن أصولها غير معروفة وأن كل ما وصل فيها بعد كان بناء على الترجمات العربية، وبحسب المصادر العربية فإن أول ترجمة عربية لكتاب الجغرافيا لبطليموس قام بها موسى الخوارزمي تحت عنوان صورة الأرض، كما قام بإضافة معطيات جديدة إليه، وقد استمر التأثير البطليموسي قرونا من الزمن، على الجغرافية الإسلامية.

٣- المؤثر الهندي:

يذهب بعض الباحثين إلى أن المؤثر الهندي كان أساسيا في الثقافة الجغرافية الإسلامية، ذلك أن الكتاب الذي كان له دور أساسي في بلورة هذا العلم هو رسالة هندية في الفلك يعتقد ان أصلها رسالة وضعها "براهما غيتا" باسم رسالة "براهما سفوطا سدانتا BRAHMA SPHUTA sidanta عام ٦٢٨م، ومعناها المعرفة والعلم والمذهب، عن طريق عالم هندي اسمه مانكا أو كانكا، أحضرها معه حين كان عضوا في السفارة الهندية إلى بلاط المنصور عام ١٥٤هـ/ ٧٧١م، وترجمها إبراهيم الفزازي ويعقوب بن طارق، وقد عرفت بالعربية باسم "السندهند"، وفي عهد المامون قام الخوارزمي بالاعتماد عليه والف كتاب السندهند الصغير والذي اعتمد فيه على النظام الهندي في اعداد جداول فلكية[١].

كانت الجغرافيا العربية الإسلامية خلال هذه الفترة معتمدة على المعرفة العلمية والتجربيية، إذ اختفى حضور الروايات الدينية فيها، بل إن علماء الكلام والمعتزلة

(١)- محمود عصام الميداني، خطوط الطول والعرض وقياس محيط الأرض في الجغرافيا العربية، دورية رسائل جغرافية، العدد ١٥٨، جامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، يوليوز ١٩٩٣، ص ١٥.

وبعض الفرق والمذاهب السنية والشيعية – على حد سواء- كانوا من المؤيدين للجغرافيا التجريبية أو التطبيقية، فانعكست على آرائها وتفاعلت معها.

٤- المرحلة الثالثة: الانحسار

تبدأ هذه المرحلة بعد مرحلة الشريف الإدريسي، خلال هذه المرحلة وبتأثير الظروف السياسية والاجتماعية التي عرفتها المنطقة، بدأت المعرفة العقلية ككل تتراجع، ومن بينها المعرفة الجغرافية؛ كما عادت الروايات الدينية للظهور، وأصبح الحديث عن شكل الأرض وكرويتها أو تسطيحها مقترنا بالروايات (كما نجد عند الحموي مثلا)، وتم الانتقال من المصنفات الجغرافية المعتمدة على التجريب والمشاهدة إلى مصنفات اعتبرت "موسوعاتية" لكنها لم تكن في الحقيقة إلا تجميعا وتلخيصا للمؤلفات السابقة، عمل أغلبها بمنهج المعاجم، حيث كانوا يكتفون بإيراد المواقع وتعريف موجز لها، وقد أدى هذا إلى عدد من الأخطاء، إذ أن عددا من المواقع كانت تتكرر أسماؤها في اكثر من موضع مختلف، فكان من نتائج عملية التلخيص أن كثيرا من المواقع أسقطت أو أقصيت.

المحور الثاني: الجغرافية التطبيقية: (الخرائط والاتجاهات)

عمل الجغرافيون العرب والمسلمون خلال فترة ازدهار الجغرافية الإسلامية على وضع خرائط عديدة للعالم المعمور آنذاك، عرفت باسم المصورات، والتي يطرح البحث فيها عددا من الإشكاليات، إذ أن أغلب المصورات التي ضمنها الجغرافيون العرب لمخطوطاتهم "ضاعت"، ولم نعد نتوفر إلا على بعض المصورات القليلة التي رسم أغلبها بيد النساخ بعد مرحلة القرن السادس الهجري، وبالتالي فإن ضياع هذه المصورات قد أدى إلى ضياع تأريخ حقيقي للخارطة العربية، والتي يمكن عموما أن نقسمها إلى أربع مراحل:

أولا: الخارطة المأمونية ونظائرها

تبدأ من المرحلة التي أمر فيها الخليفة العباسي المأمون حوالي سبعين عالما بإنجاز صورة للأرض وأقاليمها، وقد وردت الإشارة إلى هذه الخارطة في كتب المعاصرين للمرحلة، واستشهد بها عدد كبير من اللاحقين، كما وضعت عدد من الصور (الخرائط) بناء عليها، ولكن هذه الخارطة ضاعت وفقد أي أثر لها، لنفقد بالتالي صورة الأرض في المرحلة الأولى لتطور الجغرافيا العربية الإسلامية.

ثانيا: الخرائط الإقليمية والبلدانية

ظهرت هذه الخرائط بشكل تدريجي ابتداء من القرن الثالث الهجري، مع انتشار المصنفات التي تهتم بجغرافيا الأقاليم، وتضمنت ما يمكن تسميته بخرائط إقليمية أو محلية، سواء للأقاليم الكبرى (الأقاليم السبعة) أو الأقاليم الصغيرة ضمن نطاق البلدان؛ وعادة ما كانت توجد هذه الخرائط مصورة في مقدمة المخطوطات أو وسطها، أو في بعض الفقرات، كما كانت ترفق في أحيان كثيرة ببعض الرسوم والكتابات التوضيحية؛ وأغلب ما وصل إلينا كان من فعل النساخ.

ثالثا: مرحلة الخرائط الإدريسية

تحدد انطلاقا من رسم الشريف الإدريسي لخارطته، خلال القرن السادس الهجري، وقد سارت على منوالها عدد من الخرائط، حيث غدا الشريف الإدريسي نموذجا للرسم الخرائطي خلال هذه المرحلة، وامتد أثره إلى فترات متأخرة، وقد

تميزت الخارطة الإدريسية بأنها جمعت المعرفة الخرائطية السابقة عليه وما تطور في عهده إضافة إلى إضافاته الخاصة، ويلاحظ فيها أن الشمال كان في أسفل الخارطة.

رابعا: بعد الخرائط الإدريسية

بعد القرن السابع الهجري، بدأت المؤثرات الأوربية الحديثة تدخل على الجغرافيا العربية الإسلامية، فتغير شكل الخارطة إذ أصبح الجنوب أسفل المصورات بعدما كان في أعلاها، كما بدأت تتغير أسماء بعض الأماكن وتتلاشى أسماء لتعوضها أخرى، أو يحدث كثير من الخلط (من ذلك مثلا ما حدث بين وليلي في المغرب و أوليل أو وليلة حيث اختلط الأمر على كثير من الجغرافيين).

ومن الملاحظ عند تأمل هذه المصورات اختلاف الجغرافيين العرب والمسلمين في تحديد الاتجاهات، فقد كان من اللافت أنهم جعلوا الشمال في أسفل المصورات التي اعتمدوها معززة لكتاباتهم، وقد اختلف الباحثون حول هذا الاتجاه، بين من قال أن الأمر يرتبط باتجاه القبلة عند المسلمين، وبين من رأى أن الأمر ارتبط برؤيتهم للأرض رؤية كوزموغرافية[1].

ويقدم المقريزي تحديدا مهما للاتجاهات يعكس تصورها خلال المرحلة الوسيطية وما بعدها، إذ يشير أن المسلمين قد حددوا الاتجاهات في ست رئيسية هي:

-الشرق: من حيث تطلع الشمس والقمر وسائر الكواكب.

-الغرب: حيث تغرب الشمس.

-الشمال: حيث مدار الجدي والفرقدين.

-الجنوب: حيث مدار سهيل.

-الفوق: ما يلي السماء.

-التحت: ما يلي مركز الأرض.

(١)- الميداني، مرجع سابق، ص١٤.

وقد بقي هذا التحديد قائما إلى فترة ما بعد المقريزي، مع الإشارة إلى أنه يتماشى مع ما تقدمه المصورات الإسلامية، لكنه في الآن نفسه يطرح بعض الإشكالات، إذ يجعل مدار الجدي شمال الأرض وليس جنوبها كما تم تحديده، فهل يشير هذا إلى ضعف وخطأ في الجغرافية العربية الإسلامية؟ أم أنه مؤشر على ما حدث من ارتباك في الخرائط في مرحلة لاحقة؟

على غرار الاتجاهات فقد اختلف العرب في تحديد خط الاستواء، إذ أن الجغرافية العربية الإسلامية تأثرت بفكرة يونانية جعلت خط الاستواء يقسم العالم إلى قسمين: شمالي نصفه الغربي معمور، أو ما عرف بالربع المعمور، وجنوبي حار غير مأهول؛ كما أن خط الاستواء والطول لم يكونا ثابتين أو محددين جغرافيا، بل اختلفا باختلاف المدرسة التي ينتمي إليها العالم؛ فالمنتمون للمدرسة الهندية اعتبروا أن بداية خطوط الطول (خط منتصف النهار) هو المار من جزيرة سرنديب (سيريلانكا حاليا)[1] أو بقية الأرض عند الأرين، وأن جزيرة سرنديب يتقاطع عندها الاستواء مع خط منتصف النهار بينما توجد قبة الأرض في الأرين[2].

أما المنتمون للمدرسة البطلمية، فقد اتجهوا صوب اعتبار خطوط الطول تنطلق من جزر السعادة، وعندها يتقاطع مع خط الاستواء، وقد ذهب البعض إلى تحديدها بأنه جزيرة الرأس الأخضر. بينما ذهب البتاني إلى جعل خط الاستواء يمر من منابع النيل بينما خط الطول يبدا من جزر السعادة.

(١)- جزيرة سرنديب كانت ترسم في مكان وسط بين الهند والحبشة كما جاءت في المصورات العربية

(٢)- "ملخص نظرية الأرين أنه يوجد في نصف الكرة الغربي من الأرض وفي مواجهة قبة الأرين مركز آخر للأرض (قبة) على موضع أكثر ارتفاعا من المركز الموجود في الجهة الشرقية من الكرة التي تحولت لتصبح أشبه ما تكون بالكمثرى". انظر: الميداني، مرجع سابق، ص ٢١.

يمكن تقسيم الفئات القائلة بخطوط والطول والعرض[1] إلى خمس فئات:

- الفئة الأولى: اعتبرت خط الطول هو المار من جزيرة سرنديب التي عرفت فيما بعد باسم قبة الأرض، ولابد من الإشارة إلى أن فكرة قبة الأرض المتعامدة مع قبة الفلك، تتقاطع مع فكرة الكعبة التي تتعامد مع البيت المعمور في السماء، وهو ما يشير لطبيعة التداخل بين المعرفتين الدينية والعقلية التجريبية في العالم الإسلامي آنذاك.
- الفئة الثانية: اعتبروا خط الطول هو المار من جزر السعادة، أو الخالدات، وخط الاستواء يمر من جزيرة سرنديب أو سلا.
- الفئة الثالثة: اعتبروا بدء العمارة وبالتالي خط الطول من ساحل المغرب، كياقوت الحموي.
- الفئة الرابعة: اعتبروا أنه الخط المار من قرطبة هو بدء خطوط الطول[2].
- الفئة الخامسة: اعتبروا خط الطول المار من ساحل أفريقيا الشرقي مخترقا جزيرة زنجبار بدءا لخطوط الطول متبعين في ذلك استرابون وايراتوستين

كما اختلف مفهوم مركز الأقاليم، فالاتجاه المتأثر بالمدرسة الهندية كان يجعل الهند أول الأقاليم وأهمها، أما الاتجاه المتأثر بالاتجاه الهرمسي (البابلي/ المصري) فقد كان ينظر إلى أن بابل مركز الأرض، وهي الإقليم الأوسط، بينما يحيط بها ستة أقاليم من الجهتين، أما اليوناني فقد كان يجعل الأقاليم سبعة تنطلق من خط الاستواء في اتجاه الشمال.

---

(١)- خط الطول والعرض يتغير حسب السياقات التاريخية فقد أزاح التأثير البطليموسي التأثير الهندي وجاء التاثير البريطاني فيما بعد (غرينيتش). بينما يعتبر الفرنسين خط طول باريس هو الخط الرئيسي، ويعتبرها الامريكيون تنطلق من واشنطن في بعض المؤلفات الجغرافية

(٢)- من بينهم الفلكي الاندلسي المدريدي او المجريطي الذي أعاد صياغة الجداول الفلكية للخوارزمي مستعملا التقويم الهجري لكنه جعل نقطة البدء من قرطبة، وجداوله لم تصل إلينا، بل وصلت عن طريق ترجمة لاتينية لاديلارد الباثي ADELARD OF BATH سنة ١١٢٦، وأصبحت أساسا لمؤلفات فلكية متأخرة في أوروبا الغربية.

بيد أن الملاحظ أن الجغرافيين العرب لم يلتزموا بتقسيم واحد للأقاليم، بل كان مفهومهم مختلفا وفضفاضا بحسب تجاربهم ورحلاتهم؛ ولابد من الإشارة هنا إلى التداخلي بين الديني والعقلي التجريبي والعقلي النظري، إذ نجد أن المعتزلة كانوا من المؤيدين للقول بالأقاليم السبعة كتفسير لسبع أراض الواردة في القرآن، وهو ما سهل رواجها في الأوساط الجغرافية العلمية آنذاك.

أدت فكرة الأقاليم السبعة إلى نوع من الارتباك في الجغرافيا العربية الإسلامية، إذ حرص المؤلفون على تضمينها في مؤلفاتهم، ولو لم يتعلق الأمر بالأرض ككل، فحرص بعضهم على تقسيم أرض الإسلام إلى سبعة أقاليم، أو المعمور ككل، أو أرض الكفار، أو تقسيم الأراضي العامرة والخراب، إلى سبعة في كل منهما، إن هذا التداخل بين ما هو ديني اعتقادي وما هو علمي تجريبي، أحدث بعض التشويش في تعاطي الجغرافيين مع صورة الأرض، وكثيرا ما طغت المحاولات التوفيقية عليها.

المحور الثالث: صورة الأرض عند الجغرافيين العرب

كان من الشائع أن يفتتح الجغرافيون العرب كتبهم بالحديث عن صورة الأرض، وأقاليمها وقياستها، قبل أن يبدؤوا في كتبهم، وفيما يلي صورة الأرض في أبرز المؤلفات الجغرافية العربية الإسلامية:

أولا: صورة الأرض في كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه (توفي نحو ٢٨٠ هـ)

يعتبر ابن خرداذبه واحدا من أبرز الجغرافيين الأوائل، والذي اعتمد عليه عدد من الرحالة والجغرافيين كاليعقوبي وابن الفقيه وابن رسته وغيرهم؛ ولم يخرج ابن خرداذبه في كتابه "المسالك والممالك"(1) عن النسق العام للجغرافية العربية الإسلامية، إذ جعل الأرض مقسومة إلى نصفين، من خلال خط الاستواء، جاعلا إياه يمر من المشرق إلى المغرب على طول الكرة الأرضية، وقد قدرها ب٣٦٠ درجة، كل واحدة

(١)- أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبه، "المسالك والممالك"، دار صادر، أفست ليدن، ١٨٨٩.

منها تساوي ٢٥ فرسخا[١]، وكل فرسخ يساوي اثني عشر ألف ذراع، والذراع ١٢ أصبعا؛ وبحسب بعض التقديرات فإن الفرسخ تراوح بين ٥٧٦٢ مترا (الفرسخ الغربي) و٥٢٥٠ مترا (الفرسخ العربي)، بينما كانت الدرجة في الجغرافية العربية تساوي حوالي ١١١٨١٥ مترا.

يحدد ابن خرداذبه برج سهيل[٢] في القطب الجنوبي، وبنات نعش[٣] في القطب الشمالي، وبين كل واحد من القطبين وبين خطّ الاستواء تسعون درجة أصطرلابيّة، واستدارتها عرضا مثل ذلك، ثم يقسم الأرض إلى أربعة أرباع (اثنين في الشمال واثنين في الجنوب)، في كل من الربعين العامرين في الشمال والجنوب سبعة أقاليم، بينما الباقي لا ساكن فيه، وقد حدد العمارة بعد خط الاستواء في ٢٤ درجة (٦٠٠ فرسخ).

لكن المثير للانتباه أن ابن خرداذبه يشير إلى أننا "على الرّبع الشمإلى من الأرض والربع الجنوبىّ خراب لشدّة الحرّ فيه والنصف الذي تحتنا لا ساكن فيه، وكلّ ربع من الشمإلى والجنوبىّ سبعة أقاليم"[٤]، وهنا يبدو تأثر ابن خرداذبه بفكرة الأقاليم السبعة، بيد أنه يقسم نصفي خط الاستواء إلى سبعة أقاليم في كل منهما، مجاريا في ذلك ما عرف بالتقليد "الهرمسي"، لكنه لا يقدم أي حدود واضحة تمكن من تحديد موقع خط الاستواء عنده.

ثانيا: صفة جزيرة العرب للهمداني (توفي ٣٣٤ هـ)

يعتبر كتاب صفة جزيرة العرب[٥]، واحدا من أهم كتب عصره، إذ يقدم الهمداني فيه معطيات جد هامة، ونصوصا يمكن اعتبارها بالغة الأهمية، فإضافة

(١)- حسب ابن خرداذبه فالفرسخ اثنا عشر ألف ذراع والذراع اربع وعشرون اصبعا والاصبع ستّ حبّات شعير مصفوفة بطون بعضها الى بعض.

(٢)- برج سهيل او نجم سهيل ويعرف بـ CANOPUS هو أحد النجوم الأكثر لمعانا في مجموعة كوكبة القاعدة، وثاني ألمع نجم في السماء بعد الشعرى اليمانية، وكانت العرب في القديم تستهل له على اتجاه الجنوب.

(٣)- مجموعة نجمية مكونة من سبعة نجوم، وهي جزء من كوكبة الدب الأكبر.

(٤)- ابن خرداذبه، مرجع سابق، ص٥.

(٥)- أبو محمد الحسن الهمداني، "صفة جزيرة العرب"، مطبعة بريل-ليدن، ١٨٨٤

لتلخيصه معارف من سبقوه ونقلها إلينا، أضاف إليها تصوراته ورؤاه، وبالتالي، فهو شاهد على مراحل مهمة في الجغرافية العربية الإسلامية.

يؤكد الهمداني على أن الأرض كروية أو مقببة بتعبيره، ويسوق الأدلة مرارا في مواضع عدة من كتابه على هذا الأمر، سواء كانت أدلة فلكية، أو عقلية، أو حتى نقلية من كتب الأقدمين[1]، وعلى غرار باقي الجغرافيين، يؤكد الهمداني أن الأرض ليست عامرة بأكملها، مستدلا على ذلك بأن "الشمس في يومي الاستواء لا تسامت أحدا من سكان الأرض إلا من كان منهم على خط الاستواء، وهو منطقة الأرض الوسطى، وهم أول سكان العامرة من جنوبي الصين وجنوبي الهند وبلد الزنج والديبجات، ثم تميل إلى نحو الشمال في شهور الربيع، إلى أن توافي رأس السرطان في منتهى طول النهار، ولا تسامت إلا ما بين خط الاستواء، والبلد الذي عرضه أربعة وعشرون جزءا، من الحجاز والعروض وما سامت ذلك شرقا وغربا"[2].

يحدد هذا النص المنطقة التي تقع بين خط الاستواء ومدار السرطان حسب الهمداني والتي تقع جنوبي بلاد الصين والهند، وبلد الزنج والديبجات، إلى أن تصل إلى الحجاز وما يوازيها شرقا وغربا. وبالتالي فالمناطق العامرة تقع على جانبي خط الاستواء الشمالي والجنوبي، مع الإشارة إلى صعوبة التوغل جنوب خط الاستواء بسبب الظروف المناخية، ومن بين البحار التي توجد فيه يشير إلى بحر الزنج وبحر المشرق، وتنقطع العمارة شمالا، حيث وجد الجليد والثلج والضباب عند وتد الأرض الشمالي، "الذي يكون على سمته القطب مقدار درج الميل، وهي أربع وعشرون وزيادة ثلث درجة"[3].

(١)- يبدو من خلال هذا أن النقاش حول كروية الأرض أو تسطيحها كان قائما آنذاك أو حاضرا بقوة في الثقافة الإسلامية بين بعض رواد الاتجاه الفقهي خاصة من استوردوا المأثورات ما قبل إسلامية، وبين اتجاه عقلي عملي تطبيقي.

(٢)- الهمداني، مرجع سابق، ص ٤ .

(٣)- نفسه، ص ١٠ .

يشير الهمداني إلى وجود قبة للأرض وهي وسط الاستواء، تحت قبة الفلك، دون أن يوضح موقعها بشكل دقيق، وهكذا حسب الهمداني تنقسم الأرض إلى قسمين: "ظاهر وباطن، فصارت أربعة أقسام: شمالي متعال، وشمالي متسافل، وجنوبي متعال، وجنوبي متسافل، والقسمة دائرة الأفق في هذه المواضع"(1).

يطرح هذا التقسيم عدة إشكاليات، إذ يفترض حسبه أن الشمالي المتسافل والجنوبي المتعالي هما العامران، لكن في نفس الآن نجد نصوصا في نفس الكتاب تعتبر أن العامر هو شمال الاستواء فقط، وهو ما يطرح السؤال حول سبب هذا التضارب، هل يرجع الأمر إلى ما خطه المؤلف؟ أم تدخلات النساخ والمحققين؟ أم ربما يعكس تشويشا في معرفة صورة الأرض والاتجاهات عند الجغرافيين العرب؟

يقسم الهمداني الأرض إلى ثلاثة وثلاثين دائرة، لكل دائرة خصائصها، ويمكن التمييز بينها من خلال ساعات النهار(2)، ثم يقسم الهمداني طول الأرض بحسب أقوال الجغرافيين إلى قسمين:

- أهل المغرب: من اليونانيين والروم، جعلوا أقصى عمارتهم أو حد الأرض البحر المظلم الآخذ على ما بين شمال المغرب وجنوبه فصيروه الحد، ثم جعلوا نهاية الطول في المشرق على مسافة اثنتي عشرة ساعة وهو ثمانون ومئة درجة مستقيمة.
- أهل المشرق: هم من الهند ومن يليهم ومن الصين وغيرها، خالفوا أهل المغرب فجعلوا أول المشرق خلف الذي جعله أولئك بثلاث عشرة درجة ونصف وهو قدر ساعة إلا عشرا، ثم جعلوا حد المغرب دون ما جعله أهله بهذا المقدار.

أدى هذا الاختلاف حسب الهمداني إلى أن كل واحد من الفرقتين يجعل قبة الأرض التي يحسب عليها مواضع الكواكب، على تسعين درجة من حده الذي حده، دون أن يحدد موضع قبة الأرض هذه، ولابد من الإشارة إلى أن فكرة قبة الأرض

(1)-الهمداني، مرجع سابق، ص ١١.
(2)- انظر الملحق ١٠

التي توازيها قبة الفلك، وجدت تمثلا لها في الحديث النبوي، من خلال الحديث عن البيت المعمور في السماء السابعة الذي يوجد موازيا لبيت الله الحرام في مكة، لم أستطع البحث في مصدر وتاريخ هذه الفكرة، ولكن يبدو أن هناك تأثيرا متبادلا على الجغرافيا والحديث قد يكون ما قبل إسلامي، فبينما اتجه الحديث إلى جعل مكة قبة الأرض، اتجهت الجغرافية إلى جعل قبة الأرض في خط الاستواء مركزها.

يسهم هذا النص أيضا في رصد بعض التقاطعات بين جوانب المعرفة الدينية والعقلية في هذا النقاش، وهو إن كان لا يدخل في مجال هذه الدراسة لكن الإشارة إليه تظل واجبة.

ثالثا: صورة الأرض في كتاب البلدان لابن الفقيه (توفي نحو ٣٤٠ هـ)

سار ابن الفقيه في كتابه "البلدان"(١) على خطى الجغرافيين العرب، إذ تبنى القول بكروية الأرض، أو الأصح بيضاويتها، وبالجاذبية، فالأرض حسب قوله "مدورة كتدوير الكرة، موضوعة في جوف الفلك كالمحّة في جوف البيضة. والنسيم حول الأرض، وهو جاذب لها من جميع جوانبها إلى الفلك. وبنية الخلق على الأرض، إن النسيم جاذب لما في أيديهم من الخفّة، والأرض جاذبة لما في أيديهم من الثقل، لأن الأرض بمنزلة الحجر الذي يجذب الحديد"(٢).

يحدد ابن الفقيه طول الأرض في أربعة وعشرون ألف فرسخ، "فللسودان اثنا عشر ألف فرسخ، وللروم ثمانية آلاف فرسخ، وللعرب ألف فرسخ، ولفارس ثلاثة آلاف فرسخ"(٣)، ثم يشير بعد ذلك إلى أن محمّد بن موسى الخوارزميّ، قد جعل الأرض تسعة آلاف فرسخ، والعمران من ذلك نصف سدسها (٧٥٠ فرسخا)،

(١)- أبو عبد الله احمد ابن محمد بن إسحاق الهمداني ابن الفقيه، "البلدان"، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦.

(٢)- نفسه، ص ٦٠.

(٣)- نفس المصدر والصفحة.

والباقي ليس فيه حيوان ولا نبات، والبحار هي محسوبة من العمران، والمفاوز التي بين العمران من العمران.

واصل ابن الفقيه على خطى من سبقوه بخصوص خط الاستواء، واعتباره أطول خط في كرة الأرض، ومنطقة البروج أكبر خطّ في الفلك، وعرض الأرض من القطب الجنوبيّ الذي يدور حوله سهيل، إلى القطب الشماليّ الذي يدور حوله بنات نعش، واستدارة الأرض في موضع خطّ الاستواء ثلاثمائة وستّون درجة، والدرجة خمسة وعشرون فرسخا، والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع، والذراع أربعة وعشرون إصبعا.

كما أنه أضاف تقسيما مختلفا للأقاليم، إذ جعل "إقليما في أيدي العرب، وإقليما في أيدي الروم، وإقليما في أيدي الحبشة، وإقليما في أيدي الهند، وإقليما في أيدي الترك، وإقليما في أيدي الصين، وإقليما في أيدي يأجوج ومأجوج، لا يدخل هؤلاء أرض هؤلاء، ولا هؤلاء إلى هؤلاء"[1].

كان هذا كل ما قدمه ابن الفقيه بخصوص صورة الأرض، رغم أن كتابه يعتبر واحدا من أبرز المصنفات البلدانية، ولعل هذا راجع إلى الاهتمامات التجارية أساسا لابن الفقيه، والتي تركزت على ضبط البلدان وخراجها ومواردها الاقتصادية.

رابعا: صورة الأرض في كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" للمقدسي

برغم أن كتاب المقدسي واحد من أهم المؤلفات في مجاله[2]، إلا أنه لا يقدم معلومات كثيرة عن الكرة الأرضية، فلا يشير إلى شكلها، وكأنها من المعروف بالضرورة، كما لا يقدم معلومات كثيرة عن الاتجاهات، والتقسيمات، لكنه في نفس الآن يقدم بعض المعطيات الهامة، من بينها تقسيمه الأقاليم إلى أربعة عشر إقليما على الشكل التالي:

(١)-أبو عبد الله احمد ابن محمد بن إسحاق الهمداني ابن الفقيه، "البلدان"، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، ص ٦١.

(٢)- أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩١.

- أقاليم عربية: ستة أقاليم وهي: "جزيرة العرب، العراق، أقور، الشام، مصر، المغرب".

- أقاليم عجمية: ثمانية أقاليم وهي: المشرق، الديلم، الرحاب، الجبال، خوزستان، فارس، كرمان، السند.

يشير المقدسي إلى أن كل مصنف جعل الأقاليم أربعة عشر، سبعة ظاهرة وسبعة خرابا، وأن الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخا، السودان اثنا عشر ألف فرسخ، والروم ثمانية آلاف فرسخ، وفارس ثلاثة آلاف، والعرب ألف فرسخ.

من بين الأمور التي انفرد بها المقدسي، وقدمت إضافة مهمة للجغرافيا العربية الإسلامية، جرده للمواضع وأسماء الأماكن أو المدن المكررة في أكثر من منطقة وإظهار الفرق بينها، وهو ما لم يتم استثماره في كتب الجغرافيا اللاحقة، ما أدى إلى أن الكتب الموسوعاتية سقطت في بعض الأخطاء في ذكرها لبعض المناطق والبلدان.

خامسا: صورة الأرض في المسالك والممالك للبكري[1]

لم يخرج البكري (توفي ٤٨٧ هـ) عن النسق العام للجغرافية العربية، باعتبار الأرض كروية يقسمها خط الاستواء إلى الشمال والجنوب، بيد أنه يجعل منتهى العمران في الشمال جزيرة ثولي في برطانية[2]، كما يتبنى رأي بطليموس، بأن المعمور من الأرض أقلّ من الثلث وأكثر من الربع.

يحدد البكري طول الجزء المعمور من الأرض من الجزائر الخالدات التي هي أقصى بلاد المغرب، إلى مدينة شيراز إلى أقصى بلاد الصّين، وذلك على خط الاستواء، من ناحية مجرى سهيل من أرض الحبشة إلى ثولي الجزيرة الواقعة تحت قطب الشمال، بعد بلاد الصّقالبة والخزر.

(١)- أبو عبيد الله البكري، "المسالك والممالك"، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢.

(٢)- يطرح ورود لفظة بريطانيا في عدد من المصادر إشكالا تاريخيا، إذ ما مدى حضور هذه المفردة في المصادر العربية الإسلامية؟ وهي كانت حاضرة في الثقافة العربية الإسلامية؟ أم أنها من بين التعديلات والتصحيحات المقحمة؟

لكنه يقدم معطى جد هام، إذ يحدد المناطق الخالية جنوب خط الاستواء، بتسع عشرة درجة، "لأنّ الشّمس إذا صارت في السّنبلة في حدّ ثلاث درجات إلى أن تبلغ خمس درجات من الحوت قربت منه وثبتت عليه فأحرقت كلّ شيء هنالك، أما المناطق الخالية شمال خط الاستواء فتبعد عن الخط تسعين درجة لأنّ الشّمس إذا سارت إلى البروج الجنوبية لا تطلع عليه ستّة أشهر فتنعقد البخارات ولا ترتفع فلا يكون حيوان ولا نبات"[1].

هذا كل ما قدمه البكري من معطيات جغرافية حول صورة الأرض، ورغم ما تميز به البكري من دقة في الوصف، إلا انه لم يفصل كثيرا في صورة الأرض، ويبدو أن الأمر قد أصبح من "المعروف بالضرورة".

سادسا: صورة الأرض في نزهة المشتاق في اختراق الافاق للإدريسي[2]

لم يشذ الإدريسي بدوره عن القاعدة العامة بخصوص كروية الأرض، التي يقسمها خط الاستواء الممتد من المشرق إلى المغرب؛ وهي مقسومة على أربعة أرباع، والربع المسكون من الأرض قسمته العلماء سبعة أقاليم، كل إقليم منها مار من المغرب إلى المشرق، على خط الاستواء، وليست هذه الأقاليم بخطوط طبيعية، لكنها خطوط وهمية، كما يحدد الإدريسي الدرجة بخمسة وعشرون فرسخا والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع والذراع أربعة وعشرون أصبعا، وبناء على هذا يحدد مساحة الأرض في مائة ألف ألف ذراع واثنين وثلاثين ألف ألف ذراع وتكون من الفراسخ أحد عشر ألف فرسخ بحساب أهل الهند، وأما بحساب هرمس فقد قدر مساحة الأرض بستة وثلاثين ألف ميل وتكون من الفراسخ اثني عشر ألف فرسخ.

(١)- البكري، مرجع سابق، ص ١٨٧.

(٢)- محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحسني الطالبي المعروف بالشريف الإدريسي، "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، عالم الكتب بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩.

تنتهي العمارة حسب الإدريسي شمال خط الاستواء بأربع وعشرين درجة، فالباقي خلاء لا عمارة فيه لشدة البرد والجمود، أما الربع الجنوبي، والذي يحدده بما فوق خط الاستواء غير مسكون ولا معمور لشدة الحر به.

لا يقدم الإدريسي أي معطيات إضافية بخصوص شكل الأرض أو كرويتها، لكنه أرفق كتابه بعدد كبير من المصورات، كانت تبدو فيها الخارطة مقلوبة مقارنة مع الشكل الحالي، كما أنه فصل في المعطيات التاريخية والجغرافية الإقليمية أكثر من تفصيله فيما هو عام.

سابعا: صورة الأرض في معجم البلدان لياقوت الحموي(1)

تنبع أهمية كتاب الحموي من كونه جاء في فترة بداية انهيار المعرفة العلمية عند العرب والمسلمين، وتحول موازين القوى، إضافة إلى كونه ناقلا لطبيعة النقاشات والمعرفة التي كانت سائدة في زمنه، وعلى عكس باقي الجغرافيين استهل الحموي معجمه الجغرافي بالإشارة إلى اختلاف القدماء في هيئة الأرض وشكلها، حيث يشير إلى أن بعضهم قال بأنها مبسوطة التسطيح في الجهات الأربع (المشرق، المغرب، الجنوب، الشمال)، "ومنهم من زعم أنها كهيئة الترس، ومنهم من زعم أنها كهيئة المائدة، ومنهم من زعم أنها كهيئة الطبل، وزعم بعضهم أنها شبيهة بنصف الكرة كهيئة القبة وأن السماء مركبة على أطرافها، وقال بعضهم: هي مستطيلة كالأسطوانة الحجرية أو العمود، وقال قوم: الأرض تهوي إلى ما لا نهاية له، والسماء ترتفع إلى ما لا نهاية له"؟ وقال قوم: إن الذي يرى من دوران الكواكب إنما هو دور الأرض لا دور الفلك، وقال آخرون: إن بعض الأرض يمسك بعضا، وقال قوم: إنها في خلاء لا نهاية لذلك الخلاء"(2).

وينقل الحموي آراء الفقهاء والمتكلمين والشيعة، فيشير إلى أن "المتكلمون فمختلفون أيضا: زعم هشام ابن الحكم أن تحت الأرض جسما من شأنه الارتفاع والعلو،

(١)- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، "معجم البلدان"، دار صادر بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٥.

(٢)- نفسه، ص ١٦.

كالنار والريح، وأنه المانع للأرض من الانحدار، وهو نفسه غير محتاج إلى ما يعمد، لأنه ليس مما ينحدر، بل يطلب الارتفاع. وزعم أبو الهذيل: أن الله وقفها بلا عمد ولا علاقة، وقال بعضهم: إن الأرض ممزوجة من جسمين: ثقيل وخفيف، فالخفيف شأنه الصعود، والثقيل شأنه الهبوط، فيمنع كل واحد منهما صاحبه من الذهاب في جهته لتكافؤ تدافعهما. والذي يعتمد عليه جماهيرهم، أن الأرض مدورة كتدوير الكرة، موضوعة في جوف الفلك كالمحة في جوف البيضة، والنسيم حول الأرض جاذب لها من جميع جوانبها إلى الفلك، وبينه الخلق على الأرض، وأن النسيم جاذب لما في أبدانهم من الخفة، والأرض جاذبة لما في أبدانهم من الثقل، لأن الأرض بمنزلة حجر المغناطيس الذي يجتذب الحديد وما فيها من الحيوان، وغيره بمنزلة الحديد"(1).

يتبنى الحموي فكرة خط الاستواء الذي يقسم الكرة الأرضية، ويقسم الأرض إلى أربعة أرباع، يسمى الربع الشمالي الأول معمورا والربع الخالي لتراكم البرد والثلوج، كما يسرد آراء من سبقوه حول مساحة الأرض فشير إلى أن محمد بن موسى الخوارزمي ذكر أن "الأرض على القصد تسعة آلاف فرسخ، العمران من الأرض نصف سدسها، والباقي ليس فيه عمارة ولا نبات ولا حيوان، والبحار محسوبة من الغمران، والمفاوز التي بين العمران من العمران.

قال أبو الريحان: طول قطر الأرض بالفراسخ الفان ومائة وثلاثة وسنون فرسخا وثلثا فرسخ، ودورها بالفراسخ ستة آلاف وثمانمائة فرسخ.

وعلى هذا تكون مساحة سطحها الخارج متكسرا أربعة عشر ألف ألف وسبعمائة وأربعة وأربعين ألفا ومائتين واثنين وأربعين فرسخا وخمس فرسخ. وكان عمر بن جيلان يزعم ان الدنيا كلها سبعة وعشرون ألف فرسخ، فبلد السودان اثنا

(1)-شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، "معجم البلدان"، دار صادر بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1995.

عشر ألف فرسخ، وبلد الروم ثمانية آلاف فرسخ، وبلد فارس ثلاثة آلاف فرسخ، وأرض العرب أربعة آلاف فرسخ.

وحكي عن أزدشير أنه قال: الأرض أربعة أجزاء، فجزء منها أرض الترك وهي ما بين مغارب الهند إلى مشارق الروم، وجزء منها المغرب وهو ما بين مغارب الروم إلى القبط والبربر، وجزء منها أرض السودان وهي ما بين البربر إلى الهند، وجزء منها هذه الأرض التي تنسب إلى فارس ما بين نهر بلخ إلى منقطع اذربيجان وأرمينية الفارسية ثم إلى الفرات، ثم برية العرب إلى عمان ومكران، ثم إلى كابل وطخارستان.

وقال دورينوس إن الأرض خمسة وعشرون ألف فرسخ، من ذلك: الترك والصين اثنا عشر ألف فرسخ، والروم خمسة آلاف فرسخ، وبابل ألف فرسخ"(1).

ثم يضيف الحموي أن "الربعان الشماليان هما النصف المعمور، وهو من العراق إلى الجزيرة، والشام، ومصر، والروم، والفرنجة، ورومية، والسوس، وجزيرة السعادات، فهذا الربع غربي شمالي، ومن العراق إلى الأهواز، والجبال، وخراسان، وتبت، إلى الصين، إلى واق واق، فهذا الربع شرقي شمالي، وكذلك النصف الجنوبي، فهو ربعان: شرقي جنوبي، فيه بلاد الحبشة والزنج، والنوبة، وربع غربي لم يطأه أحد ممن على وجه الأرض، وهو متاخم للسودان الذين يتاخمون البربر، مثل كوكو وأشباههم"(2). والربعان الظاهران هما أربعة عشر إقليما، منها سبعة عامرة، وسبعة غامرة، لشدة الحر بها.

يقدم الحموي نصا بالغ الأهمية عن قياس أطوال الكرة الأرضية، ويشير إلى بطليموس أحد الملوك اليونان(3)، ولعل الامر هنا يرتبط بالمؤثر البطلمي/ المصري،

(1)-معجم البلدان، صص ١٩،١٨ .

(2)- نفسه، ص ١٩ .

(3)- يطرح هذا الاسم أسئلة حول علاقة بطليموس بالملك الموري الذي عرف عنه ولعه بالعلوم خصوصا الجغرافيا، ومدى ارتباطه بالبطالمة أيضا.

بعث إلى جنوب خط الاستواء حكماء منجمين، فأخبروه أنه خراب يباب ليس فيه ملك ولا مدينة ولا عمارة، وسمي بالربع المحترق، أو الربع الخراب؛ وبحسب هذا النص فإن تقسيم النهار إلى اربع وعشرين ساعة، وتقسيم السنة إلى ٣٦٥ يوما يرجع الفضل فيه إلى الملك بطليموس، عندما أراد قياس أطوال الأرض، حيث قدرها بسبعة وعشرين ألف ميل، بينما قدرها الجغرافي بطليموس استدارة الأرض ب"مائة ألف وثمانون ألف إسطاديون، والإسطاديون مساحة أربعمائة ذراع، وهي أربعة وعشرون ألف ميل، فيكون ثمانية آلاف فرسخ بما فيها من الجبال والبحار والفيافي والغياض...أما قطرها فهو سبعة آلاف وستمائة وثلاثون ميلا، تكون ألفين وخمسمائة فرسخ وأربعين فرسخا وثلثي فرسخ... فمساحة الأرض مائة واثنان وثلاثون ألف ألف وستمائة ألف ميل، يكون مائتي ألف وثمانية وثمانين ألف فرسخ.

بعد ذلك يسرد الحموي عددا من الروايات ذات الطابع الديني حول مساحة الأرض وعدد السماوات والأرض حيث يبدو الأثر الفقهي حاضرا، وإن كان ميله نحو الاتجاه المعتزلي واضحا في هذا السياق، خاصة في قولهم أن المقصود بالأراضي السبعة هي الأقاليم السبعة، هي الأقاليم السبعة، على سبيل المجاورة والملاصقة، وافتراقها على المطابقة والمكابسة، "ومنهم من يرى أن الأرض سبع على الارتفاع والانخفاض"[1].

من بين النصوص المهمة التي يقدمها الحموي نجد نصا حول البحار، والذي اقتبس فيها ما أورده أبو الريحان البيروني بهذا الخصوص، فيشير إلى أن "البحر الذي في مغرب المعمورة وعلى ساحل بلاد طنجة والأندلس، فإنه سمي البحر المحيط، وسماه اليونانيون أوقيانوس، ولا يلجج فيه، إنما يسلك بالقرب من ساحله، وهو يمتد من عند هذه البلاد نحو الشمال على محاذاة أرض الصقالبة، ويخرج منه خليج عظيم في شمال الصقالبة، ويمتد إلى قرب أرض بلغار بلاد المسلمين، ويعرفونه ببحر ورنك،

(١)- الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق، ص ٢١.

وهم أمة على ساحله، ثم ينحرف وراءهم نحو المشرق، وبين ساحله وبين أقصى أرض الترك أرضون وجبال مجهولة خربة غير مسلوكة.

وأما امتداد البحر المحيط الغربي من أرض طنجة نحو الجنوب، فإنه ينحرف على جنوب أرض سودان المغرب وراء الجبال المعروفة بجبال القمر التي تنبع منها عيون نيل مصر، وفي سلوكه غزر لا تنجو منه سفينة".

وعن الحدود الشرقية للمحيط يشير الحموي إلى أن "البحر المحيط من جهة الشرق وراء أقاصي أرض الصين، فإنه أيضا غير مسلوك ويتشعب منه خليج يكون منه البحر الذي يسمى في كل موضع من الأرض التي تحاذيه، فيكون ذلك أولا بحر الصين، ثم الهند، وخرج منه خلجان عظام يسمى كل واحد منها بحرا على حدة، كبحر فارس والبصرة، ... ومر إلى عدن، وانشعب منه هناك خليجان عظيمان، أحدهما المعروف بالقلزم، وهو ينعطف فيحيط بأرض العرب حتى تصير به كجزيرة، ولأن الحبشة عليه بحذاء اليمن فإنه يسمى بهما، فيقال لجنوبيه بحر الحبشة، وللشمالي بحر اليمن، ولمجموعهما بحر القلزم... والخليج الآخر المقدم ذكره، هو المعروف ببحر البربر، يمتد من عدن إلى سفالة الزنج، ولا يتجاوزها مركب لعظم المخاطرة فيه ويتصل بعدها ببحر أوقيانوس المغربي، وفي هذا البحر من نواحي المشرق جزائر الرانج، ثم جزائر الديبجات، وقمير، ثم جزائر الزابج، ومن أعظم هذه الجزائر، الجزيرة المعروفة بسرنديب، ويقال لها بالهندية سنكاديب، ومنها تجلب أنواع اليواقيت جميعها، ومنها يجلب الرصاص القلعي، وسربزه ومنها يجلب الكافور[1].

(١)-الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق، ص٢١

الفصل الثاني:
اللغة اللاتينية في المصادر العربية الإسلامية
من ق ٣ هـ (١٠م) /١٠هـ (١٦م)

ينطلق هذا الفصل من طرح سؤال مركزي، فبما أن اللاتينية اعتبرت أحد أعمدة عصر النهضة، فكيف حضرت في المصادر العربية الإسلامية؟ إذ حسب السردية الرسمية يفترض أن اللغة اللاتينية شملت حيزا كبيرا من المجال الجغرافي الذي سيصبح فيما بعد إسلاميا، وهو ما يفترض أن يكون له صدى في مصنفات المسلمين، الذين اهتموا بنقل وتدوين مظاهر شعوبهم والشعوب المجاورة لهم، حتى فيما يتعلق بالمظاهر اليومية لحياتهم وتاريخهم وغيرها، فكيف حضرت اللغة اللاتينية في المصادر العربية الإسلامية؟ ما طبيعة العلاقة بين الروم واللاتين؟ وهل يمكن اعتبار الخط الرومي هو الخط اللاتيني؟

المحور الأول: اللاتينية في المصادر العربية إلى حدود القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي

أولا: إشارة البكري

تغيب الإشارة للاتينية أو اللاتين، بمختلف الصيغ في المصادر العربية (المطلع عليها) على اختلاف أنواعها قبل القرن الخامس الهجري، بل حتى المصادر التي اهتمت بالفهارس، أو بالأقلام والخط، لم تشر للخط اللاتيني أو القلم اللاتيني، فابن النديم مثلا، أشار لأغلب الأقلام أو الخطوط المعروفة، إلا انه لم يشر للاتيني، وكذلك القلقشندي.

وأقدم إشارة تم تسجيلها عن اللاتينية، وردت في كتاب "المسالك والممالك" لأبو عبيد البكري (ت ٤٨٧ هـ)، وقد ذكرها مرتين، جاءت الأولى في معرض حديثه عن مدينة إشبيلية، حيث أورد: "وهي قديمة أولية، زعم أهل العلم باللسان اللطيني أن أصل تسميتها إشبال معناه المدينة المنبسطة، ويقال إن الذي بناها يوليش قيصر وإنه أول من تسمى قيصر"(١).

أما إشارته الثانية، فقد جاءت عند حديثه عن مدينة طليطلة، حيث أورد: "ذكر مدينة طليطلة: معنى طليطلة باللطيني تولاظو، معناه فرح ساكنها يريدون لحصانتها ومنعتها"(٢)، والتأمل في هاتين الإشارتين، يجعلنا نقف على عدة ملاحظات، أهمها:

- اقترنت إشارتي البكري بمدينتين أندلسيتين فقط، رغم أن البكري فصل في تاريخ المدن من الشرق إلى الغرب، وأورد معطيات كثيرة عنها، إلا ان الحديث عن اللاتينية ارتبط بإشبيلية وطليطلة فقط، بينما لم يشر لأي ارتباط بين اللاتينية ومناطق أخرى عرفت أيضا (حسب السردية الرسمية) بأنها لاتينية.

- اقترنت الإشارتان عند البكري باللسان، وليس الحرف أو القلم أو الخط، وهو ما يحيل إلى اللهجة وليس إلى الكتابة.

---

(١)- البكري، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص ٩٠٢.

(٢)- نفسه، ص ٩٠٧

يمكن القول إذا بغياب أي وجود لاتيني في المصادر العربية، إلى حدود القرن الخامس الهجري زمن البكري، وقد يعترض البعض على هذا الرأي، بالقول، أن اللاتين وردوا تحت اسم الروم، وأن اللسان يمكن أن يعني الخط أو القلم أيضا، ولا يشترك أنه يعني لهجة فقط، وهو ما ينسف الافتراض السابق، لكن هذا القول مردود عليه من ستة أوجه:

- **الوجه الأول:**

أن البكري خصص فصلا كاملا للروم والحديث عن تاريخهم، فكان من باب أولى أن يربطهم باللاتينية واللاتيني، فلماذا صمت عن هذا الربط وهو الذي تحدث عن تاريخ الروم وملوكها ومدنها وغيرها؟

- **الوجه الثاني:**

أشار البكري مرارا إلى أن لسان الروم كان الإغريقية، حيث أورد عند حديثه عن طيطش: "ثم ملك بعده ابنه طيطش، فكان أحكم ملوك أهل المجوسية باللسان الإغريقي"[1]، كما أورد حول دخول الرشيد إلى أحد المدن الرومية: "قال أبو العباس: أخبرني شبل الترجمان قال: كنت مع الرشيد حين نزل على هرقلة، فلما افتتحها رأيت حجرا منصوبا مكتوبا عليه باليونانية، فجعلت أترجمه وأمير المؤمنين ينظر إلي وأنا لا أعلم"[2]؛ تؤكد هذه الشواهد النصية أن الخط الذي كان يكتب به الروم هو اليوناني/ الإغريقي، ولم ترد الإشارة بتاتا عند البكري إلى اللاتيني، فكيف يصمت عن هذا المعطى الهام ولا يورده؟

- **الوجه الثالث:**

أن البكري يقيم تمايزا بين اللسان والقلم، فهذا الأخير يعني الخط، ودليل ذلك ما أورده البكري حول القلم المصري القديم: "قيل له: فما بال هذا القلم الذي على

(١)-البكري، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص ٣٠٨

(٢)- نفسه، ص ٣١٦

الأهرام والبرابي لا يفهم؟"(١) ويضيف في نص آخر: "وقد جعل بإزاء كل تمثال تمثال من المرمر والرخام على هيئة الصنم على حسب عبادتهم للتماثيل، (وعليها أنواع من) الكتابات لم يقف على استخراجها أحد من أهل الملل، وزعم قوم من أهل الدراية أن لذلك القلم مذ فقد من أرض مصر أربعة آلاف سنة"(٢)، كما أورد خلال حديثه عن الإسكندر الأكبر أنه: "أتى موضع الإسكندرية فأصاب أثر بنيان وعمد رخام منها عمود عظيم مكتوب عليه بالقلم المسند- وهو القلم الأول من أقلام حمير وملوك عاد(٣)

أما اللسان عند البكري فيعني اللهجة أو اللغة، كما تدل على ذلك عدد من النصوص التي أوردها منها، ما أوردها بخصوص لسان شعيب الذي "كان عربي اللسان"(٤)، كما أورد بخصوص الألسنة: "فيقال: عند ذلك تبلبلت ألسن الناس من الفزع، فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا، فلذلك سميت بابل، وإنما كان لسان الناس قبل [ذلك] بالسريانية"(٥)، كما أورد عن الروس: "وسكنى بروس على البحر المحيط وهم لسان على حدة لا يعرفون ألسنة المجاورين لهم"(٦)، ويضيف في نص آخر: "ولسان الخزر غير لسان الترك والفرس وهي لغة لا تشاركها لغة من لغات الأمم"(٧)، ويورد في نص آخر: "فكلموها بكل لسان علم هناك فلم تجاوب منهم أحدا"(٨).

يبدو واضحا من خلال هذه النصوص، أن البكري يميز بين القلم واللسان، فيعني الأول الكتابة أو الخط، بينما يعني الثاني اللغة أو اللهجة، وفي الإشارتين اللتين

(١)-البكري، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص ٥١٢
(٢)- نفسه، ص ٥٢٣
(٣)- نفسه، ص ٦٢٨
(٤)- نفسه، ص ١١٣
(٥)- نفسه، ص ١٠٧
(٦)- نفسه، ص ٣٣٤
(٧)- نفسه، ص ٤٤٨
(٨)- نفسه، ص ٦٦٥

أوردهما حول اللاتينية اقترنتا باللسان، أي اللهجة، ولا ورود للحرف في هذا السياق، إن صمت البكري في هذا السياق يمكن ربطه بالغياب، أي غياب القلم اللاتيني؟

- **الوجه الرابع**

ربط البكري في إشارتيه بين اللاتينية والأندلس، في حين أنه كان يقيم تمايزا بين الروم والأندلس، فكان يتحدث عنهما كمنطقتين، بل وثقافتين مختلفتين، كما تؤكد ذلك نصوص البكري عن الروم أو الأندلس التي كان يهمين فيها الجلالقة، أكثر من هذا فإن العلاقة بين الروم والجلالقة كانت عدائية وحربية، فكيف إذا يقترن ذكر اللاتيني بالأندلسي فقط؟

- **الوجه الخامس:**

ويتعلق بترتيب البكري إذ ينتقل من ملوك الإغريق بمصر والشام إلى تاريخ الروم، ثم يعقبها مباشرة بملوك السودان والبربر، وتبقى أوروبا في الأخير، ولنا أن نتساءل عن سر هذا التدرج في الترتيب؛ إضافة لهذا فقد أورد البكري أثناء حديثه عن الأقاليم، أن الخامس "يمر في بلاد الروم على خرشنة، ثم يمر بسواحل الشام مما يلي الشمال، ثم يمر على بلاد الأندلس"(1)، لا يبدو هذا الترتيب عشوائيا، أو خطأ من المؤلف، بل له أكثر من دلالة جغرافية لا يسع مجال الدراسة في تناولها، وما يهمنا هو وجود فصل مجالي بين الأندلس والروم.

ثانيا: إشارة الإدريسي

تنعدم أي إشارات أخرى متعلقة باللاتينية بعد البكري، ولن تظهر إشارة أخرى إلا بعد حوالي قرن من الزمن، عند الشريف الإدريسي (ت ٥٦٠ ه) الذي أورد إشارة جد مهمة في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عند حديثه عن مدينة قفصة، جاء فيها: "وأهلها متبربرون وأكثرهم يتكلم باللسان اللطيني الأفريقي"(2)، تعتبر

(١)-البكري، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص ١٨٥

(٢)- الادريسي، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ٢٧٨

هذه الإشارة جد هامة، إذ تشير إلى أن أهالي قفصة، متبربرون، أي من البربر أو البرابر، وأن لسانهم (لهجتهم) هي اللاتينية الأفريقية.

لا يضيف الشريف الإدريسي أي معطيات أخرى تتعلق بهذا الأمر، وبالعودة إلى كلمة لسان يتأكد من أنها تعني اللغة واللهجة ولا تعني الحرف والخط، وبالتالي يجوز السؤال عن سبب الربط بين البربرية الأفريقية واللاتينية؟

إضافة لهذا فإن كثيرا من الأسئلة تطرح نفسها: إذ لماذا لم يورد الإدريسي اللاتينية أو ما يدل عليها في أي موضع آخر؟ لماذا سكتت المصادر التي أرخت لهذه الفترة عن هذا المعطى؟ وما العلاقة بين الأفريقي واللطيني؟ ألا يفترض أن اللسان اللاتيني (اللطيني) ينتمي لشمال المتوسط، فما علاقته بقفصة التي تنتمي لجنوب المتوسط (حسب السردية الرسمية دائما)؟

كيف لم يسجل الإدريسي حضور اللاتينية في أوروبا وأفريقيا وهو الذي تعلم في قرطبة وعاش في صقلية (حسب السردية الرسمية)، وهي مناطق تعتبر "لاتينية"؟ بل إن كتابه كان إهداء لملك إيطالي ومع ذلك لا يشير لأي حضور للاتينية؟ كيف يتجاهل الإدريسي هذا المعطى اللساني المهم وهو الذي اهتم بتدوين كل المظاهر الثقافية (بالمفهوم الشامل للثقافة) للشعوب موضوع كتابه؟ ثم ما سبب عدم وجود أي طبعة لاتينية من كتاب الشريف الإدريسي الذي قدمه للملك الإيطالي روجر الثاني إلى غاية القرن السابع عشر، علما أن النسخة العربية المطبوعة منه صدرت سنة ١٥٩٢؟ .

المحور الثاني: اللاتينية في المصادر العربية بعد القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي

ستتوإلى الإشارات إلى اللاتينية بعد القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، ويمكن تقسيم حضور اللاتينية في المصادر العربية الإسلامية خلال هذه الفترة إلى مستويين، تعلق الأول منها باجترار ما ورد في المصادر السابقة خاصة إشارتي البكري، أما المستوى الثاني فقد قدم معطيات تاريخية أو جغرافية جديدة.

أولا: اجترار الإشارات السابقة

١- إشارتي البكري

- إشبيلية

وردت الإشارة إلى إشبيلية في كتب الجغرافيا والموسوعات الجغرافية، حيث أوردها الحميري (ت ٩٠٠ هـ) في كتابه الروض المعطار في خبر الأقطار، بنفس الصيغة التي أوردها البكري ولم يضف أي جديد لها، ف"إشبيلية مدينة بالأندلس جليلة بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام ومن الأميال ثمانون، وهي مدينة قديمة أزلية يذكر أهل العلم باللسان اللطيني أن أصل تسميتها إشبالي معناه المدينة المنبسطة ويقال إن الذي بناها يوليش القيصر وإنه أول من تسمى قيصر"(١). كما اجتر نفس الإشارة في كتابه "صفة جزيرة الأندلس" حول إشبيلية دون أي إضافات أو تعديلات(٢)

-طليطلة

يجتر الحميري رواية البكري بخصوص طليطلة دون أي إضافات أخرى، حيث أورد ما نصه: "وزعموا أن معنى طليطلة باللطيني " تولاطو " - معناه " فرح

(١)- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، "الروض المعطار في خبر الأقطار"، تحقيق عباس إحسان، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠، ص٥٨

(٢)- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، "صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار"، تصحيح وتعليق ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت -لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٨، ص ١٨

ساكنها " يريدون لحصانتها ومنعتها"[1]؛ وأضاف في صفة جزيرة الأندلس: "فرح ساكنوها، يريدون لحصانتها ومنعتها"[2].

٢- إشارة الإدريسي

رغم أن الحميري يجتر نفس معطيات الإدريسي، حول قفصة لكنه يقدم بعض المعطيات الإضافية المهمة، حيث أورد عن قفصة:" وكان على أحد أبوابها كتابة منقوشة في حجر من عمل الأول ترجمت فإذا هي: هذا بلد تحقيق وتدقيق وتدنيق، وكذلك ليس بأفريقية حريم أجمل من حريم قفصة.. وأهل قفصة يتنافسون في المياه كلها ويتبايعون سقيها بأعلى ثمن، وأكثرهم يتكلم باللسان اللطيني الأفريقي. ومدينة قفصة مركز البلاد الدائرة بها"[3].

تعتبر هذه الرواية مهمة، إذ أكد الحميري فيها انتماء قفصة لأفريقية، ووجود كتابة قديمة فيها، وهي مركز البلاد فيها، حيث يوجد اللسان اللطيني الأفريقي، لكنه لا يشير هل هذه الكتابة تتعلق باللسان اللطيني، أم أنها كتابة بخط ولسان آخر.

أيا كان الجواب، فسيكون مناقضا للسردية الرسمية، إذ لو افترضنا أن هذه الكتابة القديمة هي اللاتينية او اللسان اللطيني الأفريقي، فسنخلص إلى أن الحرف اللاتيني هو حرف أفريقي، كان لسانا لمنطقة مهمة تشكل قفصة مركزها أو عاصمتها، وبالتالي نصبح أمام القول بالأصول الأفريقية للحرف اللاتيني، وهو ما ينافي السردية الرسمية التي تقول بالأصل الأوروبي للسان اللاتيني.

أما إذا كانت الكتابة بحرف آخر، فسيدفع هذا إلى القول بأن اللسان الأفريقي اللطيني لسان طارئ ومستحدث، وأنه إلى ما بعد القرن السابع الهجري، لم يعرف طريقه للتشكل بعد ككتابة، وفي هذا مأزق كبير للسردية القائمة.

---

(١)- الحميري، الروض ... مرجع سابق، ص ٣٩٤

(٢)- الحميري، صفة ... مرجع سابق، ص ١٣٣. الحميري، الروض...، ص ٣٩٤

(٣)- الحميري، الروض ...، مرجع سابق، ص ٤٧٨

ثانيا: معطيات جديدة

١- معطيات بشرية

أوردت المصادر العربية اللاتينية مقترنة بترجمة "الشاطبي أبو محمد القاسم بن فيره"، الذي يعتبر واحدا من أشهر علماء القراءات في الأندلس وبلاد الغرب الإسلامي على العموم، حيث جاء في معرض ترجمته عند الشارعي "وفيره: بكسر الفاء وسكون الياء المثناة من تحت، وتشديد الراء المهملة المضمومة، وهو بلغة اللطينى من أعاجم الأندلس، ومعناه بالعربى: الحديد"(١).

وقد وردت نفس الترجمة بنفس اللفظ والمعنى عند ابن خلكان في وفيات الأعيان(٢)، وكذلك عند نكث الهميان(٣)، ولا تتضمن هذه الإشارات أي معطيات إضافية باستثناء الإشارة إلى أن اللطيني هو لغة بعض من أعاجم الأندلس.

وفق هذا المعطى، ينحصر مجال لاتينية الأندلس في أنها لسان بعض من أعاجمها، ويتأكد افتراض أننا أمام نوعين من اللاتينية، الأولى لسان برابرة قفصة الأفريقية وهي اللاتينية الأفريقية، والثانية لسان بعض من أعاجم الأندلس وهي اللاتينية الأندلسية.

١- معطيات جغرافية:

وردت الإشارة إلى عدد من المواقع الجغرافية الجديدة ارتبطت باللاتينية، وقد انفرد الحميري بهذه الإشارات في كتابيه "الروض المعطار" و"صفة جزيرة الأندلس"، لكونه جمع ما تضمنته المصادر السابقة، وقدم عملا جمع بين العمل الموسوعاتي والتلخيص، وبتجميع الإشارات الجغرافية الواردة عند الحميري جاءت كالتالي:

---

(١)- موفق الدين أبو محمد بن عبد الرحمن، ابن الشيخ أبي الحرم مكّي بن عثمان الشارعي الشافعي، " مرشد الزوار إلى قبور الأبرار"، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، ٦٣١

(٢)- شمس الدين ابن خلكان، "وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان"، تحقيق إحسان عباس، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، ١٩٧١، ص ٧٢

(٣)- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، "نكث الهميان في نكت العميان"، تعليق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص ٢١٣

- **طركونة**

أشار الحميري، خلال ترجمته لمدينة أركونة الأندلسية أنه قد "ذكر أهل العلم باللسان اللطيني أن معنى طركونة الأرض المشبهة بالمعجنة، وكانت في قديم الزمان خالية لأنها كانت فيها بين حد المسلمين والروم، والأحناش بها مؤذية كثيرة، ومياهها كثيرة"(1)، كما وردت نفس الإشارة بذات اللفظ في كتابه صفة جزيرة الأندلس(2).

بغض النظر على أن طركونة هي الحد بين بلاد الروم والمسلمين، فإن إشارته تتضمن معطى مهم، وهي أن الأحناش مؤذية وكثيرة، وهي حسب الحميري وبعض المعاجم وغيرها، كل ما يدب على الأرض من حيات وأفاعي وعقارب وغيرها، والمهم في هذا المعطى، أن هذا النوع من الزواحف، يظهر وينتشر في البيئات الحارة، أما أحناش البيئات الباردة فلا تكون مؤذية؛ وبالعودة إلى موقع طركونة الحارة، نجد أن درجة حرارتها لا تتجاوز الثلاثين، فيبدو أن الحديث عن منطقة حرارتها فوق المتوسط على الأقل.

- **قرمونة**

أشار الحميري إلى مدينة قرمونة التي توجد شرق إشبيلية، مشيرا أنها "مدينة كبيرة قديمة وهي باللسان اللطيني: كارب مويه - وهي الكاف والألف والراء والباء المعجمة بواحدة، معناه "صديقي"(3)، كما وردت نفس الإشارة بذات اللفظ في كتابه صفة جزيرة الأندلس(4).

-ماردة

(1)- الحميري، الروض ... مرجع سابق، ص ٣٩٢
(2)- الحميري، صفة ... مرجع سابق، ص ١٢٦
(3)- الحميري، الروض ... مرجع سابق، ص ٤٦١
(4)- الحميري، صفة ... مرجع سابق، ص ١٥٨

أشار الحميري إلى مدينة ماردة، موردا أنه "وتفسير ماردة باللطيني:"مسكن الأشراف"(1)، كما وردت نفس الإشارة بذات اللفظ في كتابه صفة جزيرة الأندلس(2).

-أريولة

أشار الحميري إلى مدينة أريولة، موردا أنها "ومدينة أوريولة قديمة أزلية كانت قاعدة العجم وموضع مملكتهم، وتفسيرها باللطيني الذهبية"(3)، كما وردت نفس الإشارة بذات اللفظ في كتابه صفة جزيرة الأندلس(4).

-لورقة

أشار الحميري إلى مدينة لورقة، موردا: "وتفسير لورقة باللطيني "الدرع الحصين"، وهذا الاسم وافق معناه لأنها من المعاقل الحصينة"(5)، كما وردت نفس الإشارة بذات اللفظ في كتابه صفة جزيرة الأندلس(6).

الملاحظ أن هذه الإشارات لا تتجاوز الإشارة إلى المقابل في اللسان اللاتيني لأسماء بعض المدن الأندلسية، وهي كلها إشارات عابرة قصيرة، لا يمكن أن تسهم في تشكيل رؤية عن حضور اللسان اللاتيني في هذه المنطقة.

الملاحظ أيضا أن هذه الإشارات اقتصرت على منطقة الأندلس، دون باقي المناطق، وأنها خاصة ببعض من أعاجم الأندلس، وهو ما يقوي فرضية أن اللسان اللاتيني المقصود كان لسان حال مجموعة بشرية موجودة من أعاجم الأندلس خلال هذه الفترة.

---

(١)- الحميري، الروض ... مرجع سابق، ص ٥١٨

(٢)- الحميري، صفة ... مرجع سابق، ص ١٧٦

(٣)- الحميري، الروض ... مرجع سابق، ص ٦٧

(٤)- الحميري، صفة ... مرجع سابق، ص ٣٤

(٥)- الحميري، الروض ... مرجع سابق، ص ٥١٢

(٦)- الحميري، صفة ... مرجع سابق، ص ١٧٢

ثالثا: معطيات تاريخية

أوردت النصوص بعض الإشارات التاريخية المرتبطة باللاتينية، وبتجميعها وتنظيمها، تم الحصول على الآتي:

-الراهب نقولا

تعتبر قصة "نقولا الراهب" الذي أرسله أرمانيوس إلى الناصر من أجل ترجمة أحد كتب الطب، الرواية التاريخية التي وردت فيها الإشارة إلى اللاتينية، وقد جاءت القصة في عدد من المصادر يرجع أقدمها إلى القرن السابع الهجري، رغم أن القصة تدور في فترة الناصر خلال القرن الرابع الهجري بالأندلس.

وفيما يلي نسوق الرواية كما وردت عند ابن أبي أصبيعة، مع بيان التعديلات والإضافات الواردة في المصادر الأخرى:

"وكتب أرمانيوس في كتابه إلى الناصر إن كتاب ديسقوريدس لا تجتنى فائدته إلا برجل يحسن العبارة باللسان اليوناني ويعرف أشخاص تلك الأدوية، فإن كان في بلدك من يحسن ذلك فزت أيها الملك بفائدة الكتاب وأما كتاب هروسيس فعندك في بلدك من اللطينيين من يقرأه باللسان اللطيني وإن كشفتهم عنه نقلوه لك من اللطيني إلى اللسان العربي.

قال ابن جلجل ولم يكن يومئذ بقرطبة من نصارى الأندلس من يقرأ اللسان الإغريقي الذي هو اليوناني القديم فبقي كتاب ديسقوريدس في خزانة عبد الرحمن الناصر باللسان الإغريقي ولم يترجم إلى اللسان العربي وبقي الكتاب بالأندلس والذي بين أيدي الناس بترجمة أسطفن الواردة من مدينة السلام بغداد.

فلما جاوب الناصر أرمانيوس الملك سأله أن يبعث إليه برجل يتكلم بالإغريقي واللطيني ليعلم له عبيدا يكونون مترجمين فبعث أرمانيوس الملك إلى الناصر براهب كان يسمى نقولا فوصل إلى قرطبة سنة أربعين وثلثمائة وكان يومئذ بقرطبة من الأطباء قوم لهم بحث وتفتيش وحرص على استخراج ما جهل من أسماء عقاقير كتاب

ديسقوريدس إلى العربية وكان أبحثهم وأحرصهم على ذلك من جهة التقرب إلى الملك عبد الرحمن الناصر حسداي بن بشروط الإسرائيلي وكان نقولا الراهب عنده أحظى الناس وأخصهم به وفسر من أسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس ما كان مجهولا"[1]

ويخالف شمس الدين الذهبي جزئية مهمة في هذه الرواية، فبينما يعتبر ابن أبي اصبيعة أنه لم يكن في البلاد من يعرف اللسان الإغريقي، وصمت على اللسان اللاتيني، يورد الذهبي أنه "وكان بالأندلس من يتكلم به، ثم كاتبه الناصر وسأله أن يبعث إليه برجل يتكلم باليوناني واللطيني، ليعلم له عبيدا، حتى يترجموا له، فبعث إليه براهب يسمى "نقولا""[2] محيلا بذلك على اللسان اللاتيني. أما الصفدي فيخالف الذهبي، إذ يذكر أن الناصر استقدم نقولا "لأجل كتاب ديسقوريدوس لأنه كان يعرف اللسان اللطيني"[3]

حسب رواية ابن أبي أصبيعة، فإن الهدية جاءت من ملك القسطنطينية إلى الملك الناصر، بكتاب يتضمن تاريخ الروم، وأنه نصحه بأن ينظر من يترجمه من أعاجم الأندلس باللاتينية، لكن لم يجد من يعرف اللسان "اللاطيني" في البلاد فطلب استقدام مترجم أجنبي.

ولا يمكن الوثوق لرواية الذهبي الذي ذكر بوجود من يعرف اللاتينية، والا فما الذي كان سيدعوه (حسب نفس الرواية) إلى طلب مترجمين أجانب لتعليم عبيده؟

(١)- أبو العباس ابن أبي أصيبعة، "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت، صص ٣٩٣-٣٩٤

(٢)- شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣، الجزء ٢٧، ص ٢١٣

(٣)- صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، "الوافي بالوفيات"، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث–بيروت، ٢٠٠٠، الجزء ١٣، ص ٢٩٣

فالراجح إذن أن الناصر طلب مترجمين أجانب لعدم وجود من يتحدث او يكتب باللسان اللاتيني

الملاحظ أيضا من هذه الروايات كلها لم تظهر إلا بعد القرن السابع الهجري، وقد كان أول مصدر أشار إليها، هو "عيون الأبناء في طبقات الأطباء"، وهو المصدر الذي لم يتم طبعه إلا سنة ١٨٨٢ بمصر تحت إشراف الألماني "أوغست مولر" وكل الطبعات التي جاءت بعده اعتمدت على طبعة مولر، ولنا أن نتساءل: كيف تسكت المصادر الإسلامية عن واقعة مهمة كواقعة الراهب نقولا طيلة أربعة قرون لم تشر إليها، إلى أن جاء ابن أبي أصبيعة؟ وكيف سكتت المصادر المغربية والأندلسية عن هذه الواقعة وأوردها مصدر شامي؟

-اللاتين والإغريق

وردت الإشارة إلى اللاتين بعد القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، في إشارتين عند القلقشندي، متعلقتان بالصراع الإغريقي اللاتيني، حيث أورد في عند حديثه عن ملوك اليوناني وانحدارهم من يونان بن يافث "وتوإلى الملك في ولده، وقهروا اللطينيين ودال ملكهم في أرمينية"[١].

وأرود في الإشارة الثانية عن ظهور اللسان اللطيني: "ثم ملك بعده ابنه (بريامش) واتصل الملك في عقب بيقش المذكور وإخوته إلى أن كان منهم كرمنش بن مرسية بن شبين بن مزكة، بعد أربعة آلاف وخمسين لأول العالم في زمن بار بن كلعاد من ملوك بني إسرائيل، وهو الذي ألف حروف اللسان اللطيني ولم تكن قبله[٢].

وتستوقفنا عنا عدة ملاحظات، نجملها فيما يلي:

- الملاحظة الأولى:

(١)- أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الجزء الخامس، ص ٣٦٠.

(٢)- القلقشندي، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص ٣٦٢

تحول الصراع من الإغريقي الرومي إلى اللاتيني الإغريقي، فإلى حدود فترة القلقشندي (القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي) كان الصراع روميا/ اغريقيا، لكن خلال هذه المرحلة سيظهر اللاتين مرادفا للروم، ويصبح الصراع لاطينيا اغريقيا، وهذا الظهور المتأخر يطرح كثيرا من الأسئلة عن سببه، وعدم وروده في مصادر سابقة، والأهم عن المصادر التي استقى منها القلقشندي مادته هذه حول اللاتين.

- الملاحظة الثانية:

رغم أن القلقشندي خصص كتابه لفن صناعة الإنشاء لفن الكتابة، وأفرد حيزا مهما للأقلام واللغات، فإنه لم يشر للقلم اللاتيني وكل ما ورد في إشاراته حول تأليف حروف اللسان اللاتيني، في مرحلة لاحقة لتكون اللاطين الذين انهزموا أمام أبناء "يونان"، ولعل هذا ما يوجب التساؤل عن سبب غياب الإشارة للقلم اللاتيني، وكيف يعقل أن يتجاهلها القلقشندي وقد أفرد جانبا لكل الأقلام المعروفة وقته؟ كما أنه ألح على الكتاب بمعرفة الأقلام المعروفة في وقتهم؟ فهل كان القلم اللاتيني غير موجودا؟ أو ليس مهما؟

إن صمت القلقشندي عن القلم اللاتيني وتجاهله الكامل له، باستثناء الإشارتين السابقتين واللتين وردتا خلال الحديث عن ظهور الإغريق واعتبار اللاتين مجموعة بشرية طارئة، تأسست حروف لسانهم في وقت لاحق دون أي تفاصيل إضافية، يمكن أن يعد مؤشرا على الغياب أو الهامشية على الأقل للحرف اللاتيني.

المحور الثالث: السردية الخلدونية

يشكل ابن خلدون محطة هامة في تاريخ السردية اللاتينية، ولابد من تخصيص مجال منفرد لها، وذلك أنه جاء في مرحلة تاريخية انقلبت فيها موازين القوى صوب شمال البحر الأبيض المتوسط، وغدت أوروبا قوة صاعدة تشكل سرديتها التاريخية الخاصة، في حين بدأ نجم الحضارة العربية الإسلامية بالأفول، وسنورد أغلب النصوص التي وردت فيها اللاتينية واللاتين عنده[1] ثم تسجيل بعض الملاحظات والتعليقات حولها.

أولا: النص الأول:

ورد اللاتين واللاتينية في مقاطع متعددة عند ابن خلدون، وأول ورودها تعلق بالإنجيل إذ أورد: "ثم كتبوا الإنجيل الذي أنزل على عيسى صلوات الله عليه في نسخ أربع على اختلاف رواياتهم فكتب متى إنجيله في بيت المقدس بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدي منهم إلى اللسان اللاتيني وكتب لوقا منهم إنجيله باللاتيني إلى بعض أكابر الروم وكتب يوحنا بن زبدي منهم إنجيله برومة وكتب بطرس إنجيله باللاتيني ونسبه إلى مرقاص تلميذه واختلفت هذه النسخ الأربع من الإنجيل"[2].

ثانيا: النص الثاني:

يفرد ابن خلدون نصا آخر لتاريخ الخط اللاتيني، ففي الفصل الخامس والثلاثون من الجزء الأول الذي خصصه ل"لمقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتأليف وإلغاء ما سواها، وقد جاء في هذا النص: "ثم الكتابة مختلفة باصطلاحات البشر في رسومها وأشكالها، ويسمى ذلك قلما وخطا... ومنها الخط اللطيني، خط اللطينيين من

(١)- نظرا لطول نصوص ابن خلدون فسنقوم باستحضار ما تعلق بشكل مباشر باللاتينية أو اللاتين.

(٢)-ابن خلدون، "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت –لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٨، الجزء الأول، ص ٢٨٩

الروم، ولهم أيضا لسان مختص بهم. ولكل أمة من الأمم اصطلاح في الكتاب يعزى إليها ويختص بها.....

وأما اللطيني فكان الروم، وهم أهل ذلك اللسان، لما أخذوا بدين النصرانية، وهو كله من التوراة، كما سبق في أول الكتاب، ترجموا التوراة وكتب الأنبياء الإسرائيليين إلى لغتهم، ليقتنصوا منها الأحكام على أسهل الطرق. وصارت عنايتهم بلغتهم وكتابتهم آكد من سواها"[1].

ثالثا: النص الثالث:

يفصل ابن خلدون في تاريخ الروم واليونان وأنسابهم حيث أورد في الجزء الثاني من كتابه العبر: "ثم إن المحققين ينسبون الروم جميعا إلى يونان الإغريقيون منهم والطينيون... ونسب الروم اللطينيين فيهم ولم يعين نسبهم في أحد من الخمسة ... ونسب القوط إلى ماداي بن يافث وجعل من إخوانهم الأرمن، ثم نسب القوط مرة أخرى إلى ماغوغ بن يافث وجعل اللطينيين من إخوانهم في ذلك النسب ... واسم الغريقيين عنده يشمل أبناء يونان كلهم كما ذكره، وينوع الروم إلى الغريقيين واللطينيين...وإن الشعوب الثلاثة من ولد يونان، فالإغريقيون من ولد أغريقش بن يونان والروم من ولد رومي بن يونان واللطينيون من ولد لطين بن يونان، وإن الإسكندر من الروم منهم والله أعلم"[2].

رابعا: النص الرابع:

وجاء في نص آخر: "هؤلاء اليونانيون المتشعبون إلى الغريقيين واللطينيين- كما قلناه- اختصوا بسكنى الناحية الشمالية من المعمور مع إخوانهم من سائر بني يافث كلهم كالصقالبة والترك والافرنجة من ورائهم وغيرهم من شعوب يافث، ولهم منها الوسط ما بين جزيرة الأندلس إلى بلاد الترك بالمشرق طولا وما بين البحر المحيط

(١)-ابن خلدون، "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، الجزء الأول، صص ٧٣٠-٧٣١

(٢)- نفسه، الجزء الثاني، صص ٢١٨-٢١٩.

والبحر الرومي عرضا، فمواطن اللطينيين منهم في الجانب الغربي ومواطن الغريقيين منهم في الجانب الشرقي والبحر بينهما خليج القسطنطينية. وكان لكل واحد من شعبي الغريقيين واللطينيين منهم دولة عظيمة مشهورة في العالم.

... وكانت شعوب هذه الأمة قبل الفرس والقبط وبني إسرائيل متفرقة بافتراق شعوبها، وكان بينهم وبين إخوانهم اللطينيين فتن وحروب ... ولما فرغوا من شأن أهل فارس وأنفوا ملكهم بالجزى والطاعة صرفوا وجوههم إلى حرب اللطينيين، ثم استفحل أمر الإيشاءيين من الغريقيين ولم يكن قوامهم إلا الجرمونيون، فغلبوهم وغلبوا بعدهم اللطينيين والفرناسيين والأركاديين، واجتمع إليهم سائر شعوب الغريقيين واعتز سلطانهم وصار لهم الملك والدولة.

وقال ابن سعيد: إن الملك استقر بعد يونان في ابنه أغريقش في الجانب الشرقي من خليج قسطنطينية، وتوإلى الملك في ولده وقهروا اللطينيين والروم ودال ملكهم في أرمينية ... وانفرد الإغريقيون برئيس لهم، وصنع مثل ذلك اللطينيون، إلا أن اللقب بملك الملوك كان لملك الروم، ثم ملك بعده ابنه مطريوش فحمل الإتاوة لملك الفرس لاشتغاله بحرب اللطينيين والإغريقيين..."[1]

خامسا: النص الخامس

"وجمع سبعين من أحبار اليهود ترجموا له التوراة من اللسان العبراني إلى اللسان الرومي واللطيني، ثم هلك فلديغيش لثمان وثلاثين سنة من ملكه"[2].

سادسا: النص السادس:

"الخبر عن اللطينيين وهم الكيتم المعرفون بالروم من أمم يونان وأشياعهم وشعوبهم وما كان لهم من الملك والغلب وذكر الدولة التي فيهم للقياصرة وأولية ذلك ومصايره

(١)-ابن خلدون، "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، الجزء الثاني، صص ٢٢٠-٢٢١.

(٢)- نفسه، الجزء الثاني، ص ٢٢٤.

هذه الأمة من أشهر أمم العالم وهي ثانية الغريقيين عند هروشيوش ويجتمعان في نسب يونان، وثالثتهم عند البيهقي ويجتمعون في نسب يونان بن علجان بن يافث، واسم الروم يشملهم ثلاثتهم لما كان الروم أهل المملكة العظمى منهم، ومواطن هؤلاء اللطينيين بالناحية الغربية من خليج القسطنطينية إلى بلاد الافرنجة فيما بين البحر المحيط والبحر الرومي من شمالية. وملك هذه الأمة قديما كانت لهم مدينة اسمها طروبة، وذكر هروشيوش أن أول من ملك من اللطينيين ألفنس بن شطرنش بن أيوب وذلك لعهد دائرة بني إسرائيل وقد مر ذكرها في آخر الألف الرابع من مبدإ الخليقة. وملك من بعده ابنه بريامش واتصل الملك في عقب الفنس هذا وإخوته وكان منهم كرمنس بن مرسية بن شيبن بن مزكة الذي ألف حروف اللسان اللطيني وأثبتها ولم تكن قبله، وذلك على عهد يؤاثير بن كلعاد من حكام بني إسرائيل بعد أربعة آلاف وخمسين من مبدإ الخليقة"[1].

سابعا: النص السابع

"الخبر عن ملوك القياصرة من الكيتم وهم اللطينيون ومبدإ أمورهم ومصاير أحوالهم

لم يزل أمر هؤلاء الكيتم وهم اللطينيون راجعا إلى الوزراء منذ سبعمائة سنة، كما قلناه من عهد بناء رومة أو قبلها بقليل كما قال هروشيوش، تقترع الوزراء في كل سنة فيخرج قائد منهم إلى كل ناحية كما توجبه القرعة فيحاربون أمم الطوائف ويفتحون الممالك. وكانوا أولا يعطون إخوانهم من الروم اليونانيين طاعة معروفة بعد الفتن والمحاربة، حتى إذا هلك الإسكندر وافترق أمر اليونانيين والروم وفشلت ريحهم وقعت فتنة هؤلاء اللطينيين وهم الكيتم مع أهل أفريقية، واستولوا عليها مرارا وخربوا قرطاجنة ثم بنوها كما ذكرناه"[2].

(١)-ابن خلدون، "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، الجزء الثاني، ص ٢٣٢.

(٢)- نفسه، الجزء الثاني، ص ٢٣٥.

المحور الرابع: مناقشة السردية الخلدونية

لقد تعددت النصوص التي وردت فيها اللاتينية او اللاتين او اللاطين، وهي نصوص سمتها التناقض والاضطراب، وكأن كاتبها لم يكن واحدا، ولا نعلم هل مرد الأمر إلى منهج ابن خلدون في تدوين التاريخ والنقل منه، أم لاضطراب النساخ والنسخ؟ أم أن الامر ربما كان تجميعا لشذرات منسوبة إليه فقط؟ أيا كان الحال، ومن خلال النصوص الواردة أعلاه يمكن تسجيل الآتي:

يحيل ابن خلدون عند حديثه عن تاريخ الروم أو اليونان أو غيرهم على المؤرخ هروشيوش المعروف بأوروسيوس، ومن المعروف أن ابن خلدون قد نسب إليه مرارا ما ذكره، عن تاريخ الروم والإغريق واللاتين وغيرهم، وقد تمت الإشارة سابقا إلى قصة ابن جلجل الذي كان اول من أورد تاريخ أوروسيوس وترجمته في عهد الناصر وغيرها، مما يستلزم دراسة خاصة لأهمية هذا المصدر وما نسب إليه، لكن الإشكال يظل بأي لغة نقل عنها ابن خلدون، فإذا كان قد نقله باللاتيني، فإن النسخة اللاتينية كتبت في زمن متأخر، كما ان هذا النقل يفترض أن ابن خلدون كان عالما بهذه اللغة، وإذا ما افترضنا هذا الأمر، فكيف له أن يتجاهل الخط اللاتيني ولا يفصل فيه وهو ينقل منه؟ اما إذا كان نقله بناء على النسخة العربية، فإن الامر لا يخلو من جملة إشكاليات أبرزها أن النسخة العربية الوحيدة التي وجدت للمخطوط تختلف اختلافا بينا عن النسخة اللاتينية؟ وأنها متأخرة زمنيا عن وقت ابن خلدون؟

يشير ابن خلدون في النص الأول إلى أن أغلب الاناجيل جرت كتابتها باللاتينية، وقد انفرد بخبر نقل يوحنا ابن زبدي للانجيل باللاتينية، وهو خبر لم تنقله أي من المصادر العربية الإسلامية قبله، بل إنه خالف ما ورد حتى في بعض المصادر بعده، فالمقريزي مثلا أورد حول انجيل يوحنا: "ألفه يوحنا ابن زبدي تلميذ المسيح

بعد رفعه بثلاثين سنة، وكتبه باليونانية في بلد آسية، وهو نحو أربع وعشرين ورقة، ويوحنا هذا هو الذي ترجم إنجيل متى من العبرانية إلى اليونانية"[1]

وعلى غرار الملاحظة السابقة، لا يوضح ابن خلدون مصدر خبره هذا، ولا من أين استقاه، بل يقدمه كحقيقة ثابتة لا مجال فيها للظن، وهو ما يطرح كثيرا من الأسئلة حول هذه الرواية، بل إن غياب ما يسندها من روايات وأخبار يدفع إلى تضعيفها، وانفرادها بلفظة اللاتيني التي لا يوجد ما يدعمها حتى عند المؤلف نفسه يدفع إلى تضعيف هذا الخبر.

أما النص الثاني الذي خصصه للخطوط والخط اللاتيني، ففيه جملة ملاحظات وتساؤلات، يمكن اجمالها فيما يلي:

- الملاحظة الأولى:

يؤكد ابن خلدون في هذا النص ما ورد سابقا من التمييز بين الكتابة واللسان، وأن الكتابة أو الحرف يعرفان بالقلم والخط وليس باللسان، ويميز بين اللغة واللسان والعبارة من جهة، والقلم والخط والكتابة من جهة أخرى. يعضد هذا الأمر التساؤلات السابقة حول عدم الإشارة في المصادر العربية الإسلامية إلى القلم اللاتيني وغيابه، وتشكل اللسان اللاتيني بشكل محتشم.

- الملاحظة الثانية:

يشير ابن خلدون إلى أن اللطينين من الروم لهم لسان وخط مختص بهم، وقد كان بذلك النص الأول في المصادر العربية الذي يتحدث عن الخط اللاتيني عوض اللسان فقط، ونفهم من هذا الكلام، أنه لم يكن خطا لكل الروم، بل لبعضهم فقط، وبالتالي وجود فرق بين الروم واللاتين، وهو ما يدحض الرأي الذي يعتبر أن اللاتين هم الروم، وأن الخط اللاتيني هو الرومي.

---

(١)- تقي الدين المقريزي، "إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع"، تحقيق محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٩، الجزء الرابع، ص ١٧٣.

- **الملاحظة الثالثة**

يحدد ابن خلدون الخطوط المعروفة والمستعملة في ثلاثة خطوط وهي: السرياني والعربي والعبري، ورغم إشارته إلى اللاتيني إلا أن الإشارة كانت عابرة، ولم يتوقف عنده نفس توقفه عند الخطوط الأخرى. وهنا يجب التساؤل: كيف لابن خلدون الذي نشأ في القرن الخامس عشر على الضفة الجنوبية للمتوسط في فترة اتسمت باتساع الغزو الايبيري له، أن يتجاهل الخط اللاتيني الذي غدا أساسيا ومهمينا في المنطقة؟ ألا يفترض أن يهتم ابن خلدون (رجل الدولة في المغرب الأقصى وتونس ومصر) بالخط اللاتيني أكثر من اهتمامه بالسرياني لأنه كان على احتكاك مباشر بهذه الثقافة؟ فلماذا تجاهلها؟ وقلل من أهميتها؟ ولم يفرد لها مجالا مهما؟ وهو الذي اشتغل في البلاط المريني الذي عرفت تغلغلا مسيحيا مهما خلال هذه المرحلة؟

- **الملاحظة الرابعة**

لا يشير ابن خلدون إلى تاريخ ترجمة التوراة وغيرها من كتب الأنبياء الإسرائيليين إلى اللاتينية، بل يكتفي بإيراد المعلومة دونما تدقيق، لكن المعطى المهم في هذه الرواية، إشارته أن اهتمام اللاتين بلغتهم لم يبدأ إلا بعد ترجمة الكتاب المقدس إليها، وهذه إشارة جد هامة تؤكد أن كتابة اللاتينية طارئة، حكمتها خلفية دينية من أجل ترجمة الكتاب المقدس.

يبدو واضحا من خلال النص الثالث الاضطراب في تحديد نسب اللاتينيين، إذ أنه يجعل الإغريق واللطينيين من الروم وكلهم منسوبون إلى يونان، ثم يجعل كيتم من أبناء يونان، وينسب اللاطنيين إلى يونان دون أن يحدد نسبهم، ثم يعتبرهم إخوانا للقوط ومن نسب واحد معهم، ثم يجعلهم من نسب رومي ابن يونان وأنهم اخوة للإغريق؛ وهو ما يؤكد أنه إلى زمن ابن خلدون (القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي) لم يكن تصور واضح عن أصول اللاتين.

ويخلف النص الرابع ملاحظتين أساسيتين، إذ يشير ابن خلدون إلى أن اليونانيين (إغريقا ولاطينيين) يسكنون في شمال المعمور مع باقي إخوان يافث، ما بين الأندلس إلى بلاد الترك، وأنهم يستوطنون الجهة الغربية في مقابل الغربية للاغريق؛ ويبدو الارتباك واضحا في هذا الخبر الذي انفرد به ابن خلدون حيال هذه التحديدات والمناطق التي تشملها، ما يؤشر على أن اللاطنين كجماعة إثنية لم تكن ذات ملامح محددة أو ظاهرة.

من جهة أخرى فإن ابن خلدون عندما أشار إلى حروب الإغريق واللطينين والروم، والمعارك التي دارت بين الثلاثة، أقام تمايزا بين الثلاثة، وفي نفس الرواية جعل الروم في مواجهة اليونان التي تتكون من الإغريق واللاتين، وهو بهذا ينسف فرضية أن اللاتين هم الروم، ويؤكد خطأ هذا الافتراض، بل إننا هنا أمام ثلاث مجموعة بشرية مختلفة بينها حروب وعداوات.

ونسجل في النص الخامس ملاحظة أساسية وهي أن التوراة ترجمت إلى اللسانين الرومي واللاتيني، وباعتبار ما أقامه ابن خلدون من تمييز سابق بين اللسان والقلم، ويبدو واضحا أن الحديث في هذا النص حول اللسان وليس القلم، كما أن هذا النص يميز بين اللسان الرومي واللسان اللاتيني.

أما النص السابع فقد تضمن رواية أخرى نسبها إلى جماعة من الإخباريين دون أن يحددهم، ويرجع فيها أصل الروم إلى ولد عيصو بن إسحاق ابن إبراهيم عليهما السلام، وهو خبر لا يجد مستندا في أي مصادر معاصرة، انفرد به ابن خلدون، لكن الإشارة الأهم التي يوردها تتعلق بهروب صفوا إلى الكيتم حيث عظم وحسن في أهل أفريقية، وإذا ما ربطنها باللاتيني الأفريقي، ومنطقة قفصة التي توجد في أفريقية، فيمكن اعتبار هذه الإشارة قد تكون دلالة على الأصول الأفريقية للاتينية.

ولعل أول ملاحظة تبدو في النص الثامن أن ابن خلدون يعوض الروم بالكيتم في حرب قرطاج، وبغض النظر عن مصداقية الرواية ككل، فإن لهذا التغيير دلالة

مهمة، وهي أن مفردة اللاتينين لم تكن قد ظهرت آنذاك، كما أن الحرب اندلعت بين أهل النوبة والروم، وهي مؤشرات كلها تدفع إلى طرح التساؤلات حول العلاقة بين أفريقية واللاتينيين (اللاطينيين).

إن هذه المعطيات التي وردت مضطربة ومتضاربة، تؤكد أنه إلى وقت ابن خلدون (القرن الخامس عشر) لم تكن قد نضجت السردية اللاتينية (عند الطرف النقيض على الأقل) إضافة إلى ورود أغلب روايات ابن خلدون مقترنة بالبعد الأفريقي، وهو ما يطرح السؤال حول العلاقة بينهما.

الفصل الثالث:

صورة أثينا في المصادر العربية الإسلامية

من القرن الرابع الهجري (١٠م) إلى الحادي عشر الهجري (١٧م)

أثينا، عاصمة اليونان، أرض الحضارة ومهد الفلسفة، تلك المدينة التي انبعثت من رمادها مرارا لتصنع معجزة العقل الغربي بتعبير عدد كبير من الباحثين الغربيين، عاصمة اليونان الحالية شمال المتوسط والمجاورة لتركيا؛ هذه العبارات هي بعض مما قيل ويقال وسيقال حول بلاد اليونان عموما وأثينا خصوصا، إذ مما لا شك فيه أن السردية المتعلقة ببلاد اليونان، من أقوى السرديات، وأكثرها تأثيرا وهيمنة في العقل الغربي خصوصا، والإنساني عموما، لكن هل كانت هذه السردية منسجمة ومتوافقا عليها منذ بدايتها؟ هل أثينا الحالية هي أثينا التاريخية بكل رمزياتها وحمولاتها؟ هل كانت أثينا واحدة أم متعددة ومتنوعة؟

وسيرا على المنهج الذي يتخذه هذا الكتاب، فسيتم في هذا الفصل البحث عن أثينا في الكتابات الإسلامية، باعتبارهم كانوا "النقيض التاريخي وحتى الديني بل والمعرفي"، واستخراج الثابت والمتحول، لمحاولة فهم التاريخ بنظرة أخرى. بناء على هذا، تم تجميع المادة المصدرية المتعلقة ب"أثينا" بمختلف صيغ ورودها في المصادر العربية الإسلامية (أثينا، أثينة، أثينية، أثيناس ...الخ)، وترتيبها كرونولوجيا حسب ورودها، ثم استخراج ما تتضمنه هذه النصوص من معطيات، مع الإشارة إلى أن هذا البحث تأطر بأسئلة أساسية هي: كيف حضرت أثينا في المصادر العربية الإسلامية؟ ما هي التحديدات الجغرافية التي يمكن استخراجها من هذه النصوص؟ ما علاقة أثينا باليونان في النصوص العربية الإسلامية؟

المحور الأول: أثينا في نصوص القرن الرابع الهجري

وردت أثينا في عدة نصوص خلال القرن الرابع الهجري، وتطرح هذه النصوص عدة ملاحظات وتساؤلات، فمن الملاحظ أن الإشارات إلى أثينا وردت في الأغلب بأثيناس"، وأن لفظة أثنيا لم تظهر إلا في مرحلة لاحقة، وأغلب الإشارات لأثينا ارتبطت بكتب الجغرافيا والرحلات، ولم ترتبط بكتب التاريخ، والحادثة التاريخية الوحيدة التي وردت فيها ارتبطت بالإسكندر المقدوني أو اليوناني؛ أما المصادر الجغرافية فلم تقدم أي تحديدات يمكن أن تسهم في تحديد موقع أثينا، بل كان الحديث عنها يأتي عرضيا، عند الحديث عن بحر الروم.

وقد وردت أثينا عند البتاني باسم "أثينس" التي يحكمها "أفسودس"، وانفرد البتاني بهذه الإشارة، والتي جاء فيها: ""فصار زمان السنة المأخوذ بهذين الرصدين ثلثمائة وستين جزءا، وذكر أنه أيضا أخذ الأرصاد الصيفية القديمة التي كانت قبل أبرخس وهو الرصد الذي كان على عهد افسودس ملك أثينس الذي كان مجاز الشمس فيه على نقطة المنقلب الصيفي قبل ممات الإسكندر بمائة وثماني سنين مصرية صبيحة اليوم الحادي والعشرين من فارموث من شهور القبط من تلك السنة وأنه رصد الشمس فوجدها جازت على نقطة المنقلب الصيفي في سنة أربعمائة وثلث وستين من ممات الإسكندر"[١].

ولعل ما يلفت الانتباه في هذه الإشارة، اعتماد المؤلف على التقويم القبطي، فشهر "فارمونت" كما يستشف من بعض البرديات، يوافق شهر أبريل أو مايو، وفي نصوص أخرى يوافق شهر تموز/ يوليوز[٢]، ومهما كان الأمر فإن الحديث في هذا النص

---

(١)- محمد بن جابر البستاني الحراني الرقي الصابيء أبو عبد الله البتاني، "زيج الصابئ"، ص٣٨ (بترقيم الكتبة الشاملة)

(٢) - PORTEN BEZALEL, THE ELEPHANTINE PAPYRI IN ENGLISH, THREE MILLENNIA OF CROSS-CULTURAL CONTINUITY AND CHANGE, EJ.BRILL, LEIDEN 1996, P223

عن منطقة تعرف الانقلاب الصيفي خلال هذه الفترة، أي شمال خط الاستواء، بيد أن البتاني لا يقدم معطيات تمكن من معرفة المنطقة بالتحديد، باستثناء ارتباطها بالقبط.

وردت أثينا في نص عند ابن قدامة خلال الحديث عن نشأة الإسكندر المقدوني، جاء فيه: "وكان أول أمر الإسكندر، ان أباه فيليب كان ملكا من ملوك اليونانيين ... وأشاروا عليه بالاستكثار من النساء للطروقة، وكان متجنبا لذلك فيما خلا من عمره، على مذهب الفلاسفة، طلبا لولد ينشئوا نشوءا صالحا ويعهد اليه في طلب ما رام فعله فولد له الإسكندر، فلما ترعرع أنفذه إلى أثينا مدينة الحكماء، وكان صاحب التعليم بها في ذلك الوقت أرسطاطاليس بعد افلاطون، فأقام عنده حتى شد من الفلسفة طرفا، وتقبل أخلاق أهلها"[1].

من الملاحظ ارتباط أثينا في هذه الإشارة بكونها مدينة الحكماء، وهو الوصف الذي سيلازمها في أغلب المصادر، وتكاد تجمع أغلب الإشارات على أن أثينا مدينة تعرف تدريس الحكمة، ويقوم بأمرها أرسطاطاليس، وهي منفصلة عن أي كيان سياسي. وقد وردت الإشارة إلى مدينة الحكماء مقترنة بالكند[2] وأسماء أخرى، ولا تقدم الإشارات المصدرية ما يعين على توضيح هل يتعلق الأمر بمدينة حكماء واحدة حملت أسماء عديدة، أم أنها مدن عديدة، كانت بمثابة مراكز علمية، وهو ما يبدو الأرجح.

يتضمن أحد نصوص المسعودي إشارة مهمة، إذ جاء فيه: "ولأية علة ابتدئ بالفلسفة المدنية من سقراط ثم أفلاطون ثم أرسطاطاليس ثم ابن خالته ثاوفرسطس ثم أوذيمس، ومن تلاه منهم واحدا بعد آخر، وكيف انتقل مجلس التعليم من أثينة إلى

(١)- أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة، "الخراج وصناعة الكتابة"، دار الرشيد للنشر، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨١، ص٤٤٨.

(٢)- أبو الحسن المسعودي، "أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع –بيروت، ١٩٩٦، ص ٢٥٦

الإسكندرية من بلاد مصر، وجعل أوغسطس الملك لما قتل قلوبطرة الملكة التعليم بمكانين الإسكندرية ورومية"(1)

يشير هذا النص إلى انتقال مجلس التعليم من "أثينة" إلى الإسكندرية من بلاد مصر، ووجود مكانين للتعليم هما الإسكندرية ورومية، ويؤكد هذا المعطى ما سبقت الإشارة إليه من تعدد مراكز تعليم الحكمة التي كانت أثينا إحداها؛ وعلى غرار باقي النصوص لم تتم الإشارة إلى أي معطى جغرافي يتعلق بأثينا.

لكن الاصطخري يقدم بعض الإشارات الجغرافية، إذ ورد في كتابه المسالك والممالك: "ويأخذ من البحر المحيط خليج حتى ينتهي في ظهر بلد الصقالبة ويقطع أرض الروم على القسطنطينية حتى يقع في بحر الروم، وأرض الروم حدها من البحر المحيط على بلاد الجلالقة وأفرنجة ورومية وأثيناس إلى القسطنطينية"(2)، وبحسب هذا التحديد فأثيناس تقع ضمن بلاد الروم، ويمر بها خليج متفرع عن المحيط، وهي مجاورة لرومية والقسطنطينية وبلاد الجلالقة، كما يمر بها البحر الرومي.

وجاءت في نص آخر باسم أثيناس، ويقدم هذا النص أيضا –على غرار سابقه– بعض الإشارات الجغرافية المتعلقة بأثينا، حيث جاء في سياق الحديث عن بحر الروم: "ثم يصير غربي البحر إلى خليج القسطنطينية ويعبره ثم يمتد على سواحل أثيناس ثم على سواحل رومية ثم يمتد على قرب افرنجة فيصير البحر حينئذ جنوبيا ويكون على ساحله أفرنجة إلى أن يتصل بطرطوشة من بلاد الأندلس"(3)، وبحسب هذا التحديد، فأثيناس تلي خليج القسطنطينية غربا حيث يمتد على سواحلها بحر الروم، كما أن أثيناس قبل سواحل رومية فهي إذا بين القسطنطينية ورومية.

(1)- أبو الحسن المسعودي، "التنبيه والإشراف"، تصحيح عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، الجزء الأول، ص ١٠٥

(2)- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، "المسالك والممالك"، دار صادر بيروت، ٢٠٠٤، ٨

(3)- نفسه، ص٦٨.

بينما وردت أثينا في نص آخر عند الاصطخري[1] باسم أثيناس، ولا يخرج هذا النص على سابقيه، حيث يقدم عددا من المعطيات المهمة، سواء جغرافية طبيعية أو بشرية، فعلى المستوى البشري يشير الاصطخري إلى أن أثينا هي إحدى المدن الكبرى للنصارى والتي عرفت بحكمتها وبأنها دار الحكماء؛ وعلى المستوى الجغرافي فهي خلف بلاد الروم وأمام رومية.

وعلى نفس المنوال يسير ابن حوقل[2]، حيث وردت باسم أثيناس، ويقدم ابن حوقل في هذا النص، تحديدا جغرافيا لا يختلف عن التحديدات التي قدمها الاصطخري، إذ يربط بين رومية وأثيناس وأنها في الطريق إلى القسطنطينية، ثم أرض الصقالبة، قبل أن يضيف في نص آخر [3]سواحل قلوريه والانكبرذة في اتجاه بلاد الأندلس، أما في النص الثالث عند نفس المؤلف[4] فقد وردت أثينا بنفس الاسم "أثيناس"، ولا يضيف أي جديد فهي مدينة من مدن مجمع النصارى على بحر الروم، كما أنها مدينة الحكماء.

وردت أثينا في كتاب "حدود العالم من المشرق إلى المغرب" باسم أثيناس، ويقدم إشارة جديدة، إذ ورد في أحد نصوصه "أما الحد الواقع بين الخليج حتى الأندلس على ساحل بحر الروم فيدعى ساحل أثيناس. ويونان: كانت مدينة من أثيناس هذه قديما، وقد نبغ جميع الحكماء والفلاسفة من أثيناس هذه"[5]، أي أنه جعل الساحل الممتد من خليج القسطنطينية إلى بلاد الأندلس يعرف باسم ساحل

---

(١)–المسالك والممالك، صص ٦٩ و٧٠.

(٢)– أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، "صورة الأرض"، دار صادر، أفست، ليدن، بيروت، ١٩٣٨، المجلد الأول، ص ١٣.

(٣)– نفسه، ص ١٩٠.

(٤)– نفسه، ص ٢٠٢.

(٥)– مجهول، "حدود العالم من المشرق الى المغرب"، تحقيق السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة ٢٠٠٣، ص١٨٦.

أثيناس، وهو الأمر الذي لم تتم الإشارة إليه في المصادر السابقة، إذ كانت الإشارة إليها على أنها مدينة ساحلية فقط.

المحور الثاني: أثينا في نصوص القرن الخامس الهجري

وردت أثينا في عدة نصوص في مصادر القرن الخامس الهجري، ويلاحظ خلال هذه الفترة ارتباط أثينا بالنقاشات الفلسفية واللاهوتية، إذ أشار إليها البيروني، "وأقول: إن اليونانيين أيام الجاهلية قبل ظهور النصرانية كانوا على مثل ما عليه الهند من العقيدة، خاصهم في النظر قريب من خاصهم وعامهم في عبادة الأصنام كعامهم، ولهذا أستشهد من كلام بعضهم على بعض بسبب الاتفاق وتقارب الأمرين لا التصحيح فإن ما عدا الحق زائغ والكفر ملة واحدة من أجل الانحراف عنه، ولكن اليونانيين فازوا بالفلاسفة الذين كانوا في ناحيتهم حتى نقحوا لهم الأصول الخاصة دون العامة لأن قصارى الخواص اتباع البحث والنظر وقصارى العوام التهور واللجاج إذا خلوا عن الخوف والرهبة يدل على ذلك سقراط لما خالف في عبادة الأوثان عامة قومه وانحرف عن تسمية الكواكب "آلهة" في لفظه كيف أطبق قضاة أهل أثينية الأحد عشر على الفتيا بقتله دون الثاني عشر حتى قضى نحبه غير راجع عن الحق"[1]

وردت أثينا باسم أثينية، ويشير المؤلف إلى تشابه عقدي بين الهند واليونان، مع تطور الفلسفة في اليونان، ثم يحيل على الحكم على سقراط بسبب مخالفته للآلهة، من طرف قضاة أثينية، وإذا كان النص لا يقدم معطيات جغرافية، لكنه غني بالمعطيات التاريخية والفلسفية.

وعلى نفس المنوال، سيشير في نص آخر إلى أنه "في زمان «دارا» الأول الذي كان بعد «كورش» أنفذ الروم إلى أهل «أثينية» رسلا وأخذوا منهم النواميس في اثني عشر كتابا إلى أن ملكهم «فنفيلوس» وتولى وضع السنن لهم وصير شهور السنة اثني عشر بعد أن كانت لهم عشرة ويدل على إكراهه إياهم أنه وضع معاملاتهم بالخزف

(١)- أبو الريحان البيروني، "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦، ص٢١.

والجلود بدل الفضة فإن ذلك يكون من الحنق على من لا يطيع؛ وفي المقالة الأولى من «كتاب النواميس» لأفلاطن قال الغريب من أهل أثينية: من تراه كان السبب في وضع النواميس لكم أهو بعض الملائكة أو بعض الناس؟"[1]

يبدو ارتباط أثينيا واضحا بالصراعات والنقاشات المعرفية واللاهوتية عند اليونان، وعلاقتهم مع الروم وكورش، والتقويم الذي حولوه من عشرة أشهر إلى اثني عشر شهرا. ثم يضيف البيروني في نص آخر، أنه :"ذكر بعضهم أن حروفهم كانت أقل ثم تزايدت ... فتمت عند اهل «أثينية» حينئذ أربعة وعشرين وذلك في زمان «أردشير بن دارا بن أردشير بن كورش» على رأي مؤرخي أهل المغرب"[2]، ويتضمن هذا النص إشارة إلى الحروف في زمن أهل أثينية وأنها وصلت لأربعة وعشرين حرفا، حيث كانت في البداية ستة عشر حرفا ثم أصبحت عشرين، قبل أن تصبح أربعة وعشرين حرفا، مع الإشارة لجذورها المصرية، وربطا بما ورد سبقا عن التقويم القبطي فإن الأمر يصبح مثار ملاحظات عديدة.

ثم يضيف البيروني في نص آخر: "وهو المسمى في الشطرنج رخا؛ وكانت اليونانيون يسمونها «مراكب القتال»، وأول من أحدثها عندهم «منقالوس» بمدينة «اثينية» وأهلها يزعمون انهم اول من ركبوها، وكان قبل ذلك ابدعها «افروذيسي» الهندي بمصر لما ملكها وذلك بعد الطوفان بقريب من تسع مائة سنة، وعملها بفرسين يجريانها، ومن اساطير اليونانيين: أن «ايفسطس» عشق «اثينا» وراودها فدافعته حفظا للعذرة، واختفى لها في بلاد «اثينية» وأراد القبض عليها فطعنته بحربة حتى تركها، وأرسل النطفة على الأرض فكان منها «ارقتونيوس» ، وإنه جاء على عجلة مثل رخ

(١)-تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص٧٤.

(٢)- نفسه، ص١٢٠.

الشمس ومعه ممسك الأعنة راكب، وما في الميدان في زماننا من رسوم الركض والجري في الرخاخ فهو تشبيه به"[1]

يبدو أن هذا النص قد ميز بين "أثينا" و"أثينية"، إذ أن المؤلف جعل من أثينا اسم "علم مؤنث" بينما جعل من أثينية اسم المجال الجغرافي الذي دارت فيه القصة، وقد أحال على أسطورة أثينا، وأسبقية اختراع الشطرنج، والملاحظ أن مصر تحضر بشكل أساسي في هذه النصوص كمجال للمقارنة.

ويقدم ابن النديم نصا مهما، ورد فيه: "أول من تكلم في الفلسفة ... ثم تكلم بعد ذلك على الفلسفة سقراط بن سقراطيس من أهل مدينة أثينة مدينة العلماء والحكماء بكلام لم يدروا منه كثير شيء"[2]، ولعل الملاحظ في هذا النص على غرار أغلب نصوص القرن الخامس الهجري أنها ترتبط بالنقاشات اللاهوتية والفلسفية، حول أصول الفلسفة أو اللغة، إضافة لهذا فالملاحظ أن ابن النديم يجعل من مصدر الخبر مؤرخا سريانيا.

المحور الثالث: أثينا في نصوص القرن السادس الهجري

يمكن القول على العموم أن نصوص القرن السادس الهجري، لم تقدم معطيات غزيرة حول المادة، ولعل أهم ما ورد جاء عند الإدريسي، إذ أشار في أحد نصوصه [3] إلى أن مصب خارست على أثينية، وحدد موضع المدينة بأنها قرب مضيق جزيرة بلبونس، وتقع على البحر؛ بينما أشار في نص آخر[4] إلى أن أثينية مدينة عامرة ومأهولة، وأنها تبعد عن مدينة خارست التي تقع على البحر ستون ميلا، وتبعد هذه الأخيرة عن مدينة أرميرون ثمانية وأربعون ميلا.

(١)-تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص٣١٠.

(٢)-ابن النديم، مرجع سابق، ص ٣٠٤.

(٣)- الإدريسي، مرجع سابق المجلد الثاني، ص ٧٩٧.

(٤)- نفسه، ص ٧٩٩.

ولا يقتصر حضور أثينا على المجال الجغرافي أو التاريخي أو اللاهوتي، بل ارتبطت أيضا بفنون الخطابة، إذ جاء في نص لابن رشد الحفيد: "قال: وينبغي للمتشكك في المقدمات المأخوذة من السنة أن يفعل فيها ما كان يفعله سقراط مع الخطباء من أهل أثينية، فإنه كان يذم لهم تلك المقدمات ذما يسيرا، يريد، فيما أحسب، بالتأويل لها، فإن التأويل ذم ما للقول"[١]، كما وردت في نص آخر عند نفس المؤلف، جاء فيه: "فإنه كما قال سقراط: ليس يعسر أن يمدح أهل أثينا عند أهل أثينا، وإنما يعسر أن يمدح عند أهل لوقيا، يعني أعداءهم»"[٢]

بينما ترتبط أثينا بالفلسفة في عدة نصوص، إذ أورد الشهرستاني، عن "سقراط بن سفر نيسقوس الحكيم، الفاضل، الزاهد من أهل أثينية"[٣]، ثم أضاف في نص آخر، ما نصه: "أفلاطون بن أرسطن بن أرسطوقليس من أثينية، وهو آخر المتقدمين الأوائل الأساطين، معروف بالتوحيد والحكمة ... وطيماوس والغريبين: غريب أثينية، وغريب الناطس، وضم إليه العلوم الطبيعية والرياضية."[٤]

ويبدو أن حضور سقراط وإعدامه في أثينا كان له حضور في المصادر العربية، حيث حضر في عدة نصوص وإشارات، منها ما أورده ابن بسام: "ووقف سقراط على كساح وقد خرج من الحش بكساحة فقال: يا أهل أثينا، هذا الذي كنتم تغلقون عليه الأبواب، وتقيمون لحفظه الخزان، وكانت شهواتكم تستخدم عقولكم في إعداده؛ واليوم نفوسكم آنفة منه وطباعكم نافرة عنه"[٥]

(١)- أبو الوليد محمد ابن رشد الحفيد، "تلخيص الخطابة"، ص١٣٢ بترقيم الشاملة آليا.

(٢)- ابن رشد الحفيد، "م.س"، ص١٢٨ بترقيم الشاملة آليا.

(٣)- أبو الفتح الشهرستاني، "الملل والنحل"، مؤسسة الحلبي، المجلد الثاني، ص ١٤١.

(٤)- نفسه، ص ١٤٦.

(٥)- ابن بسام الشنتريني، "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، الدار العربية للكتاب، تونس-ليبيا، الطبعة الأولى ١٩٨٩، المجلد السابع، ص ١٨٨.

ويقدم الزمخشري نصا مهما، إذ أورد فيه"جالينوس: سن أهل أثينة: إن من لم يعلم ولده لم يجب له على ولده حق الأبوة"[1] ، ولا يمكن فهم هذا النص دون ربطه بانتماء الزمخشري، وطبيعة الصراعات التي كانت آنذاك بين المدارس المختلفة، ما يؤشر على أن الحضور "الأثيني" خلال هذه المرحلة لم يكن مجرد حضور لمجال جغرافي، بل لمجال معرفي وذهني.

المحور الرابع: أثينا في نصوص القرن السابع الهجري

رغم أن القرن السابع الهجري شهد إشارات متعددة لأثينا، إلى أنها تسجل في الآن نفسه غيابا للمحددات الجغرافية، إلا بعض الإشارات الغامضة، بينما كان التركيز الأعظم على البعدين الفكري والفلسفي، وهكذا فقد وردت عند سبط ابن الجوزي باسم "أقنينة" وأنها سميت باسم مقدونية، أثناء حديثه عن يونان ابن يافث الذي انتهى "إلى مدينة بالمغرب يقال لها: أقنينة، وهي مدينة الحكماء، وقيل: اسمها مقدونية، فأقام بها وكثر نسله، وبنى بها قصورا وأبنية شاهقة"[2]

ويشير ابن سعيد المغربي إلى أن أثينة توجد على خط الطول أربعون درجة وخمس عشرة دقيقة، وهي تقع شمال خليج بحر الروم تقع في الجنوب الغربي لمدينة برشان، وهي مدينة انقرضت على يد "الألمان"، "ومن هذه المدينة إلى القسطنطينية، من البلاد التي يسكنها الخرايطة وهم بقايا الإغريقيين، عدد كبير، وهي معجمة خاملة عند المسلمين"[3].

(١)- جار الله الزمخشري، "ربيع الأبرار ونصوص الأخيار"، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، المجلد الرابع، ص ٢٤.

(٢)- سبط ابن الجوزي، "مرآة الزمان في تواريخ الأعيان"، تحقيق وتعليق محمد بركات وكامل الخراط وعمار ريحاوي، دار الرسالة العالمية، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٣، المجلد الثاني، ص ٤٠٧.

(٣)- ابن سعيد المغربي، "الجغرافيا"، ص٥٩ بترقيم الشاملة آليا.

بينما وردت أثينا عند القفطي في عدة مواضع وارتبطت في أغلبها بالفلاسفة والفلسفة والقضاء[1]، فقد جاءت باسم "أثينس" واقترنت بأصول الفيلسوف أفلاطون وأصوله[2]، ثم بقصة ولادته ونشأته بأثينا[3]، ثم بعض قصصه[4]، وفي موضع آخر ببعض من آرائه السياسية، ومواقفه تجاه الحكم[5]. كما وردت في نص آخر في رواية عن مقتل سقراط[6]؛ وجاءت في نص آخر باسم "أثينية"، مرتبطة بالفلاسفة والفرق السبعة[7].

وأشار ابن أبي أصبيعة في كتابه "عيون الانباء" إلى أثينا عند حديثه عن إعدام سقراط، حيث ركز نصه على البعد التوحيدي لفلسفة سقراط الذي يعتبر معلم أفلاطون، إذ جاء في النص: "فلما علم الرؤساء في وقته من الكهنة والأراكنة ما رامه من دعوته وأن رأيه نفي الأصنام ورد الناس عن عبادتها شهدوا عليه بوجوب القتل، وكان الموجبون عليه القتل قضاة أثينس الأحد عشر"[8].

يبدو واضحا سعي عدد من المؤلفين دفع تهمة الكفر أو الوثنية عن معتنقي الفلسفة، والانتصار لآرائهم، سواء باستعراض سيرة سقراط أو أفلاطون أو غيرهما، يؤكد هذا ما جاء في نص آخر، "وجدت في كتاب أفلاطن المسمى احتجاج سقراط على أهل أثينية"[9]، والذي وردت الإشارة إليه في أكثر من نص[10].

(١)-ابن سعيد المغربي، "الجغرافيا، ص ٢٣٢.
(٢)- جمال الدين القفطي، "إخبار العلماء بأخبار الحكماء"، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص٢١.
(٣)- نفسه، ص ٢٤.
(٤)- نفسه، ص ٢٢.
(٥)- نفسه، ص ٢٥
(٦)- نفسه، ص ١٥٥.
(٧)- نفسه، ص ٢٠١.
(٨)- ابن ابي أصيبعة، مرجع سابق، ص٧٣.
(٩)- نفسه، ص٧٦.
(١٠)- نفسه، ص٨٥.

ويؤكد هذا المناخ الجدلي الذي يمزج بين البعد الفلسفي واللاهوتي، والذي حضرت فيه أثينا "وهي التي تعرف بمدينة الحكماء"[1]، ومن هنا السعي المستمر لنفي الوثنية عن معتنقي حكمتها، وتصوير ما لحقهم من ضرر بسبب معتقداتهم التوحيدية، كما وقع عندما أراد رجل من الكهنة "الذين يسمون الكمريين يقال له أوروماذن أراد السعاية بأرسطوطاليس ونسبه إلى الكفر وإنه لا يعظم الأصنام التي كانت تعبد في ذلك الوقت بسب ضغن كان في نفسه عليه وقد قص أرسطوطاليس هذه القصة في كتابه إلى أنطيطوس فلما أحس أرسطوطاليس بذلك شخص عن أثينا إلى بلاده وهي خلقيديق لأنه كره أن يبتلي أهل أثنية من أمره بمثل الذي ابتلو في أمر سقراطيس معلم أفلاطن حتى قتلوه"[2].

ويتخذ ابن أبي اصبيعة من قصص الفلاسفة نموذجا لما يجب أن يكون عليه قدر الفلاسفة من التعظيم، والتبجيل، والاستماع لارائهم، ولما تبلغه المدن التي تقتدي حذوهم وتتبع آرائهم، كما حدث لأفلاطون عندما "رجع أفلاطن من مصر إلى أثينية ونصب فيها بيتي حكمة وعلم الناس فيها، ثم سار إلى سيقليا فجرت له قصة مع ديونوسيوس المتغلب الذي كان بها وبلي منه بأشياء صعبة ثم تخلص منه وعاد إلى أثينية فسار فيهم أحسن سيرة وأرضى الجميع وأعان الضعفاء"[3]

ويؤكد هذا ما أورده عن مكانة أرسطو طاليس الذي كان من سكان أثينا، إذ "لكثرة ما عقد من المنن والإحسان في هذا الباب صار أهل أثينية إلى أن اجتمعوا وتعاقدوا على أن كتبوا كتابا نقشوه في عمود من الحجارة وصيروه على البرج العالي الذي في المدينة، وذكروا فيما كتبوا على ذلك العمود أن أرسطوطاليس بن نيقوخامس

(١)-ابن أبي أصيبعة، مرجع سابق، ص٨٧.

(٢)- نفسه، ص ٨٧.

(٣)- نفسه، ص٨٠.

الذي من أهل أسطاغيرا قد استحق بما كان عليه من اصطناع المعروف وكثرة الأيادي والمنن وما يخص به أهل أثينية من ذلك"[1]

ومن الواضح أن الطريقة التي يورد بها ابن أبي أصيبعة سيرة فلاسفة أثينا فيها انتصار واضح لهم ولأخلاقهم، فأفلاطون "كان حسن الأخلاق كريم الأفعال كثير الإحسان إلى كل ذي قرابة منه وإلى الغرباء متئدا حليما صبورا، وكان له تلاميذ كثيرة وتولى التدريس بعده رجلان أحدهما بأثينية في الموضع المعروف بأقاديميا"[2]، وجالينوس سافر "إلى أثينية وروميه والإسكندرية وغيرها من البلاد في طلب العلم وتعلم من أرمنيس الطب وتعلم أولا من أبيه ومن جماعة مهندسين ونحاة الهندسة واللغة والنحو وغير ذلك"[3]. ويحق التساؤل، هل اندرجت كل هذه النصوص في سعي مكثف لرسم صورة للفيلسوف ومعتقداته وأخلاقه، توازي صورة الفقهاء والمشايخ؟ وهل كانت أثينا تمثلا للمدينة التي يعيش فيها المسلمون، وما يجب أن تكون عليه، وما يجب أن تتفاداه، بصيغة أخرى هل كان هنالك نوع من الإسقاط على عالم المسلم المعاصر –آنذاك–.

ولم يقتصر حضور أثينا على الفلاسفة والأدباء، بل كانت حاضرة في قلب سجالات اللاهوتيين والفقهاء أيضا، وفي سياق التاريخ الديني للمعتقدات السابقة على الإسلام، فقد أشار إليها القرطبي في معرض حديثه عن بعض المعتقدات الدينية لسكان أثينا قبل اعتناق النصرانية، بقوله: "وبحيلة طريفة هرب بولس إلى مدينة بيرية ثم إلى مدينة أثينا وإذ وجدهم يعبدون تمثالا لإله مجهول وقف في وسطهم وقال أيها الرجال الأثينيون أراكم من كل وجه كأنكم متدينون كثيرا لأنني بينما كنت أجتاز وأنظر إلى معبوداتكم وجدت أيضا مذبحا مكتوبا عليه لإله مجهول فالذي تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنا أنادي لكم به وقال النصارى أنه أراد بالإله المجهول الذي نادى

---

(١)–ابن ابي أصيبعة، مرجع سابق، ص٨٨.

(٢)– نفسه، ص٨١.

(٣)– نفسه، ص١٢٣.

لهم به الله عز وجل الذي هو قد تجسد وتأنس في شخص عيسى ابن مريم كما يزعمون"(١).

ويسجل في هذه الفترة ارتباط أثينا بالتاريخ المسيحي، إذ حضرت أثينا مرتبطة بعدد من الأحداث التاريخية أو الدينية، كما في تاريخ مختصر الدول للمؤرخ السرياني ابن العبري، الي أفرد لها عدة نصوص، حيث جاءت "أثيناس" في معرض الحديث عن أحداث حكم "أهور" وتشييد "محكمة اريوس فاغوس بمدينة اثيناس"(٢)، وتطرق في نص آخر لأحداث فترة حكم الملك "احشيرش بن داريوش"، الذي ملك مصر ثم فتح مدينة اثيناس وأحرقها"(٣)، ويستوقفنا هنا الربط من جديد بين مصر وأثينا.

ووردت أثينا في موضع آخر عند نفس المؤرخ، خلال الحديث عن المعتقدات الدينية لرومة وأثينا، ويبدو من خلالها محاولة الانتصار لتوحيدية وإيمان أثينا ومسيحيتها، حيث "قال فطروفيلس المحصل لارسنيوس الحكيم معلمه ما الذي الجأ ديونوسيوس رئيس حكماء اثيناس وأفريقيانوس الإسكندري ومرطيانوس الباذوي، إلى ان يسجدوا لرجل مصلوب. فأجابه قائلا: ان آلهة السماء اقتضوا هذا، فاستنار واختار اتباع النصارى بالسيرة الحسنة وترك الدنيا"(٤).

المحور الخامس: أثينا في نصوص القرن الثامن الهجري

لا تقدم نصوص القرن الثامن الهجري أي معطيات مهمة، إذ لا تعدو أن تكون في أغلبها غير اجترار لما سبق، باستثناء ارتباطها بالطب في نص لفضل الله ابن العمري، ورد فيه:"... قال ابن جلجل:" هو من [أهل] مدينة أثينا، رومي فلسفي، يوناني،

(١)- شمس الدين القرطبي، "الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام"، تحقيق أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة، ص٤٨٨.

(٢)- أبو الفرج ابن العبري، "تاريخ مختصر الدول"، تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢، المجلد الأول، ص٢٣.

(٣)- نفسه، ص٥١.

(٤)- نفسه، ص ٧٠.

طبي، عالم بالهندسة وطبائع الأعداد، وله في الطب كتاب بعثه إلى طيماوس"(1)

بينما يحضر ارتباط أثينا بالمسيحية عند ابن تيمية، بشكل واضح وفي أكثر من موضع، ويحق التساؤل، هل الأمر يدخل في سياق جداله مع الفلاسفة والمناطقة، حيث يحاول أن يؤكد وثنية الفلاسفة ومن سار نحوهم، إذ ورد في نصه: "... وكان المشركون يعبدون الأصنام المجسدة التي لها ظل، وهذا كان دين الروم واليونان، وهو دين الفلاسفة أهل مقدونية وأثينة"(2).

ثم يربط في نص آخر بين المسيحية وأثينا وتدوين الأناجيل، حيث أورد: "كتب "يوحنا " إنجيله بالرومية في جزيرة يقال لها: "تيمرا" من أرض الروم من أرض " أثينة" في عصر رجل من عظماء الروم فيلسوف يقال له: "مومودس"(3).

وتطرح محاولات ابن تيمية ربط أثينا باعتبارها مدينة الفلاسفة والفلسفة، عددا من الأسئلة، ولا يمكن فهمها دون ربطها بالجدال المحتدم آنذاك بينه من جهة وبين المناطقة والفلاسفة من جهة أخرى.

المحور السادس: أثينا في نصوص القرن التاسع الهجري

يبدو من الواضح تراجع الإشارات إلى أثينا، باستثناء بعض الإشارات التي أوردها ابن خلدون، والتي تتضمن بعض الإشارات المهمة، من قبيل ما قدمه، حول وجود اليهود في أثينا، وهو ما لم يسبق أن أشارت إليه المصادر سابقا، حيث أورد: "فأرسل إليه هرقانوس ملك اليهود بهدية وفيها تاج من الذهب مرصع بالجواهر وسأل تجديد العهد لهم، وأن يطلق السبي الذي سبي منهم أيام كيساوس، وأن يرد اليهود إلى بلاد يونان وأثينة، وأن يجري لهم ما كان رسم به عمه قيصر، فأجابه إلى ذلك كله"(4).

(١)- ابن فضل الله العمري، "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، المجمع الثقافي أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، المجلد التاسع، ص ٢٨.

(٢)- تقي الدين ابن تيمية، "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح"، تحقيق علي بن حسن، عبد العزيز بن إبراهيم وحمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٩٩٩، المجلد الأول، ص ٣٤٤

(٣)- ابن تيمية، المجلد الرابع، ص ١٩٢.

(٤)- ابن خلدون، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص ١٥٠.

أما باقي الإشارات عند ابن خلدون فقد ارتبطت بفلاسفة أثينا في علاقتهم بالملوك والساسة، فخلال فترة "أرشيش بن أرطحشاشت، وقيل اسمه فارس، أربع سنين وقيل إحدى عشرة، وكان لعهده من حكماء يونان بقراط وأفلاطون ودمقراطس، ولعهده قتل بقراط على القول بالتناسخ وقيل لم يكن مذهبه وإنما ألزمه بعض تلامذته ثم شهدوا عليه وقتل مسموما قتله القضاة بمدينة أثينا"(1).

قبل أن يشير لمدرسة المشائين وأفلاطون وأرسطو في معرض حديثه عن الإسكندر المقدوني الذي كان "معلمه أرسطو هذا من اليونانيين وكان مسكنه أثينا وكان كبير حكماء الخليقة غير منازع، أخذ الحكمة عن أفلاطون اليوناني، كان يعلم الحكمة وهو ماش تحت الرواق المظلل له من حر الشمس فسمى تلاميذه بالمشائين"(2).

المحور السابع: أثينا في نصوص القرن الحادي عشر الهجري

وعلى غرار القرن التاسع الهجري، فإن نصوص القرن الحادي عشر الهجري المتعلقة بأثينا ترتبط بالفلسفة والإسكندر، دون أي تحديدات أو إضافات جغرافية أو بشرية، فأفلاطون بعد أن مضى إلى مصر "رجع إلى أثينا وبنى فيها دار الحكمة وعلم الناس، وكان له تلاميذ كثيرة وكان يعلمهم وهو ماش بين البساتين التي وقفها عليه فسمى المشائين ورئيسهم أرسطو"(3).

وحسب نفس المؤلف، فإن أرسطو "لما توفي أفلاطون سار إلى أرمنيس الوالي باورليس ولبث عنده إلى أن مات فرجع إلى أثينا مدينة الحكماء، فأرسل إليه فيلقس يدعوه إلى ماقدونيا فلبث بها يعلم إلى أن تجاوز الإسكندر بلاد آسيا فرجع إلى أثينا وأقام في لوقيون عشر سنين"(4).

---

(1)-ابن خلدون، مرجع سابق، ص ١٩٧.

(2)- نفسه، ص ٢٢٢.

(3)- مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، "سلم الوصول إلى طبقات الفحول"، تحقيق محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسكيا، تركيا، ٢٠١٠، المجلد الأول، ص ٣٣٧.

(4)- نفسه، ص ٢٨٠

الفصل الرابع:

بلاد اليونان وجغرافيتها في المصادر العربية الإسلامية

تحضر اليونان بشكل بارز في المصنفات الإسلامية على اختلاف أنواعها وأشكالها، من كتب الفقه إلى الفلسفة واللغة والمنطق؛ ولا يكاد يخلو كتاب من ذكر اليونان ولو بشكل موجز، ويمكن القول أن اليونان تمثل كانت عنصرا أساسيا في تشكيل المخيال العربي الإسلامي.

لكن في مقابل هذا الحضور البارز ذهنيا وثقافيا، يطرح السؤال عن حضورها مجاليا، أو بصيغة مباشرة: أين كانت هذه اليونان على المستوى الجغرافي؟ قد يبدو السؤال ساذجا، والجواب عنه من البديهيات المعروفة في التاريخ والجغرافيا بالضرورة، فاليونان تقع شمال المتوسط قبالة الإسكندرية ومهد الفلسفة ومعجزة أوروبا العقلية، تلك البلاد التي كانت تابعة للامبراطورية البيزنطية ثم تبعت الإمبراطورية العثمانية، قبل أن تدخل في حروب ضروس معها وتحصل على استقلالها في الربع الثاني من القرن التاسع عشر.

هذا هو الجواب البديهي المقدم عن هذا السؤال، لكن، لأن المعرفة تنطوي على مساءلة البديهيات، فلا بأس أن نطرح السؤال، كيف حضرت اليونان جغرافيا في المصادر العربية الإسلامية؟ ألا يفترض أن يقابل حضورها الثقافي والذهني حضور مجالي جغرافي؟

كان هذا هو السؤال الأساسي الذي أطر هذه الدراسة، ومن أجل الإجابة عليه تمت الاستعانة بالمنهج التاريخي الوصفي، من خلال تتبع النصوص في تطورها التاريخي، والوقوف على الثابت والمتحول، ومحاولة استخراج المعطيات والأسئلة والإشكاليات التي تقدمها هذه النصوص. مع الاقتصار على اليونان كمجال جغرافي، ولم يتم التطرق للغة اليونانية إلا في حدود ارتباطها بالموضوع، علما أن موضوع الحرف

اليوناني يطرح إشكاليات كثيرة لا تقل عن الإشكاليات المرتبطة باليونان كمجال جغرافي.

المحور الأول: يونان الروم

قد يبدو ارتباط الروم باليونان أمرا عاديا وطبيعيا، فأرض اليونان خضعت للإمبراطورية البيزنطية، بل وحسب السردية الرسمية قضى الروم على اليونان وخلفوهم في الأرض، واعتبر البعض أن اللغة اليونانية هي أصل لغة الروم أو الحرف اللاتيني، وتعتبر رواية ابن القفطي نموذجا للسردية الرسمية، حيث أورد: "وبتان أمة عظيمة القدر في الأمم ظاهرة الذكر في الآفاق فخمة الملوك عند جميع الأقاليم منهم الإسكندر بن فيلبس الماقدوني المعروف بذي القرنين الذي غزا دارا بن دارا ملك الفرس في عقر داره فاستلبه ملكه بعد إهلاكه وتخطاه إلى المشرق من الهند والصين فجرى له من الاستيلاء على تلك الجهات ما شهدت به التواريخ.

ثم ملك بعد الإسكندر البطالمة وربما قيل البطالسة ودان لهم الملك وذلت لهم الرقاب واستمروا واحدا بعد واحد إلى أن ملكتهم الروم فتنقرض ملكهم من الأرض وانتظمت مملكتهم مع مملكة الروم فصارت مملكة واحدة مثل مملكة الفرس والبابليين وكانت بلاد يونان في الربع الغربي الشمالي من الأرض فحدها من جهة الجنوب البحر الرومي والثغور الشامية والثغور الجزرية ومن جهة الشمال بلاد اللان وما حاذاها من ممالك الشمال ومن جهة المغرب تخوم بلاد اليمانية التي قاعدتها مدينة رومية من جهة المشرق تخوم بلاد أرمينية وباب الأبواب والخليج المعترض ما بين بحر الروم وبحر نيطس الشمال يتوسط بلاد اليونانيين ولغة اليونانيين تسمى الإغريقية وهي من أوسع اللغات وأجلها"[1]

(١)- القفطي، مرجع سابق صص ٢٧و ٢٨.

ويورد القلقشندي: "واليونان أمة معروفة مشهورة، وكانت مملكتهم أولا في الجانب الشرقي من الخليج القسطنطيني المعروف الآن ببلاد الروم ثم ملكوا بعدها العراق، والترك، والهند، وبلاد أرمينية، والشام، ومصر، والإسكندرية"(١).

يشير ابن الوردي في تعريفه لبلاد الروم أنه: "إقليم واسع الأقطار فسيح الديار، وبه مدن عامرة وضياع ورساتيق وأشجار وفواكه وثمار؛ وبه الخير الغامر والخصب الوافر؛ وكلها على جانبي البحر القسطنطيني ومن جهة بلاد الأرمن، له أحد عشر عملا، منها عمل حربية وفيه خمسة حصون، وعمل العصاة وفيه ثلاثة حصون، وعمل الأرسيق وفيه خمسة عشر حصنا، وعمل الأفشين وفيه أربعة حصون وعمل حرسنون وفيه أربعون حصنا، وعمل البلقان وفيه ستة عشر حصنا. وهذه الأرض كانت في القديم بلاد اليونان فغلبت الروم عليها؛ ومن جملة أعمالها عمل كرميان وفيه عشرة حصون، وعمل الفنادق وفيه ثمانية عشر حصنا"(٢)

هذه الروايات وإن كانت هي السائدة إلا أنها في المقابل تطرح عددا من الأسئلة، يرتبط بعضها بالتوطين الجغرافي، والبعض الآخر حول طبيعة هذا الارتباط بين اليونان والروم، إذ يربط بعضها بينهما بشكل متطابق وكأنهما أمة واحدة، بينما تفصل بينهما نصوص أخرى فيصبح الروم متغلبين على اليونان، بينما يجعل البعض لغتهم واحدة، من ذلك ما أورده صاحب عيون الأنباء والذي قال: "حدثني ابن أغاثون المطران بشوبك وكان اعلم أهل زمانه بمعرفة لغة الروم القديمة وهي اليونانية أن في لغة اليونان كل ما كان من الأسماء الموضوعة من أسماء الناس وغيرهم"(٣)

(١)- القلقشندي، مرجع سابق، الجزء السادس، ص ٨٣.

(٢)- سراج الدين ابن الوردي، "خريدة العجائب وفريدة الغرائب"، تحقيق أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة -مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ص١٧١.

(٣)- ابن أبي أصيبعة، مرجع سابق، ص١٢٩.

إن الربط بين لغة اليونان والروم قد يبدو عاديا واعتبارها الأصل كان أمرا جاريا، لكن هذا النص لا يتحدث عن نقل حروف من اليوناني إلى الرومي كما دأبت على ذلك المصادر، بل أن اللغة اليونانية هي اللغة الأصلية للروم، وهو ما يطرح عددا من الأسئلة حول الروم المقصودين في هذا النص، وحول ماهية هذه اللغة واللغة الرومية.

كما أورد صاحب اللباب أن: "ذو القرنين هذا لقب الإسكندر الرومي وقيل اليوناني لقب به لأنه بلغ الشرق والغرب وقيل غير ذلك"(١)، يبدو الاضطراب واضحا إذن في تحديد الفرق بين اليوناني والرومي في عدد من المصادر التي لا تفلح على اختلاف أنواعها في تبديد سحب هذا الإضطراب، إذ نجد ابن ابي اصبيعة أورد أنه: "قد اتفق كثير من قدماء الفلاسفة والمتطببين على أن أسقليبيوس كما أشرنا إليه أولا هو أول من ذكر من الأطباء وأول من تكلم في شيء من الطب على طريق التجربة وكان يونانيا واليونان منسوبون إلى يونان وهي جزيرة كانت الحكماء من الروم ينزلونها.

وقال أبو معشر في المقالة الثانية من كتاب الألوف أن بلدة من المغرب كانت تسمى في قديم الدهر أرغس وكان أهلها يسمون أرغيوا وسميت المدينة بعد ذلك أيونيا وسموا أهلها يونانيين باسم بلدهم وكان ملكها أحد ملوك الطوائف"(٢).

يقدم ابن ابي اصبيعة معطى مهما إذ يجعل من اليونان مجالا جغرافيا كان ينزله "حكماء اليونان" وهي صورة تبدو انعكاسا لما ترسخ في المخيال العربي الإسلامي من ربط بين اليونان والعلوم العقلية (الهندسة، الطب، الفلسفة...) وهكذا فالروم يبقون على روميتهم إلا من ارتقى في درجات الحكمة حيث ينزل جزيرة يونان (أرض الحكمة).

(١)- عز الدين ابن الأثير، "اللباب في تهذيب الأنساب"، دار صادر، بيروت –لبنان، الجزء الأول، ص ٥٣٣.

(٢)- ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق، ص٢٩

لكن في محاولته لتقديم تحديد جغرافي لموقع اليونان قام ابن أبي أصبيعة بربطه بالمغرب، وهو ما يطرح عددا من علامات الاستفهام، إذ كيف تصبح اليونان أرضا غربية يسكنها حكماء الروم، وملكها كان أحد ملوك الطوائف؟؟

ويشير صاحب خريدة العجائب في تحديد البحر الرومي إلى أنه "يمر مشرقا في جهة بلاد البربر وبشمال المغرب الأقصى، إلى أن يمر بالمغرب الأوسط ويصل أرض أفريقية إلى وادي الرمل إلى أرض برقة وأرض لوقيا ومراقيا والإسكندرية، إلى شمال أرض التيه، إلى فلسطين إلى سائر ساحل بلاد الشام، إلى أن ينتهي طرفه إلى السويدية، وهناك نهايته ثم ينحرف مغربا راجعا إلى جهة المغرب فيتصل بالخليج القسطنطيني، إلى جزيرة بليونس وكمشيلي، إلى أدرنة، وهناك يخرج إلى الخليج البندقي ويتصل إلى أرض مجاز صقلية إلى بلاد رومية إلى بلاد ستومة وأرمونة، ويجتاز بجبال اليونان فيمر شرقي الأندلس، من جهة جنوبها، من حيث ابتدأ"[1]

يطرح هذا النص عدة إشكاليات حول تحديد اليونان، إذ يجعلها جبلية مجاورة لبلاد الأندلس وهو ما لا يمكن أن يصح بالتحديدات الجغرافية الحالية.

بناء على تجميع هذه الملاحظات الأولية نستنتج غياب تحديد واضح لليونان والروم كمجالين جغرافين واضحين، أو حتى كمجالين ثقافيين، إذ تطابقهما بعض النصوص وتمايزهما أخرى، وتذهب ثالثة إلى ان الروم تغلبوا على اليونان، وتسير أخرى نحو اعتبار اليونانية أصل الرومية، وباعتبار موقع اليونان الحالية وكونها كانت "خاضعة للامبراطورية البيزنطية"، وباعتبارها كانت مهيمنة وحاضرة في المخيال الإسلامي وحتى في السجالات الأيديولوجية المشتدة، فقد كان من الطبيعي ان تكون واضحة التحديد الجغرافي والمعالم، بيد أننا نجد عكس هذا، إذ تختلف المصادر في تحديد علاقتها بالروم وكمجال جغرافي تحديدا بينا واضحا.

(١)- ابن الوردي، مصدر سابق، ص١٩٣

المحور الثاني: اليونان البائدة

تذهب عدد من نصوص المصادر العربية الإسلامية إلى القول أن اليونان أمة بائدة، كانت في وقت مضى ثم انتهت إلى الاندثار، بل ويبدو أنه في حدود القرن الرابع الهجري، كانت اللغة اليونانية بدورها منقرضة، وما وصل عن اليونان إنما جاء عن طريق الترجمات السريانية.

يؤكد هذا الكلام الحوار الذي دار بين أبي سعيد السيرافي النحوي، ومتى بن يونس المنطقي، والذي أورده أبو حيان التوحيدي في الليلة الثامنة من "الإمتاع والمؤانسة"، إذ قال أبو سعيد: "

- ولكن مع هذا أيضا إذا كانت الأغراض المعقولة والمعاني المدركة لا يوصل إليها إلا باللغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف، أفليس قد لزمت الحاجة إلى معرفة اللغة؟
- قال: نعم.
- قال: أخطأت، قل في هذا الموضع: بلى.
- قال: بلى، أنا أقلدك في مثل هذا.
- قال: أنت إذا لست تدعونا إلى علم المنطق، إنما تدعو إلى تعلم اللغة اليونانية وأنت لا تعرف لغة يونان، فكيف صرت تدعونا إلى لغة لا تفي بها؟ وقد عفت منذ زمان طويل، وباد أهلها، وانقرض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها، ويتفاهمون أغراضهم بتصاريفها، على أنك تنقل من السريانية، فما تقول في معان متحولة بالنقل من لغة يونان إلى لغة أخرى سريانية، ثم من هذه إلى أخرى عربية؟
- قال متى: يونان وإن بادت مع لغتها، فإن الترجمة حفظت الأغراض وأدت المعاني، وأخلصت الحقائق"[1]

(١)- علي بن محمد بن العباس أبو حيان التوحيدي، "الإمتاع والمؤانسة"، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ص٩١.

بغض النظر عن البعد السجالي لهذه المناظرة، ولسياقاتها الأيديولوجية، فإن ما يهم في هذا السياق ما أورده أبو سعيد عن انقراض اللغة اليونانية والقوم الذين كانوا يتفاوضون بها، والاهم هو أن ما وصل للعربية من اليونانية كان نقلا عن السريانية، واللافت هنا أن متى المنطقي لم يعترض على هذه الإشارة ولا أنكرها، بل أكدها ومضى مدافعا عن الإخلاص للحقائق والمعاني.

إن هذه الإشارة إلى اندثار اللغة اليونانية والنقل السرياني بالغة الأهمية لأنها تطرح إشكاليات عدة حول اللسان اليوناني وعلاقته بالرومي، وحضوره في الثقافة الإسلامية، ومدى صدق السردية السائدة عن الترجمة من اليونانية إلى العربية، خاصة أن أقدم إشارة في المصادر العربية للحرف اليوناني ترجع إلى القرن الرابع الهجري.

وقد يذهب قائل إلى القول أن الأمر ربما كان من غلط أبو حيان التوحيدي، أو أنها إشارة شاردة لم يهتم بها في ضوء السجال الأيديولوجي الذي كان محتدما في زمنه، لكن هذا القول مردود عليه، فالأمر لا يتعلق بإشارة عابرة أو شاردة، بل برواية حضرت في عدد من النصوص خلال فترات زمنية مختلفة، وفي مجالات جغرافية مختلفة، إذ نجدها بعدُ ثلاثة قرون أي في القرن السابع الهجري، عند ياقوت الحموي في معجم الأدباء، بنفس الصيغة تقريبا مع بعض الفروقات الطفيفة، حيث: "

- قال أبو سعيد: فأنت إذن لست تدعونا إلى علم المنطق بل إلى تعلم اللغة اليونانية، وأنت لا تعرف لغة يونان، فكيف صرت تدعونا إلى لغة لا تفي بها، وقد عفت منذ زمان طويل، وباد أهلها وانقرض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها ويتفاهمون أغراضهم بتصرفها؟ على أنك تنقل من السريانية فما تقول في معان متحولة بالنقل من لغة يونان إلى لغة أخرى سريانية ثم من هذه إلى لغة أخرى عربية؟"[١]

(١)- شهاب الدين ياقوت الحموي، "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣، الجزء الثاني، ص ٨٩٦.

والملاحظ بخصوص هذه الإشارة، أن ياقوت الحموي لم يضمن كتابه أي تعقيب أو نقد لهذه الرواية، أو كلاما يفيد بغلطها وبعدم اندثار لغة اليونان، أو تغليط قائل هذا الكلام، وكأن هذه الرواية "من المعروف في التاريخ بالضرورة" والجاري العمل بها فلا تحتاج إلى برهان أو بيان، كما لا تحتاج إلى نفي أو تكذيب.

بيد أن هذا لا ينفي أن نصوصا أخرى تقدم قصة مختلفة، من بينها ما ورد في إخبار الحكماء: "ودخل حنين إلى بلاد الروم لأجل تحصيل كتب الحكمة وتوصل في تحصيلها غاية إمكانها وأحكم اليونانية عند دخوله إلى تلك الجهات وحصل نفائس هذا العلم وعاد يلازم بني موسى ابن شاكر ورغبوه في النقل من اللسان اليوناني إلى العربي"(1)

يبدو بعض التناقض في هذه الرواية إذ أن بلاد الروم كانت تكتب بالحرف الرومي وليس اليوناني، وهو ما قد يرتبط بالاضطراب الذي طبع المصادر العربية الإسلامية في التعاطي مع الحرف اليوناني مما لا يسع مجال هذه الدراسة الخوض فيه، وعلى العموم وإن كان لا يمكن الحسم في الحرف اليوناني وحضوره في الثقافة الإسلامية، والترجمات الموجودة، فإن رواية أبو حيان التوحيدي وهو المؤرخ النبيه والفيلسوف المتحيز للمعرفة العقلية التي يمثلها اليونان في المخيال الجمعي الإسلامي تظل أكثر قوة ومصداقية.

إضافة إلى اندثار اللغة اليونانية، فإن الإشارات المصدرية تؤكد على فناء الأمة اليونانية ككل، إذ "ذهب ملك اليونان من أيديهم، ودرست حكمتهم"(2)

ويورد القزويني (القرن السابع الهجري)، في حديثه عن اليونان أنها: "موضع كان بأرض الروم، به مدن وقرى كثيرة، وإنها منشأ الحكماء اليونانيين، والآن استولى عليها الماء، من عجائبها أن من حفظ شيئا في تلك الأرض لا ينساه أو يبقى معه زمانا طويلا. وحكى التجار أنهم إذا ركبوا البحر ووصلوا إلى ذلك الموضع يذكرون ما غاب

(1)- ابن القفطي، مصدر سابق، ص١٣٣.

(2)- ابن خلكان، مرجع سابق، الجزء الخامس، ١٩٩٤، ص ٣٢٨

عنهم. ولهذا نشأ بهذه الأرض الحكماء الفضلاء الذين لم يوجد أمثالهم في أرض أخرى إلا نادرا"[1].

ويورد القلقشندي عن نهاية ملك اليونان: "وكان الملك على الروم يومئذ أغشطش قيصر ملك الروم، فقصدها، فاحتالت بأن اتخذت حية توجد بين الحجاز والشام، فلمست الحية فيبست مكانها، وبقيت الحية في رياحين حولها، وحضر أغشطش فوجدها جالسة ولم يشعر بموتها، فتناول من الرياحين ليشمها فلسعته الحية فمات. وزالت دولة اليونان بزوالها"[2].

إن المعطى المثير في رواية القزويني هو إشارته إلى فناء أرض اليونان حيث غمرها الماء من جميع جوانبها، وهي من بين الإشارات القليلة لليونان كمجال جغرافي، وبالنظر إلى زمن القزويني (القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) فإن هذه الإشارة تطرح عددا من علامات الاستفهام والأسئلة حول اليونان كمجال جغرافي، إذ يبدو أنها لم تكن حاضرة بالشكل الذي نتخيله إن لم نقل أنها كانت غائبة.

ولعل هذا ما يفسر ان ابن خلدون لا يخصص حيزا كبيرا للتاريخ اليوناني على عكس اللاتيني، ومن أهم إشارات ابن خلدون ما نقله عن ابن العميد بأنه قد "انقرضت مملكة يونان من مصر والإسكندرية والمغرب بملكها وصارت هذه الممالك للروم إلى حين الفتح الإسلامي"[3].

إن إشارة "إلى حين الفتح الإسلامي" التي أوردها ابن خلدون نقلا عن ابن العميد تعتبر بالغة الأهمية، إذ تفيد بتحول اليونان إلى مجال إسلامي منذ الفتح، على عكس السردية السائدة، وربما هذا مما يمكن أن يفسر بعض الاضطراب في المصادر الإسلامية.

(١)- زكريا بن محمد بن محمود القزويني، "آثار البلاد وأخبار العباد"، دار صادر، بيروت-لبنان، ص٥٦٩
(٢)- القلقشندي، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص ٣٦١.
(٣)-ابن خلدون، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص ٢٢٩.

يقدم ابن العبري سردية أخرى بالغة الأهمية بالنظر إلى الخلفية الثقافية لابن العبري (سرياني) وسرديته بالتالي يمكن اعتبارها من داخل الثقافة العربية الإسلامية وخارجها في الآن نفسه، في هذا السياق، يورد ابن العبري في تاريخه مختصر الدول عن: "الدولة الثامنة المنتقلة من ملوك الإفرنج إلى ملوك اليونانيين المتنصرين

من عهد أغسطوس قيصر إلى أن أقام طيباريوس قيصر والمدة قريبة من ستمائة سنة كان الملوك على القسطنطينية والبطارقة وجل الجند روميين أعني افرنجا. غير ان الوزراء والكتاب والرعايا كافة كانوا يونانيين. ثم صارت المملكة ايضا يونانية. والسبب في ذلك أن يوسطينيانس الأخير لما ابتلي بالمرض الشديد ويئس من حياته لم ير في اهل بيته وخاصته من يفي بسياسة الملك غير وزيره طيباريوس وهو رجل يوناني فبايعه ووضع له التاج بيده. ومن حينئذ صارت مملكة القسطنطينية يونانية. إلى ان استعادها الافرنج في سنة ألف وخمسمائة وخمس عشرة للإسكندر وهي سنة ستمائة للهجرة، ثم فتحها اليونانيون في أيامنا سنة ألف وخمسمائة وثماني وستين للإسكندر وهي سنة خمس وخمسون وستمائة للهجرة"[1]

يضع ابن العبري خطا زمنيا مخالفا لما درجت عليه المصادر ففي البداية كان الحكام من الروم والباقي من اليونان، ثم أصبح الحكم في القسطنطينية يونانيا، أي ما يفترض أنه بيزنطي إلى غاية سنة ستمائة للهجري (أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، قبل أن يستعيدها الروم (الافرنج) ثم ترجع من جديد إلى اليونان سنة ٦٥٥ هجرية أي القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

تقيم هذه الرواية تطابقا بين الروم والافرنج، وبالنظر إلى أن الروم (في هذه الرواية) حكموا القسطنطينية قبل أن تؤول لليونان، فإن الأمر يطرح علامات استفهام كثيرة حول هذا المفهوم، خاصة مع استحضار أن فترة كتابة ابن العبري لكتابه شهدت

(١)- ابن العبري، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ٨٩.

عددا من حملات الافرنج صوب السواحل الشامية (حيث يقيم ابن العبري) ما يفترض توفر معرفة دقيقة لدى المؤرخ بالفرنجة والروم

يقلب ابن العبري السردية السائدة ويجعل اليونان هم أصحاب الحكم الذين تغلبوا على الافرنج (الروم)، وهو ما يطرح عددا من علامات الاستفهام، إذ هل يمكن أن يقال ان الأمر يتعلق بخطأ في النقل؟ لكن باستحضار ما سبق عند التوحيدي من أن ما نقل عن اليونان تم عن طريق الترجمات السريانية، وباستحضار الفترة الزمنية لابن العبري، وعلاقته بالسريان والمسيحيين والمسلمين والافرنج، فإن هذا لا يجعلها رواية شاردة فقط بل تحتمل كثيرا من أوجه الصدق، ولعل التفسير الممكن لما يبدو اضطرابا، أن هذا العصر (القرن السابع الهجري) عرف تحولا في المجالات الثقافية والجغرافية، انعكست على المصادر العربية، حيث امتزج الروم والافرنج واليونان، وصاروا تمثلات ثقافية ارتبطت بالحروب الصليبية أكثر منها مجالات جغرافية؟

المحور الثالث: اليونان الشامية

درجت المصادر على الربط بين الشام والأردن واليونان، فقد أورد الاصطخري في كتابه المسالك والممالك: "وبعض الغور من حد الأردن إلى ان تجاوز بيسان فاذا جاوزته كان من حد فلسطين، وهذا البطن اذا امتد فيه السائر أداه إلى ايلة وصور بلد من احصن الحصون التى على شط البحر عامرة خصبة ويقال أنه أقدم بلد بالساحل وأن عامة حكماء اليونان منها"[1].

يشير هذا النص إلى أن صور (الشامية) هي مهد عامة حكماء اليونان، وهو ما يخالف السردية الجغرافية السائدة، كما يطرح عددا من الأسئلة عليها: إذ ما هي العلاقة بين صور وأثينا وبلاد اليونان عموما؟

قد يعتبر البعض أن الأمر يتعلق بخطأ جغرافي وقع فيه الاصطخري، لكن عددا من النصوص الأخرى تؤكد هذه الرواية، إذ أورد ابن حوقل في كتابه "صورة

(١)- الاصطخري، مرجع سابق، ص ٥٩.

الأرض" ما نصه: "ومدينة صور من أحصن الحصون التي على شط البحر عامرة خصبة ويقال إنه أقدم بلد بالساحل وإن عامة حكماء اليونانية منها، وبالأردن كان مسكن يعقوب النبي عليه السلم وجب يوسف على اثني عشر ميلا من طبرية مما يلي دمشق وجميع مياه طبرية فمن بحيرتها"(١).

كما أورد المهلبي في كتابه: "وأما دمشق فإنها مدينة عادية أزلية. وهي مدينة الشام العظمى، وقصبة الجند. وهي من الإقليم الرابع. وعرضها ثلاث وثلاثون درجة.

قالوا: وهي إرم ذات العماد. وهي من أحسن البلاد وأجلها موقعا سهلية جبلية، وفي شمالها جبل عظيم ممتد مسيرة أربعة أيام، وكانت مدينة اليونانية ودار ملكهم"(٢)

يؤكد المهلبي في هذا النص أن دمشق كانت عاصمة البلاد اليونانية، ويضيف البكري خلال القرن الخامس الهجري إشارة مهمة عند حديثه عن ملوك اليونانيين، حيث أورد في "ذكر ملوك اليونانية: فاستوسق (بالإسكندر ملك اليونانيين) بالشام ومصر، وهي مقدونية وإليها ينسب الإسكندر المقدوني، ونواحي المغرب من الأندلس وغيرها، وكانت دار مملكتهم الإسكندرية.

فولي بعده خليفته بطليموس بن لاوي، وهذا الاسم يخص ملوك الإسكندرية من اليونانيين، وكان ملكه أربعين سنة، وهو أول من اقتنى البزاة ولعب بها. واللذارقة (وهم ملوك الأندلس) وغيرهم أول من لعب بالشواهين. وملك بعده بطليموس بن هيفلوس ثمانيا وثلاثين سنة، وهو الذي بنى مدينة أنطاكية"(٣)

يطرح هذا النص للبكري عددا من الأسئلة، إذ أنه يجعل مصر هي مقدونية، وبالتالي يصبح الإسكندر المقدوني مصريا، وأحد حفدته مشيد أنطاكية وهو ما يفتح

(١)- ابن حوقل، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ١٧٤ .

(٢)- الحسن بن أحمد المهلبي العزيزي، " الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك"، جمعه وعلق عليه تيسير خلف، ص٨٧

(٣)- البكري، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ٣٠٢.

المجال لمساءلة السردية القائمة جغرافيا وتاريخيا، إذ ما الذي يربط بين أنطاكية واليونان؟ وكيف تصبح مقدونية هي مصر؟ والإسكندر مصريا؟

قد يرد البعض على هذا بالقول إن الأمر من خلط الرواة والمؤرخين، لكن يبدو الأمر مستبعدا، إذ ارتبطت أنطاكية باليونان في أكثر من موضع، وفي فترات زمنية مختلفة، حيث أورد "سبط ابن الجوزي" ما نصه: "وفي ساحل حلب مدن منها: أنطاكية، ذكرها ابن الجواليقي في "المعرب"، وقد تكلمت بها العرب قديما، وكانوا إذا أعجبهم شيء نسبوه إليها. واختلفوا في بانيها فقال قوم: بناها أنطخس أول ملوك اليونان، وصيرها دار ملكه، وحشد إليها الحكماء وأصحاب الرصد وأخذ الطوالع بها، ومسافة سورها اثنا عشر ميلا، وعدد أبراجها مئة وستة وثلاثون برجا، وعدد شرفاته أربع وعشرون ألفا، وهذا السور في السهل والجبل، وقال أبو معشر: بنيت بعد الإسكندر الثاني بمئة سنة، والنصارى تسميها دار الله؛ لأن النصرانية ظهرت منها بعدما دثرت"[1]

مهما اختلفت المصادر في اسم مشيد أنطاكية، فإنها تقر أنه كان يوناني الأصل، وأنه مما جرى به التواتر وذكرته العرب قديما والنصارى، ما يطرح السؤال على أصل اليونان وموقعهم؛ وفي هذا الصدد يقدم "سبط ابن الجوزي" إشارة مهمة عن أصول اليونان، وهي رواية رغم أسطوريتها إلا أنها تتضمن تحديدا جغرافيا مهما، حيث أورد: "وتزوج عيصو ابنة عمه إسماعيل بن إبراهيم فولدت له الروم بن عيصو، فكان أصفر في بياض، فهو أبو الروم كلهم، فكل ما كان من بني الأصفر فهو من ولده. وكثر أولاده حتى غلبوا الكنعانيين بالشام على وادي كنعان، وسكنوا على الساحل على جانب البحر الرومي إلى الإسكندرية، وصار الملك في ولده وهم اليونان"[2].

(١)- ابن الجوزي، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ٦١.

(٢)- نفسه، ص ٤٣٣

يحدد ابن الجوزي المجال الجغرافي لليونان في بلاد الكنعانيين على جانب بحر الرومي، حيث يمتد إلى الإسكندرية، وهذا التحديد الجغرافي نقيض للتحديد السائد الذي يوجد على الضفة المقابلة، وبالتالي، تغير هذه الرواية من المجال الجغرافي لبلاد اليونان نقيضا لما هو معروف وسائد.

كما يشير الحميري في معجم البلدان إلى أن: "يونان: بالضم ثم السكون، ونونين بينهما ألف: موضع منه إلى برذعة سبعة فراسخ ومنه أيضا إلى بيلقان سبعة فراسخ. ويونان أيضا: من قرى بعلبك"(١)

وبالنظر إلى أهمية معجم البلدان، وموسوعيته، فإن هذا التحديد لليونان في الشام وفي بعلبك تحديدا، يطرح كثيرا من علامات الاستفهام والأسئلة، كما يزيد من حدة مآزق السردية القائمة، وهذا ما يؤكده صاحب تاريخ حلب، إذ أورد ما نصه: "عند اليونانيين: وقال: وأما بهراء فتشاءمت فأخذت جبلا من جبال الأكراد غلبت عليه وعلى جرف منه فقطنته وهو من حد جبل بلد طرابلس إلى حد جبال اليونانية وما تحته من المدن، ومنهم بحماة وأرضها إلى حد الجبل بنو عبد الله بطن كبير، وبنو أرقش بطن كبير، وبنو مسعود أهل بيت شرف وغير ذلك من بطونهم"(٢).

لعل أهم جملة تدعو إلى التأمل في هذا النص هي المتعلقة بحد جبال اليونانية، والتي تجاور طرابلس وتحدها جبال الأكراد، فأي علاقة يمكن أن نقيمها بين هذا الثلاثي (جبال طرابلس، جبال اليونان، جبال الأكراد) مع اليونان الحالية وطرابلس الحالية وإلى أي مدى يصح هذا الربط؟ هل يمكن أن نعتبر ان الامر يرتبط "بمجرد خطأ" نقلته المصادر العربية الإسلامية بالتواتر؟ أم أن الامر يطرح فرضية أن الامر يتعلق بمجال جغرافي مختلف؟

---

(١)-ابن الجوزي، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ٤٣٥

(٢)- كمال الدين ابن العديم، "بغية الطلب فى تاريخ حلب"، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، المجلد ١، ص ٥٦١

يبدو ارتباط اليونان بالشام في عدد من المصادر اللاحقة حيث أورد القلقشندي عن بلاد الشام: "الجملة الرابعة (في ذكر من ملك هذه البلاد)

قد ذكر ابن سعيد: أن هذه البلاد كانت بيد اليونان، وهم بنو يونان بن علجان بن يافث بن نوح عليه السلام من جملة ما بيدهم قبل أن يغلب عليهم الروم، ثم غلب عليها الروم بعد ذلك فيما غلبوهم عليه، واستمرت بأيديهم في مملكة صاحب القسطنطينية على ما سيأتي ذكره في الكلام على مملكة القسطنطينية فيما بعد إن شاء الله تعالى "[1].

ويورد أبو الفداء نقلا عن ابن سعيد "ومن كتاب ابن سعيد المغربي: أن بلاد اليونان كانت على الخليج القسطنطيني من شرقيه وغربيه إلى البحر المحيط، والبحر القسطنطيني هو خليج بين بحر الروم وبحر القرم، واسم بحر القرم في القديم بحر نيطش - بكسر النون وياء مثناة من تحتها ساكنة وطاء مهملة لا أعلم حركتها وشين معجمة - قال: واليونان فرقتان: فرقة يقال لهم الإغريقيون وهم اليونانيون الأول، والفرقة الثانية يقال لهم اللطينيون"[2]

تربط هذه النصوص بشكل واضح بين الشام واليونان إما على المستوى السياسي أو على المستوى الجغرافي، ولا تسعف السردية السائدة في تقديم أي تفسير لهذا الارتباط الجغرافي، بل التحول من الشمال صوب الجنوب على مستوى الخريطة السائدة، وهو ما يدفع إلى التساؤل هل يتعلق الأمر بمجال جغرافي مختلف.

المحور الرابع: اليونان المصرية

اقترنت اليونان أيضا بمصر إضافة إلى اقترانها بالشام، وقد ورد هذا الامر في عدة نصوص انطلاقا من القرن الثالث الهجري إلى الثالث عشر الهجري، ومن بين هذه النصوص ما جاء في كتاب البدء والتاريخ للمقدسي (القرن الرابع الهجري) حيث أورد: "وبنى الإسكندر عشر مدن سرنديب بأرض الهند والإسكندرية بأرض اليونان

(١)- القلقشندي، مرجع سابق، ص ٣٤٠.

(٢)- ابن العبري، مصدر سابق، الجزء الأول، ص ٨٤.

وجى بأرض أصبهان وهراة ومرو وسمرقند بأرض خراسان ومن يحصى بناة المدن وواضعي القرى ومن يعلم مبادي إنشائها إلا الله عز وجل"(1).

وإذا كان من المنطقي الربط بين الإسكندرية والإسكندر، فإن الإشارة إلى أن الإسكندرية بأرض يونان تلفت الانتباه وتدفع للتساؤل عن موضع هذه الإسكندرية وأرض اليونان هذه؟ وقد يحتج في الرد على هذا، بالقول، أن مصر خلال مرحلة الإسكندر كانت تابعة سياسيا لليونان، لكن نصا آخر لنفس المؤلف يطرح تحديدا جغرافيا ينفي هذا الأمر، إذ أورد في تحديده لمصر: "عمل مصر:

مسيرة شهر في مسيرة شهر طولها من رفح إلى اسوان من حد النوبة وعرضها من برقة إلى أيلة وهي من بلاد مقدونية يونان وماءها من النيل وكانت المدينة في القديم عين الشمس ثم صارت الفسطاط من مصر إلى اسكندرية ثلاثون فرسخا"(2)

يجعل هذا النص آيلة من بلاد مقدونية يونان، وبالعودة إلى أغلب مصادر الجغرافيا والرحلات، فإنها تحدد آيلة في الجنوب المصري، وهي المنطقة التي يفترض أنها ظلت بعيدة عن الوجود اليوناني حسب السردية الرسمية، كما أن الربط بين مقدونية ومصر يبدو مثيرا للاستغراب، ولعدد من الأسئلة، الأمر الذي يجعل هذه التحديدات الجغرافية محط شك كبير؟

بينما تجعل نصوص أخرى الإسكندر مصريا، إذ قيل: "كان ذو القرنين يوناني من أهل مصر اسمه مرزبان بن مرزية من ولد يونان بن يافت بن نوح: حكى ذلك محمد بن اسحاق عن أهل الأخبار من الأعاجم"(3)

(1)- المطهر بن طاهر المقدسي، "البدء والتاريخ"، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد-مصر، ج ٤، ص ١٠٠

(2)- نفسه، ص ٧٢

(3)- أبو محمد مكي، " الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه"، تحقيق بإشراف الشاهد البوشيخي، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ج ٦، ص ٤٤٤٨

وقد يبدو الأمر مفسرا بارتباط مصر بحكم اليونان ومقدونية، كما ورد في نص سابق عند البكري، حيث امتد حكمهم على سواحل البحر الرومي وصولا إلى الإسكندرية، إلا أنه بحسب بعض النصوص فإن ملكهم امتد ليصل إلى بلد المغرب وساحل البلاد الرومية، كما جاء في مرآة الزمان: "وكانت قلان طره تتردد من المغرب إلى مصر، وكانت الجزائر بأسرها داخلة في ملك اليونان: صقلية وقبرس والأندلس، وجميع ما على البحر الرومي من البلاد الرومية وأعمالها، فإنها كانت للروم. وأقامت قلان طره ملكة عشرين سنة، وقيل: اثنتين وعشرين، ثم قتلت نفسها لما نذكر"[1].

تطرح هذه الرواية بدورها عددا من الأسئلة والإشكاليات، فإذا كانت قلان طره هي الملكة كليوباترة، فإن المعروف حسب السردية القائمة أن ملكها لم يصل إلى بلاد الأندلس وصقلية، فوفق أي تحديد تم اعتبار ملك قلان طره (كليوباطرة حسب التفاسير) قد وصل إلى هذه الفترات، هل التحديدات الجغرافية الواردة في النص السابق هي عينها التحديدات الجغرافية الحالية؟ أم أننا بصدد مجالات جغرافية مختلفة؟ وما طبيعة العلاقة بين اليونان، ومصر ومقدونية وآيلة؟

المحور الخامس: اليونان الأندلسية

إذا كان من الممكن فهم ارتباط اليونان بمصر أو بالشام، فإن ارتباط اليونان بالأندلس يظل محط أسئلة كثيرة، وقد سجلت عدد من النصوص هذا الارتباط، إذ ورد في وفيات الأعيان أنه لما: "رأى طارق لذريق قال لأصحابه: هذا طاغية القوم، فحمل وحمل أصحابه معه، فتفرقت المقاتلة من بين يدي لذريق، فخلص إليه طارق، وضربه بالسيف على رأسه فقتله على سريره، فلما رأى أصحابه مصرع ملكهم اقتحم الجيشان، وكان النصر للمسلمين، ولم تقف هزيمة اليونان على موضع، بل كانوا يسلمون بلدا بلدا ومعقلا معقلا"[2].

(١)- سبط ابن الجوزي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤١٠

(٢)- ابن خلكان، مصدر سابق، الجزء الخامس، ص ٣٢٨

يشير هذا النص إلى أن طارق بن زياد هزم اليونان، وأن الدخول إلى الأندلس كان دخولا لبلاد اليونان، وكان من الممكن اعتبار الأمر مجرد خطأ من أخطاء الكتاب أو النساخ، لكن تكراره في مواضع عدة، وبنفس المعنى تقريبا، وإن اختلفت الصياغة، يطرح عددا من علامات الاستفهام.

من الإشارات المهمة أيضا التي تربط الأندلس ببلاد اليونان، ما أروده السيرافي عن جزيرة سقوطرا، حيث ذكر في رحلته أن: "في البحر جزيرة تعرف بسقوطرا وبها منابت الصبر الاسقوطري، وموقعها قريب من بلاد الزنج وبلاد العرب، وأكثر أهلها نصارى، والسبب في ذلك أن اسكندر لما غلب على ملك فارس، كان يكاتبه معلمه ارسطوطاليس فيعرفه ما وقع عليه من الأرضين، فكتب إليه يؤكد عليه في طلب جزيرة في البحر تعرف بسقوطرا، وإن بها منابت الصبر وهو الدواء الأعظم الذي لا تتم الايارجات إلا به، وأن الصواب ان يخرج من كان في هذه الجزيرة، ويقيم فيها من اليونانيين من يحوطها ليحمل منها الصبر إلى الشام والروم ومصر، فبعث اسكندر فأخرج أهلها عنها وأنزل جمعا من اليونانيين فيها، وتقدم إلى ملوك الطوائف- إذ[1] كانوا عند قتله دارا الكبير طوع يده- بالاحتفاظ بهم فكانوا في صيانة حتى بعث الله عيسى عليه السلام، فبلغ من بهذه الجزائر من اليونانية أمره فدخلوا في جملة ما دخلت فيه الروم من التنصر وبقاياهم بها إلى هذا الوقت مع سائر من سكنها من غيرهم، ولم يذكر في هذا الكتاب[2].

تضم هذه الرواية معطيات جد هامة، أولها الإشارة إلى نبات الصبر أو الصبار الذي ينبت في المناطق الحارة وليس الباردة، وبالنظر إلى موقع اليونان الحالية وجزرها يبدو من الصعب الربط بينهما، كما يفترض أن هذه الجزيرة التي استوطنها اليونانيون

(١)- أبو زيد حسن بن يزيد السيرافي، "رحلة السيرافى"، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩، ص ٨٧

(٢)- نفسه، ص ٨٨

قريبة من مصر والشام من أجل ارسال الصبر إليها، وهو ما يطرح مرة أخرى إشكالية المناخ والغطاء النباتي، وإلى أي حد يمكن أن يستقيم هذا الأمر مع التحديدات الحالية.

أما الإشارة المهمة الثانية فهي قيام الإسكندر بإرسال سكان الجزيرة إلى الأندلس عند ملوك الطوائف، وهو يتضمن معطيين اثنين يخالفان السردية الرسمية، أولهما أن سكان الأندلس من اليونان، وهو ما يناقض السردية الرسمية التي تعتبرهم كانوا قوطا غربيين ولا علاقة لهم من قريب أو بعيد باليونان، أما المعطى الثاني فهو أن لقب ملوك الطوائف لم يظهر إلا في الفترة الإسلامية، بعد سقوط الخلافة الاموية في الأندلس (القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)، وهو ما لا يمكن أن يستقيم بأي حال من الأحوال مع فترة حكم الإسكندر، الذي يفترض أنه حكم قبل القرن الرابع الميلادي، أي بين التاريخين حوالي ١٥ قرنا من الزمان، وبالتالي فإننا إما أمام رواية منحولة ومزيفة، أو أننا إزاء واقع مجال جغرافي وزمني مختلف تمام الاختلاف؟

في هذا السياق يورد صاحب "المرآة" نصا قال فيه: "ولما ظهر بخت نصر على مصر دخل المغرب، ووصل إلى بلاد اليونان، وقرر عليهم أن يؤدوا الخراج إلى ملوك فارس، وفي الجملة بيض من ذهب. واستقر ذلك حتى مات فيلفوس أبو الإسكندر، فأزاله الإسكندر على ما ذكرنا"[1].

يطرح المجال الجغرافي لهذه الرواية سؤالا أساسيا عن اليونان، إذ جاء فيها أن الإسكندر اتجه من مصر حتى دخل المغرب ثم بلاد اليونان، وهو ما لا يستقيم مع السردية الجغرافية الحالية، حيث توجد اليونان شمال مصر، ولعل هذه الرواية تلتقي مع رواية حكم قلان طره (كليوباطره) إذ كانت "تتردد من المغرب إلى مصر، وكانت الجزائر بأسرها داخلة في ملك اليونان: صقلية وقبرس والأندلس"[2]، وهذا ما يضع السردية الرسمية في مأزق حقيقي.

(١)- ابن الجوزي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٠٨

(٢)- نفسه، ص ٤١٠

تزيد حدة الإشكال المطروح أمام السردية الرسمية، بالعودة إلى نص ورد في وفيات الأعيان، جاء فيه: "وأصل خبر بيت الحكمة أن اليونان - وهم الطائفة المشهورة بالحكمة - كانوا يسكنون ببلاد المشرق قبل عهد الإسكندر، فلما ظهرت الفرس واستولت على البلاد، وزاحمت اليونان على ما كان بأيديهم من الممالك، انتقل اليونان إلى جزيرة الأندلس، لكونها طرفا في آخر العمارة، ولم يكن لها ذكر يوم ذاك، ولا ملكها أحد من الملوك المعتبرة"(1).

يشير هذا النص إلى انتقال اليونان للأندلس عند ظهور الفرس، لكن الأهم هو سكنهم في بلاد المشرق قبل عهد الإسكندر، وهو ما لا ينسجم بأي حال من الأحوال مع التحديدات الجغرافية الحالية، إذ لا يعقل أن تكون اليونان شرق مصر والشام، كما أن انتقال اليونان صوب الأندلس والذي ورد في نصوص أخرى يطرح أسئلة كثيرة.

ويبدو أن سردية يونانية الأندلس أو أندلس اليونان كانت راسخة عند ابن خلكان، إذ أورد في نص آخر: "وكان بنواحي غرب جزيرة الأندلس ملك يوناني بجزيرة يقال لها قادس، وكانت له ابنة في غاية الجمال"(2)

ويورد في نص آخر: "وكان من تقدم من ملوك اليونان يخشى على جزيرة الأندلس من البربر للسبب الذي قدمنا ذكره، فاتفقوا وعملوا الطلسمات في أوقات اختاروا أرصادها، وأودعوا تلك الطلسمات تابوتا من الرخام وتركوه في بيت بمدينة طليطلة، وركبوا على ذلك البيت بابا وأقفلوه، وتقدموا إلى كل من ملك منهم بعد صاحبه أن يلقي على ذلك الباب قفلا، تأكيدا لحفظ ذلك البيت، فاستمر أمرهم على ذلك.

ولما كان وقت انقراض دولة اليونان ودخول العرب والبربر إلى جزيرة الأندلس، وذلك بعد مضي ستة وعشرين ملكا من ملوك اليونان من يوم عملهم

(1)- ابن خلكان، مصدر سابق، الجزء الخامس، ص323

(2)- نفسه، الجزء الخامس، ص 324

الطلسمات بمدينة طليطلة، وكان الملك لذريق المذكور السابع والعشرين من ملوكهم"(1).

ثم يضيف في نص آخر: "وذهب ملك اليونان من أيديهم، ودرست حكمتهم، فهذا هو بيت الحكمة المقدم ذكره؛ فلما سمع لذريق ما في الرق ندم على ما فعل، وتحقق انقراض دولتهم، فلم يلبث إلا قليلا حتى سمع أن جيشا وصل من المشرق جهزه ملك العرب يستفتح بلاد الأندلس؛ انتهى الكلام على بيت الحكمة.

ونعود الآن إلى تتمة حديث لذريق وجيش طارق بن زياد:

فلما رأى طارق لذريق قال لأصحابه: هذا طاغية القوم، فحمل وحمل أصحابه معه، فتفرقت المقاتلة من بين يدي لذريق، فخلص إليه طارق، وضربه بالسيف على رأسه فقتله على سريره، فلما رأى أصحابه مصرع ملكهم اقتحم الجيشان، وكان النصر للمسلمين، ولم تقف هزيمة اليونان على موضع، بل كانوا يسلمون بلدا بلدا ومعقلا معقلا"(2).

تطرح هذه النصوص علامات استفهام كثيرة، فهي ترجع إلى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وصاحبها ابن خلكان الذي تنقل بين دمشق ومصر وتولى مناصب القضاء فيهما، وألف عمله الموسوعي "وفيات الأعيان"، وخلال هذه المرحلة كانت الحملة الصليبية الرابعة قد استهدفت جزءا مما يعرف بالإمبراطورية البيزنطية التي يفترض أن اليونان كانت خاضعة لها، فكيف إذا يجعلها ابن خلكان في الأندلس؟ وأي علاقة بين اليونان والأندلس خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي؟ ما هي العلاقة بين بلاد الأندلس وجزيرة قادس؟ كيف تحول القوطيون إلى اليونان؟ كيف نفسر التضارب بين من يجعل لذريق قوطيا ومن يجعله يونانيا؟ وهل يعقل أنه في القرن السابع الهجري الذي مثل مرحلة مهمة من الاحتكاك بين ضفتي المتوسط (احتكاك لم يخل من عنف أحيانا) أن يورد المؤلفون مثل هذه الأخطاء

(1)-ابن خلكان، مصدر سابق، الجزء الخامس، ص ٣٢٧

(2)- نفسه، ص ٣٢٨

دون تحري؟ أم أن الامر يرتبط بمجال جغرافي آخر؟ هل يعقل أن اليونان التي كانت حاضرة ومهيمنة كتمثل ثقافي في الساحة الفكرية والفقهية أيضا مجهولة المجال؟

تتكرر هذه الأسئلة بتكرر الإشارات ذاتها في عدد من المصادر إذ نجد بعضها عند ابن أبي اصبيعة، حيث أورد: وقال أبو معشر في المقالة الثانية من كتاب الألوف أن بلدة من المغرب كانت تسمى في قديم الدهر أرغس وكان أهلها يسمون أرغيوا وسميت المدينة بعد ذلك أيونيا وسموا أهلها يونانيين باسم بلدهم وكان ملكها أحد ملوك الطوائف"[1].

وهنا لابد من التساؤل عن طبيعة العلاقة بين المغرب واليونان وملوك الطوائف؟ كيف تتحول اليونان إلى بلدة مغربية، ويصبح ملكها أحد ملوك الطوائف، مع ما سبقت الإشارة إليه من إشكال يرتبط بهذا التحديد؟

هذا الإشكال يزيد حدة بحضور نفس الرواية عند "المقري" صاحب "نفح الطيب" وهي الموسوعة الأندلسية التي ألفها المقري التلمساني خلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي[2]، وحسب السردية الرسمية فإنه من المفترض أن اليونان كانت ضمن البلاد العثمانية، على غرار أغلب مناطق العالم الإسلامي التي تنقل فيها المقري، بيد أنه مع ذلك يربط بين اليونان والأندلس والمغرب، ما يجعل السؤال مشروعا حول هذه الرواية ومصداقيتها، وعلاقتها بالتحديدات الجغرافية الحالية؟؟

وقد ظلت سردية الأندلس اليونانية أو يونان الأندلس حاضرة في النصوص العربية إلى غاية القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، إذ أورد المؤرخ محمود مقديش (توفي سنة ١٨١٣) عددا من هذه الروايات في كتابه نزهة الأنظار في

(١)- ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق، ص٢٩

(٢)- شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب"، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت – لبنان، ١٩٩٧، ج ١، ص ٢٤٣

عجائب التاريخ والأخبار، ومن ذلك رواية عنونها ب"اليونان ودورهم بالأندلس"[1]، أو في وراية عن "طليطلة وما جاورها:

وبلاد الأندلس مقسومة من وسطها في الطول بجبل طويل يسمى الشارات، وفي جنوب هذا الجبل مدينة طليطلة، وهي مركز لبلاد الأندلس، (وهي قاعدة ملك اليونان، ولها بساتين محدقة وأنهار مخترقة، ورياض وجنان، وفواكه حسان، مختلفة الطعم والألوان، ولها من جميع جهاتها أقاليم وسيعة)"[2].

أو ما أورده عن "وقت انقراض دولة اليونان ودخول العرب والبربر إلى جزيرة الأندلس، وذلك بعد مضي ستة وعشرين ملكا من ملوك اليونان من يوم عملهم الطلسمات بمدينة طليطلة"[3]

إن استمرار هذه الروايات إلى الربع الأول من القرن التاسع عشر، قبل ما يعرف بثورة اليونان ومطالبتها بالاستقلال يطرح عددا من الأسئلة حول التحديد الجغرافي لليونان الحالية وعلاقتها بالأندلس، إذ لم يتم العثور –في المصادر المطلع عليها– على ما يمكن اعتباره نقدا أو تفنيدا لرواية يونان الأندلس أو أندلس اليونان، وكأنها من المعروف بالتاريخ والجغرافيا بالضرورة، كما لم يتصدى مؤرخي القرنين الثامن عشر وبداية التاسع عشر لنقد هذه الرواية، وهو ما قد يزكي فرضية اننا إزاء جغرافية مختلفة.

المحور السادس: محددات جغرافية

تقدم المصادر العربية الإسلامية عددا من التحديدات الجغرافية التي يمكن أن تعين على تحديد بعض مميزات بلاد اليونان وطبونيميتها، من أجل رسم جدول طبونيمي لليونان في المصادر العربية الإسلامية، يسهم في تحديد أدق لموقعها.

(١)– محمود مقديش، "نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار"، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، ج ١، صص ١٥١و١٥٢.

(٢)– نفسه، ص ١٥٦

(٣)– نفسه، ص ٢٣٥

في هذا السياق أورد الهمداني في كتابه "صفة جزيرة العرب أن: "الذين يسكنون في الوسط فيما بين مدار بنات نعش ومدار رأس السرطان، فإن الشمس لما كانت لا تصل إلى موضع سمت رؤوسهم - ولم يكن بعدها عنهم في أوقات انتصاف النهار بعدا كثيرا، فكان مزاج هوائهم معتدلا فكان قد يختلف إلا أنه لا يعرض له تغير كثير من الحر إلى البرد ومن البرد إلى الحر - صارت ألوان هؤلاء متوسطة ومقادير أبدانهم معتدلة وطبائعهم حسنة المزاج ومساكنهم متصلة وأخلاقهم أنيسة. ومن كان من هؤلاء يميل إلى ناحية الجنوب فهو في أكثر الأمر أذكى وأحيل وأقوى على العلم بأمور الآلهة لقرب فلك البروج والكواكب المتحيرة من موضع سمت رؤوسهم، وحركات أنفسهم تليق بحركات الكواكب في سرعة وقوفها على الشيء، وإنها ذوات فحص ونظر في العلوم التي تسمى التعليمية - أي علم النجوم والحساب - كأنه يريد أداني بابل فبلد فارس فذاهبا إلى المغرب على أرض مصر وجزيرة يونان"

من خلال هذه الإشارة فإن قاطني المنطقة بين مداري السرطان وبنات نعش (المنطقة الاستوائية) هم الأكثر تميزا في العلوم العقلية كأرض مصر واليونان، وهنا يجوز التساؤل عن العلاقة بين اليونان والمنطقة الاستوائية خاصة أن النص يربط بين المضي جنوبا وتطور هذه المعارف، وغني عن البيان ربط المصادر العربية الإسلامية بين تطور المعرفة العقلية واليونان، وهو ما يعيد طرح السؤال حول المجال الجغرافي الذي تعنيه اليونان في المصادر العربية الإسلامية؟

في سياق وضع شبكية جغرافية لبعض المواقع المرتبطة باليونان أشار الاصطخري إلى أن "المسافات بهذه النواحي الطريق من برذعة إلى أردبيل من برذعة إلى يونان سبعة فراسخ ومن يونان إلى بيلقان سبعة فراسخ ومن بيلقان إلى ورثان

سبعة فراسخ ومن ورثان إلى بلخاب سبعة فراسخ ومن بلخاب إلى برزند سبعة فراسخ ومن برزند إلى أردبيل خمسة عشر فرسخا"(١).

ويورد صاحب حدود العالم في تعريفه لبلاد اليونان: "يونان:

كانت مدينة من أثيناس هذه قديما. وقد نبغ جميع الحكماء والفلاسفة من أثيناس هذه"(٢)، والملاحظ أن المؤلف يجعل أن يونان كانت جزءا من أثيناس دون أن يقدم أي إضافات حول أي موقع لأثيناس هذه.

يورد المقدسي في أحسن التقاسيم شبكية جغرافية جاء فيها: "واما المسافات فإنك تأخذ من برذعة إلى يونان أو إلى برديج أو إلى جنزة أو إلى قلقاطوس مرحلة مرحلة، وتأخذ من يونان إلى البيلقان مرحلة ثم إلى ورثان مرحلة ثم إلى تلخاب مرحلة ثم إلى برزند مرحلة ثم إلى أردبيل مرحلتين".(٣)

ويقدم ياقوت الحموي إشارة مهمة في كتابه "معجم البلدان"، حيث: "قال أبو الريحان: كان اليونان يقسمون المعمور من الأرض بأقسام ثلاثة: لوبية، وأورفى، وقد ذكرا في موضعهما. ثم قال: وما استقبل هاتين القطعتين من المشرق يسمى آسيا، ووصف بالكبرى، لأن رقعتها أضعاف الأخريين في السعة، ويحدها من جانب الغرب، النهر والخليج المذكوران الفاصلان إياها عن أورفى، ومن جهة الجنوب بحر اليمن والهند، ومن المشرق أقصى أرض الصين، ومن الشمال أقصى أرض الترك وأجناسهم"(٤).

هذا النص وإن كان لا يحدد موضع اليونان بالضبط لكنه يشير لتقسيمهم للعالم إلى لوبية وأورفي وآسيا، وحسب السردية السائدة فإن لوبية ترتبط بشمال أفريقيا

(١)- الاصطخري، "مرجع سابق، ص ١٩٣

(٢)- مجهول، "حدود العالم من المشرق الى المغرب"، مرجع سابق، ص ١٨٦

(٣)- المقدسي البشاري، مرجع سابق، ص٣٨١

(٤)- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٥٤

وأورفيا بشرقها ثم آسيا، وهو ما لا يمكن بأي حال من الأحوال أن ينسجم مع هذا النص أو يفسره، ما يعني أننا بصدد تقسيم مجالي آخر.

ويؤكد هذا الأمر الإشارة الأخرى التي أوردها ياقوت الحموي عن أبو الريحان البيروني الذي قال: "كان اليونانيون يقسمون المعمورة بأقسام ثلاثة تصير أرض مصر مجتمعا لها فما مال عنها وعن بحر الروم نحو الجنوب فاسمه لوبية ويحدها بحر أوقيانوس المحيط الأخضر من جانب المغرب وبحر مصر من جهة الشمال وبحر الحبش من جهة الجنوب وخليج القلزم وهو بحر سوف أي البردي من جانب المشرق وهذا كله يسمى لوبية، والقسم الآخر اسمه أورقي، والآخر آسيا، وقد ذكرا في موضعيهما"(1).

يجعل هذا النص أرض مصر مجمعا للأجزاء الثلاثة حسب اليونان، وقد ظل هذا التقسيم حاضرا في عدد من المصادر كمراصد الاطلاع وغيرها، مع بعض الاختلافات الطفيفة، فهذا الأخير مثلا يجعل أصل كلمة آسيا يونانية، "ويقال لها الكبرى؛ لأنها أضعاف القطعتين المتقدمتين؛ لأنهم قسموا الأرض مغربا ومشرقا، فما كان عن يمين مستقبل الجنوب فهو المغرب، وما كان عن شماله فهو المشرق. ولما اخترق بحر الروم المغرب بالطول سموا جنوبيه لوبية وشماليه أورفى، وتركوا المشرق على حاله، إذ لا قاطع له يقطعه؛ ولم يظهر لهم هذا القسم لبعده عنهم؛ فتركوه على حاله. ومن الناس من يقسم آسيا إلى قطعتين: صغرى وهى: العراق وفارس والجبال وخراسان، وكبرى وهى: الهند والصين والترك"(2)

(1)-ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 25

(2)- صفي الدين القطيعي، "مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع"، دار الجيل، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ج 1، ص 4

والملاحظ في هذه الرواية برغم أنها تقسم العالم انطلاقا من تحديد يوناني، إلا أنها لا تذكر اليونان كمجال جغرافي، ولا تحدد موقعهم، بل تكتفي بالحديث عن حكماء اليونان، وهو ما يطرح عددا من الأسئلة حول اليونان مجالا جغرافيا.

"أما اليونانيون فكانوا أمة عظيمة القدر في الأمم طائرة الذكر في الآفاق فخمة الملوك. منهم الإسكندر بن فيليفوس المقدوني الذي اجمع ملوك الأرض طرا على الطاعة لسلطانه. وكان من بعده من ملوك اليونانيين البطالسة دامت لهم الممالك وذلت لهم الرقاب. ولم يزل ملكهم متصلا إلى ان غلب عليهم الروم وهم الإفرنج. وكانت بلاد اليونانيين في الربع الغربي الشمالي من الأرض. ويحدها من جهة الجنوب البحر الرومي ومن جهة الشمال بلاد اللان ومن جهة المغرب تخوم بلاد اليمانية ومن جهة المشرق بلاد أرمينية وباب الأبواب. ويتوسط بلاد اليونانيين الخليج المعترض ما بين بحر الروم وبحر نيطس الشمالي فيصير القسم الأعظم منها في حيز المشرق والقسم الأصغر منها في حيز المغرب"(١)

يطرح هذا التحديد الجغرافي أسئلة أخرى، إذ كيف يقال أن حدها الغرب هو بلاد اليمانية، أي علاقة تربط بين بلاد اليمانية واليونان؟ وكيف يمكن اعتبارهما متجاوران، وكيف تصبح بلاد اليمانية غربا والبحر الرومي جنوبا وارمينية شرقا؟ تبدو هذه التحديدات الجغرافية غير منسجمة وغير متناسقة مع التحديدات السائدة، وأبعد ما تكون عنها.

(١)- ابن العبري، مصدر سابق، الجزء الأول، ص ٥٧.

الفصل الخامس:

الإغريق في المصادر العربية الإسلامية

من هم الإغريق؟ أثناء محاولة الإجابة على هذا السؤال يصطدم المرء بأن المصادر والمراجع تعامت معهم وكأنهم من المعلوم من العلم بالضرورة، ومما قد يؤدي السؤال حوله إلى الرمي بالجهل والأمية، فالإغريق هم اليونان القدامى عند المسلمين، كما تقول بذلك موسوعة سفير الإسلامية: "الإغريق: هم سكان شبه جزيرة البلقان، الذي عرف عند العرب باسم بلاد اليونان وعرف سكانه أيضا باسم الهيلينيين. وقد شمل التوسع الإغريقى مناطق فى آسيا الصغرى والبحر الأسود. وأهم المستعمرات التي أقاموها كانت فى بيزنطة (التي أصبحت عاصمة للإمبراطورية الرومانية الشرقية)، وفى ليبيا، ومصر، وإسبانيا، وفرنسا، وحظيت إيطاليا وصقلية بالنصيب الأوفر من نشاط المستعمرين الإغريق"[1].

ويمتد هذا التعريف إلى أغلب الموسوعات والمراجع على اختلاف لغاتها وتخصصاتها واتجاهاتها، بيد أنه إذا ما انطلقنا من قاعدة إعادة السؤال على البديهي، يبدو لنا هذا المعلوم من العلم بالضرورة، هشا ويحتاج لإعادة تحديد وتوضيح، من هنا إذا كان طرح السؤال الأساسي: من هم الإغريق؟ وما طبيعة العلاقة التي تربطهم باليونان؟ وإلى أي حد يمكن الركون إلى السردية الرسمية التي تعتبر أن الإغريق هما اليونان في المصادر العربية الإسلامية؟

للإجابة على هذه الأسئلة كان من الضروري الرجوع إلى المصادر العربية الإسلامية، لا يبدو الحضور الإغريقي في المصادر العربية الإسلامية، بالشكل الذي كنا نتصوره أو نعتقده، وهو ما يطرح أسئلة كثيرة حول سبب هذا الغياب، ولا يقتصر الأمر على المستوى الكمي بل يتجاوزه إلى المستوى الكيفي، وهو ما تحاول هذه

(١) – مادة "الإغريق"، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، الجزء ١٤، ص ١٦٤ (بترقيم الشاملة آليا)

الدراسة رصده، من خلال تتبع الإغريق عبر القرون في المصادر الإسلامية العربية، والتعليق حولها ومحاولة فهم طبيعة هذا الحضور.

المحور الأول: نصوص القرن الخامس الهجري

ترجع أقدم الإشارات للإغريق في المصادر العربية الإسلامية –المطلع عليها– إلى القرن الخامس الهجري، وتحديدا عند أبو عبيد الله البكري في كتابه "المسالك والممالك"، حيث انفرد البكري بأربع إشارات للإغريق، وردت في مواضع مختلفة في كتابه، وتطرح هذه النصوص عددا من الملاحظات، إذ أورد في النص الأول: "واللذارقة (وهم ملوك الأندلس) وغيرهم أول من لعب بالشواهين.. وملك بعده بطليموس بن هيفلوس ثمانيا وثلاثين سنة، وهو الذي بنى مدينة أنطاكية ... وهو الذي أطلق اليهود المأسورين بمصر وهو الذي انتخب سبعين مترجما فترجموا التوراة من العبرانية إلى الإغريقية."(1)

اقترنت "الإغريقية" في هذا النص باللغة، إذ تمت ترجمة التوراة من العبرانية إلى الإغريقية، على يد سبعين مترجما، وهي رواية ترتبط بإشكالية لغة الكتاب المقدس الأصلية والترجمة منه، وهو ما فصلت فيه المصادر العربية وأطنبت فيه ولا يدخل ضمن نطاق دراستنا هذه، وما يهم من هذه الإشارة، أن الإغريقية ارتبطت في أول إشارة لها في المصادر العربية الإسلامية باللغة والكتاب المقدس التوراتي.

أما أهم إشارة في هذا النص فتتعلق "بحرب أفريقية"، وقد يعتبر البعض أن المقصود بحرب أفريقية هي الحروب البونيقية، لكن الأمر هنا يتعارض مع ترجمة الكتاب المقدس إلى الإغريقية، كما يتعارض مع بناء أنطاكية؛ يقدم البكري في هذا النص إذا مفاتيحا أساسيا، هي الترجمة الإغريقية للنص العبري، حرب أفريقية، اللغة الإغريقية.

---

(1)– البكري، مرجع سابق، صص ٣٠٢– ٣٠٣.

أما ثاني نص عند البكري للإغريق فقد ارتبطت بالمجال الجغرافي وليس اللغة، حيث أورد البكري: "فأما مجدونية فهي قاعدة الروم الإغريقيين، ومنها أرسطاطاليس فيلسوف الروم وعالمها [وطبيبها وجهبذها وخطيبها]، وهو معلم الإسكندر وله رسائل عجيبة"[1].

يشير البكري إلى أن مجدونية هي "قاعدة الروم الإغريقيين"، وهذا الربط بين الإغريق والروم يبدو مثيرا للانتباه، إذ يفترض حسب السردية السائدة أن الروم والإغريق متباينين، لكن هذا النص يجعلهما أثنية أو قومية واحدة قاعدتهم مدينة مجدونية، وهي مهد أرسطوطاليس معلم الروم حسب البكري، الذي يبدو واضحا أنه يجمع أو يدمج بين الروم والإغريق ككيان أو شعب أو قومية واحدة؛ يقدم هذا النص إذا مفاتيحا أساسية هي "الروم الإغريقية" قومية، و"مجدونية" مجالا، و"أرسطوطاليس" علما.

يرتبط النص الثالث للبكري باللغة والمجال، حيث ورد فيه: """برقة، واسمها بالرومية الإغريقية بنطابلس تفسيره خمس مدن. وصار إليها عمرو بن العاص حتى صالح أهلها على ثلاثة عشر ألفا يؤدونها إليه جزية على أن يبيعوا من أحبوا من أبنائهم في جزيتهم"[2]، فهو يحدد برقة كمجال جغرافي، وحسب السردية الحالية فإن برقة توجد بالأراضي الليبية، ثم يشير إلى اسمها باللغة الإغريقية الرومية (بنطابلس)، وهذا الدمج بين الإغريقية والرومية، يطرح السؤال حول السردية القائمة، وإلى أي حد يمكن اعتبار أن الروم والإغريق قوميتين أو لغتين متباينتين؟ ويقدم هذا النص مفاتيحا أساسية تتكون من برقة (بنطابلس) مجالا جغرافيا، والرومية الإغريقية لغة.

ويتضمن النص الرابع إشارات جد هامة، إذ أورد البكري فيه ما يلي: "ويذكر أن تفسير أطرابلس بالأعجمية الإغريقية ثلاث مدن، وسماها اليونانيون طربليطة

(١)-البكري، مرجع سابق، صص ،٤٨٨ - ٤٨٩

(٢)- نفسه، ج٢، ص ٦٤٩

وذلك بلغتهم أيضا ثلاث مدن: طر معناه ثلاث وبليطة يعني مدينة. ويذكر أن أشفاروش قيصر هو الذي بناها. وتسمى أيضا مدينة أطرابلس مدينة إياس. وعلى مدينة أطرابلس سور صخر جليل البنيان وهي على شاطىء البحر، ومبنى جامعها أحسن مبنى، وبها أسواق حافلة جامعة وحمامات كثيرة فاضلة. وبأطرابلس مسجد يعرف بمسجد الشعاب مقصود، وحولها أقباط في زي البربر كلامهم بالقبطية، في قرارات في شرقيها وغربيها مسيرة ثلاثة أيام إلى موضع يعرف ببني السابري، وفي القبلة مسيرة يومين إلى حد هوارة"[1]

من خلال هذا النص يفيد البكري أن أطرابلس تعني بالأعجمية الإغريقية ثلاث مدن، ثم يورد اسمها باللغة اليونانية "طربليطة"، ويقيم تقابلا واضحا بين الإغريقية واليونانية، وكأنهما لغتين مختلفتين، وهو ما يناقض السردية القائمة.

من الإشارات الهامة التي يقدمها البكري أيضا، تواجد البربر والقبط في طرابلس، حيث يمكننا من رسم تصور أساسي عن هذا الموقع غير البعيد عن الإسكندرية، والذي يتواجد به البربر والأقباط ويلقب بالأعجمية الإغريقية بثلاث مدن وكذلك في لغة اليونان، ولكن بلفظ مختلف.

يقدم النص الرابع إذا الكلمات المفتاحية التالية: الأعجمية الإغريقية واليونان لغات، والبربر والقبط أثنيات، وطرابلس وطربليطة مجالين جغرافيين.

المحور الثاني: نصوص القرن السادس الهجري

خلال القرن السادس الهجري لم يتم الوقوف على حضور الإغريق كمفردة إلا خمس مرات، مرة في كتاب الاستبصار لمؤلف مجهول، ومرتين عند الإدريسي، ومرة عند بنيامين التطيلي؛ ويقدم النص الأول للاستبصار عددا من التحديدات الأساسية، إذ أورد المؤلف المجهول لكتاب الاستبصار أن "مدينة برقة: وهي مدينة كبيرة أزلية قديمة، فيها آثار كثيرة للأول؛ وهي في صحراء حمراء التربة والمباني فتحمر لذلك ثياب

(١)- نفسه، ج٢، ص٦٥٣

ساكنيها والمتصرفين فيها؛ وعلى ٦ أميال منها جبل كثير الخصب والفواكه والمياه السائحة. وأرض برقة كثيرة الخصب تصلح السائمة في مراعيها؛ وأكثر ذبائح أهل مصر والإسكندرية من غنم برقة لعظم خلقها وكثرة شحمها ولذة لحمها. واسمها باللغة الإغريقية بنطابلس، تفسيره ٥ مدن"(١).

حسب منطوق هذا النص فبرقة تعني باللغة الإغريقية بنطابلس أي خمس مدة؛ بالإضافة إلى هذا يقدم صاحب الاستبصار عددا من المعطيات الجغرافية المهمة، فبرقة الواردة في كتابه، تقع في صحراء حمراء التربة، وعلى بعد ٦ أميال منها جبل كثير الخصب والفواكه والمياه السائحة، وتتميز بلحوم غنمها وبقرها وغيرهم لعظم خلقها وكثرة شحمها ولذة لحمها، تؤكد هذه المؤشرات على قرب برقة من ارض مصر، وأنها في منطقة استوائية، وبالتالي فإن أقدم تحديد جغرافي للإغريق يرتبط بمنطقة استوائية قرب مصر.

أما النص الأول للإدريسي، فقد أورد فيه """وعلى قبر العازر يؤخذ طريق وادي الأردن وبين وادي الأردن وبيت المقدس مسافة يوم واحد ومن قبل أن تصل إلى وادي الأردن مدينة ريحا السابق ذكرها وبينها وبين الوادي ثلاثة أميال وعلى الوادي المسمى الأردن كنيسة عظيمة على اسم شنت يوحنا يسكنها رهبان الإغريقيين ووادي الأردن يخرج من بحيرة طبرية ويصب في بحيرة سادوم وعاموراء اللتين كانتا مدينتي قوم لوط فغرقهما الله بذنوب أهلهما ومما يلي قبلة وادي الأردن برية متصلة"(٢)

حسب هذا النص يشير الإدريسي إلى وجود "رهبان إغريقيين" في كنيسة شنت يوحنا على نهر الأردن، بين أريحا وبيت المقدس على نهر الأردن، وبحسبه فهذا النهر يخرج من بحيرة طبرية، ويصب في سدوم وعامورا، بمعنى ان الإغريق في هذا النص ترتبط بالمجال الجغرافي "التوراتي".

(١)- الاستبصار، مرجع سابق، ج١، ص١٤٣

(٢)- الإدريسي، مرجع سابق، ج١، صص٣٦١- ٣٦٢

يورد الإدريسي في النص الثاني أنه "من أرينية إلى مدينة بقصين على نهر دنو في جهة الجنوب ستون ميلا وبقصين مدينة مشهورة وفي عديد القواعد القديمة مذكورة وبها أسواق ومتاجر وصناع وعلماء إغريقيون ولهم مزارع وجهات عامرة وسعرها أبدا محطوط لكثرة الحنطة عندهم"[1].

تعتبر هذه الإشارة عند الإدريسي بالغة الأهمية، فحسبها فإن عددا من الصناع والعلماء والتجار الإغريق يستقرون في مدينة بقصين، خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي، وهو ما يتناقض مع ما أشارت إليه المصادر العربية من أن اليونان كانوا أمة منقرضة، وبالتالي يبدو أننا إزاء قومية أو إثنية مختلفة، ولا تعضد هذه الإشارة ما ذهبت إليه الدراسات الحديثة من اعتبار الإغريق مرادفا لليونان في المصادر العربية الإسلامية، إن الحديث عن مجموعة بشرية كانت متواجدة خلال القرن السادس الهجري رهبانا وصناعا وتجارا وعلماء.

يقدم بنيامين التطيلي بعض الإشارات المهمة، إذ أورد في نصه أنه "كان رحيلي في أول الأمر عن مدينة سرقسطة. فانحدرت منها بطريق نهر إبرة إلى طرطوشة، وبلغت بعد مسيرة يومين مدينة طركونة القديمة، ذات الأوابد الجسيمة من بناء الجبابرة وأسلاف الإغريق، مما لا نظير له في جميع بلاد الإسبان، وموقعها على شاطئ البحر"[2]

فطركونة وهي حسبه مدينة إسبانية، من بناء الجبابرة وأسلاف الإغريق، وتطرح هذه العبارات بعض الإشكاليات، إذ هل المقصود بأسلاف الإغريق هم الإغريق أنفسهم؟ أم مجموعة بشرية سبقتهم وبادت؟ فإذا كان الإغريق أنفسهم، فإن هذا يتناقض مع الموقع الجغرافي لطركونة الحالية، والعلاقة مع الإغريق لا تستقيم، أما

(١)- نفسه، ج٢، ص ٨٨٤.

(٢)- الرابي بنيامين بن الرابي يونة التطيلي النباري الاسباني اليهودي، "رحلة بنيامين التطيلي" المجمع الثقافي أبو ظبي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، صص١٧٩- ١٨٠.

إذا كان المقصود مجموعة بشرية سابقة، فإن هذا يؤكد وجود الإغريق كمجموعة بشرية خلال القرن السادس الهجري، وهو ما يضع محط شك ونقد كبيرين ما يقوم به الباحثون من دمج بين اليونان والإغريق، إذ يبدو أن الحديث هنا عن جماعة بشرية حية ومتفاعلة في مجالها الجغرافي والتاريخي.

أما النص الثاني للتطيلي، فيشير إلى أن " نابل **Neapolis** وهي بلدة حصينة مستحكمة واقعة على شاطئ الخليج. بناها الإغريق في أول عهدها. وفيها نحو ٥٠٠ يهودي أشهرهم الرابيون حزقية وشلوم وإيليا كوهن والرئيس إسحاق من جبل نابوس (؟) وعلى مسيرة يوم منها بطريق البحر "(١)، وهذا الأمر لا يخلو من إشكاليات، فنابل حسب التحديدات الحالية تقع ضمن تونس، وبالتالي وفق أي منطق يتم الربط بينها وبين الإغريق؟ ثم أن التطيلي يجعلها مدينة على الخليج، فعن أي خليج يتحدث التطيلي؟ ما طبيعة العلاقة بينهما؟

المحور الثالث: نصوص القرن السابع الهجري

نجد خلال القرن السابع الهجري خمس إشارات للإغريق موزعة على ثلاث مصادر، تتضمن إشارات هامة، وقد جاء في النص الأول لابن جبير إشارة هامة، إذ جاء في معرض حديثه عن فتح القسطنطينية "وحسبك أن صاحب القسطنطينية لم يزل يؤدي الجزية اليه ولصالحه على ما يجاوره من البلاد، فأسلم مع ابنة عمه على يده، وسيق له صليب ذهب قد احمي عليه في النار فوضعه تحت قدمه، وهي عندهم أعظم علامات الترك لدين النصرانية والوفاء بذمة دين الاسلام، وتزوج ابنة العم المذكورة وبلغ هواه، وأخذ جيوش المسلمين معه إلى القسطنطينية فدخلها بهم وقتل من أهلها نحو الخمسين ألفًا من الروم، وأعانه الإغريقيون على فعله، وهم فرقة من أهل الكتاب وكلامهم بالعربية، وبينهم وبين سائر الفرق من جنسهم عداوة كامنة، وهم لا يرون أكل لحم الخنزير، فشفوا نفوسهم من أعاديهم، وقرع الله نبع الكفر بعضه ببعض

(١)-رحلة بنيامين التطيلي، صص ٢٠٤- ٢٠٥.

واستولى المسلمون على القسطنطينية ونقلت أموالها كلها، وهي ما لا يأخذه الإحصاء، إلى الأمير مسعود، وجعل من المسلمين فيها ما ينيف على الأربعين الف فارس، واتصلت بلادهم بها. وهذا الفتح، إذا صح، من أكبر شروط الساعة، والله اعلم بغيبه"(١)

يعتبر حدث فتح القسطنطينية من أهم الأحداث في السردية التاريخية الحالية، وقد عبر ابن جبير أيضا عن ذلك، لكن المهم في نص ابن جبير أنه يجعل الإغريق من أهل الكتاب، ولغتهم "العربية"، وهذا ما يخالف السائد والشائع، وإضافة لهذا فإن الإغريق حسب ابن جبير موالون للمسلمين ضد بني جنسهم من الروم؟!

ويورد ابن سعيد المغربي في كتاب الجغرافيا نصا جاء فيه: "ومن هذه المدينة إلى القسطنطينية، من البلاد التي يسكنها الخرايطة وهم بقايا الإغريقيين، عدد كبير، وهي معجمة خاملة عند المسلمين. وفي هذا الجزء تقع جزيرة لمريا وتعرف في الكتب بجزيرة بيلوبنس، وفيها مدن وعمائر، وهي أكبر الجزائر الرومانية"(٢)، ينضاف هذا النص لابن سعيد المغربي إلى نص ابن جبير، ليؤكد على وجود علاقة بين الإغريق والمسلمين، وإن كان الاختلاف في طبيعة اللغة، كما يشير إلى أن بقايا الإغريقيين يعرفون بالخرايطة وهم أمة معجمة ومهملة عند المسلمين.

ونجد عند ابن أبي أصيبعة الربط الأول بين الإغريق واليونان في نصه جاء فيه: "قال سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل وكان جالينوس من الحكماء اليونانيين الذين كانوا في الدولة القيصرية بعد بنيان روميه ومولده ومنشؤه بفرغامس وهي مدينة صغيرة من جملة مدائن آسيا شرقي قسطنطينية وهي جزيرة في بحر قسطنطينية وهم

---

(١)- أبو الحسين ابن جبير، "رحلة ابن جبير"، دار ومكتبة الهلال، ص ٢٧٦-٢٧٨

(٢)- ابن سعيد، مرجع سابق، ص٥٩ بترقيم الشاملة آليا.

روم إغريقيون يونانيون، ومن تلك الناحية اندفع الجيش المعروف بالقوط من الروم الذين غنموا الأندلس واستوطنوها"(1)

يشير هذا النص إلى أحد حكماء اليونان، لكن الملاحظ أنه جمع بين الإغريق واليونان والروم والقوط، فجعل القوط من الروم، وهؤلاء انطلقوا من بلاد الروم الإغريق اليونانيين صوب الأندلس؛ لقد قدم ابن أبي أصيبعة عددا من الإشارات الجغرافية، لكنه تركها مفتوحة وغامضة.

يشير النص الثاني لابن أبي أصيبعة إلى أن "لغة اليونانيين تسمى الإغريقية وهي من أوسع اللغات وأجلها وكانت رامة اليونانيين صابئة يعظمون الكواكب ويدينون بعبادة الأصنام وعلماؤهم يسمون فلاسفة وأحدهم فيلسوف وهو اسم معناه باللغة العربية محب الحكمة"(2)، ثم يضيف في نص آخر أن " أبلن الرومي حكيم طبائعي ويقال هو أول حكيم تكلم في الطب ببلد الروم وكان في الزمن القديم وهو أول من استنبط حروف اللغة الإغريقية عمل ذلك لمنافيس الملك"(3).

نلاحظ من خلال هذه النصوص أنه إلى حدود القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، كانت المصادر متباينة في تحديد الإغريق بين اعتبارهم أمة رومية او عربية، كما ان الربط بينهم وبين اليونان كان محتشما اذ اعتبروا أمة رومية مرتبطة بالروم واليونان، بينما ربط ابن أبي أصيبعة بين اللغات اليونانية والإغريقية، وجعلها أصلها روميا.

المحور الرابع: نصوص القرن الثامن الهجري

خلال هذه المرحلة (القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي) بدأ الربط بين بلاد اليونان والإغريق بشكل أكثر وضوحا، إذ اعتمد أبي الفداء وابن الوردي على

(1)- ابن أبي أصيبعة، مرجع سابق، ص117.

(2)- القفطي، مرجع سابق، ص19

(3)- نفسه، ص60.

نص منسوب لابن سعيد يقول يعتبر أن الإغريقيين هم اليونانيون الأول، جاء فيه: "ومن كتاب ابن سعيد المغربي: أن بلاد اليونان كانت على الخليج القسطنطيني من شرقيه وغربيه إلى البحر المحيط، والبحر القسطنطيني هو خليج بين بحر الروم وبحر القرم، واسم بحر القرم في القديم بحر نيطش - بكسر النون وياء مثناة من تحتها ساكنة وطاء مهملة لا أعلم حركتها وشين معجمة - قال: واليونان فرقتان: فرقة يقال لهم الإغريقيون وهم اليونانيون الأول، والفرقة الثانية يقال لهم اللطينيون"(1).

والملاحظ في هذا السياق أن هذا النص لم يرد في النسخة المطبوعة لجغرافيا ابن سعيد، وحتى اذا ما صحت نسبته إليه، فإنه يطرح إشكاليات، إذ بالعودة إلى ما أوردته المصادر العربية حول اليونان ومقارنتهم بالإغريق، يتبين أن اليونان كانوا يعتبرون أمة منقرضة، في حين أن الإغريق مجموعة بشرية حاضرة وقت تحرير هذه النصوص، فكيف يصبح الإغريق هم اليونان الأوائل؟ كيف يصبح المنقرض لاحقا للباقي؟ لا تبدو السردية منسجمة، وما يزيد من هذه الضبابية أنه وان اعتبر النص المنسوب لابن سعيد ان الإغريق هم اليونان الأوائل فانه اعتبر ان اللطينيين هم الفرقة الثانية لليونان، وهو أمر يظهر عن غياب تحديد واضح لهذه المجموعات البشرية.

ويورد فضل الله العمري، إشارة جد هامة، في نص تضمن رسم مراسلة سلطان بلاد الكرج، جاء فيه: """ورسم المكاتبة إليه: (أدام الله بهجة الحضرة العلية، حضرة الملك الجليل الهمام، الباسل، الضرغام، السميدع، الكرار، الغضنفر، المتخت، المتوج، العالم في ملته، العادل في رعيته، بقية الملوك الإغريقية، سلطان الكرج، ذخر ملك البحار والخلج، حامي حمى الفرسان، وارث آبائه في الأسرة والتيجان، سياج بلاد الروم وإيران، سليل اليونان، خلاصة ملوك السريان، بقية أبناء الملوك والتيجان معز النصرانية، مؤيد العيسوية، مشيح الأبطال المسيحية، معظم بيت المقدس بعقد النية،

---

(1)- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل، "المختصر في أخبار البشر"، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى، الجزء ١، ص ٨٤.

عماد بني المعمودية، ظهير الباب بابا رومية، مواد المسلمين، خالصة الأصدقاء المقربين، صديق الملوك والسلاطين. وقد يقال:(مصافي المسلمين، موافي الملوك والسلاطين)."[1]

ولعل اللافت للانتباه في هذا الرسم أنه أشار إلى أن السلطان من بقية الملوك الإغريقية، وهو ما نستنتج منها أن الإغريق كانوا ممالك وليس مملكة أو شعبا واحدا ومن ضمنهم سلطان بلاد الكرخ، وأن الإغريق من سلالة السريان واليونان، وهم نصارى موالون أو مصافون للمسلمين، وهو ما يحيل على الإشارة السابقة بأن الإغريق كانوا موالين للمسلمين ضدا على بعض بني جنسهم

ويقدم الحموي نصا بالغ الأهمية جاء فيه أنه "قال ابن بشير البكري، طرابلس بالرومية والإغريقية ثلاث مدن، وسماها اليونانيون طرابليطة وذلك بلغتهم أيضا ثلاث مدن، لأن طرا معناه ثلاث وبليطة مدينة، وقد ذكر أن أشباروس قيصر أول من بناها، وتسمى أيضا مدينة إياس، وعلى مدينة طرابلس سور صخر جليل البنيان، وهي على شاطئ البحر، ومبنى جامعها أحسن مبنى، وبها أسواق حافلة جامعة وبها مسجد يعرف بمسجد الشعاب مقصود وحولها أنباط، وفي بربرها من كلامه بالنبطية"[2]

يعتبر نص الحموي أيضا بالغ الأهمية، فإذا كان قد أورد ما أوردته نصوص سابقة حول طرابلس والأفريقية، إلا أنه أضاف معطى جد مهم يتعلق بلغة أهلها، عندما أشار إلى أن كلام "بربرها" بعض "النبطية"، وبالتالي يضعنا الحموي في خارطة لغوية تتضمن (الإغريقية، اليونانية، البربرية، النبطية)، وهي ما يفترض حسب السردية الحالية انتماؤها لمجالات جغرافية مختلفة، بيد أنها تجتمع هما في طرابلس؟

(١)- ابن فضل الله العمري، "التعريف بالمصطلح الشريف"، تحقيق وتعليق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، صص ٧٨- ٧٩

(٢)- الحموي، مرجع سابق، ج٤، ص٢٥.

المحور الخامس: نصوص القرن التاسع الهجري

ورد الإغريق في عدة نصوص خلال القرن التاسع الهجري، بدءا بالحميري، الذي أشار إليهم في ثلاث نصوص، جاء في الأول في سياق الحديث عن رودس، التي اعتبرها "حصن إغريقيا، وهو في الأرض الكبيرة مقدار عشرين ميلا، وبينها وبين قبرس عشرون ميلا، وبين ساحل الإسكندرية أربعة أيام. وذكر أبو نصر الفارابي أن هذه الجزيرة كانت مقرا لتعليم الفلسفة قبل انتقال التعليم إلى الإسكندرية، ورودس بلغة الإغريقيين: الورد"[1].

ويضيف في نص آخر عند حديثه عن هرقل وجزيرة قادس: "وبها آثار للأول كثيرة، ومن أعجب الآثار بها الصنم المنسوب إلى هذه الجزيرة بناه أركلش ، وهو هرقلش، أصله من الروم الإغريقيين، وكان من قواد الروم وكبرائهم على زمان موسى عليه السلام، وقيل إنه أول معدود لملوك اليونانيين، وملك أكثر الأرض"[2]، ويلاحظ في هذا النص أن الحميري دمج بين الروم والإغريق، كما ربطهم زمانيا بالنبي موسى.

وكذلك سار في النص الثالث، عند حديثه عن مجدونية (مقدونية): "مدينة مجدونية قاعدة الروم الإغريقيين، ومنها أرسطاطاليس فيلسوف الروم وعالمها وطبيبها وجهبذها وخطيبها، وهو معلم الإسكندر وله إليه رسائل"[3].

ولعل أهم الإشارات إلى الإغريق خلال هذه الفترة استأثر بها ابن خلدون، فقد أشار إلى أن يونان الإغريق شق من الروم هم والطينيون، مع الإشارة إلى ارتباطهم بالأمة اليلاقية التي توجد على بحر السودان، قبل أن تنهدم مدينة إغريقية ويبني والد الإسكندر مدينة مقدونية، "ولذلك يقال إن الإسكندر من تبع، وليس شيء من ذلك بصحيح، وإنما الصحيح نسبهم إلى يافث، ثم إن المحققين ينسبون الروم جميعا إلى

(١) – الحميري، "الروض .. مرجع سابق، ص٢٧٨

(٢)– نفسه، ص٤٤٨

(٣)– نفسه، ص٥٢٣

يونان الإغريقيون منهم والطينيون، ويونان معدود في التوراة من ولد يافث لصلبه، واسمه فيها يافان بفاء تقرب من الواو، فعربته العرب إلى يونان"[1].

ثم يضيف في خبر طويل، أن الإغريق انفردوا برئيس لهم عن اليونان وعن اللطينين، "وانفرد الإغريقيون برئيس لهم، وصنع مثل ذلك اللطينيون، إلا أن اللقب بملك الملوك كان لملك الروم"[2]، ثم ينقل عن هيروشيوش مؤرخ الروم أن الإغريق خمس طوائف هم: كيتم وحجيلة وترشوش ودودانم وإيشاي، بيد أن الغريقيين ملكوا قبل اليونان، وإن كان اسمهم (الإغريق) يشمل كل اليونان، " واسم الغريقيين عنده يشمل أبناء يونان كلهم كما ذكره، وينوع الروم إلى الغريقيين واللطينيين"[3]، وينقل عن ابن سعيد أن الإغريق والروم أمتان منفصلتان، "فالإغريقيون من ولد أغر يقش بن يونان والروم من ولد رومي بن يونان واللطينيون من ولد لطين بن يونان، وإن الإسكندر من الروم منهم"[4].

ويحدد ابن خلدون جغرافية بلاد اليونان بأنها شمال أرض المعمور، بين الأندلس والترك طولا والبحر المحيط والرومي عرضا، ويسكن الإغريق في شرق البحر، وهو ما لا يستقيم مع السردية الجغرافية الحالية، ويضيف انه قد كانت للاغريق أمة عظيمة، وانهم اختصوا باسم اليونانيين، وهنا نقف على الدمج الواضح بين اليونان والإغريق، "واختص الغريقيون باسم اليونانيين، وكان منهم الإسكندر المشهور الذكر أحد ملوك العالم، وكانت ديارهم كما قلناه بالناحية الشرقية من خليج القسطنطينية بين بلاد الترك ودروب الشام، ثم استولى على ما وراء ذلك من بلاد الترك والعراق والهند، ثم

(١)- ابن خلدون، ج.٢، ص٢١٨.
(٢)- نفسه، ج.٢، ص ٢٢١.
(٣)- نفسه، ج٢، صص ٢١٨-٢١٩
(٤)- نفسه.

جال أرمينية وما وراءها من بلاد الشام وبلاد مقدونية ومصر والإسكندرية، وكان ملوكهم يعرفون بملوك مقدونية"(١).

يضيف ابن خلدون أن من بين شعوب الإغريق بنو طهان وجدمون وهم أبناء شهالا بن إيشاي، وقد وإلى الإغريق القبط ضدا على الروم اللطينيين في حروب جرت بينهم، ثم إن الايشائيين من الإغريق قوي ملكهم حتى غلبوا الجرمان وغيرهم وأسسوا دولة عظيمة(٢).

بعد هذا يسرد ابن خلدون قصة طويلة تعرف في السردية الحالية بقصة الإسكندر "المقدوني" مع ما تطرحه من إشكاليات كثيرة ترتبط بالتوطين الجغرافي وتناسق الاحداث، وكرونولوجيتها، حيث أورد:"واختص الغريقيون باسم اليونانيين، وكان منهم الإسكندر المشهور الذكر أحد ملوك العالم ... ولما استفحل ملك فارس لعهد الكينية أرادوهم على الطاعة لهم، فامتنعوا وغزتهم فارس، فاستصرخوا عليهم بالقبط فسالموهم إلى محاربة الغريقيين حتى أذلوهم وأخذوا الجزى منهم وولوا عليهم... إن الملك استقر بعد يونان في ابنه أغريقش في الجانب الشرقي من خليج قسطنطينية، وتوإلى الملك في ولده وقهروا اللطينيين والروم ودال ملكهم في أرمينية، وكان من أعظمهم هرقل الجبار بن ملكان بن سلقوس بن أغريقش، يقال: إنه ضرب الإتاوة على الأقاليم السبعة ... وزحف قواد رومة إلى الغريقيين ونالوا منهم ... فزحف الغريقيون إلى رومة، وكان فيهم صاحب مقدونية وأهل أرمينية والعراق وظاهرهم ملك النوبة واجتمعوا لذلك، فغلبهم الرومانيون وأسروا صاحب مقدونية ... وزحف أيضا أهل رومة إلى الغريقيين فغلبوهم وملكوا عليهم مدينتهم قرنطة من أعظم مدنهم، يقال: إنها كانت ثانية قرطاجنة"(٣)

(١)-ابن خلدون، ج٢، صص ٢٢٠-٢٢٥.

(٢)- نفسه.

(٣)- نفسه.

يلاحظ هنا أننا إزاء شبكة جغرافية وبشرية ولغوية تتكون من (الإغريق، اللطينيين، الروم، السريان، القبط، النبط، البربر، الفرس، النوبيين)، ورغم بعض الوضوح والاتجاه نحو السردية الرسمية الحالية، إلا أن كثيرا من الإشارات يعمها الالتباس (موالاة النوبيين للإغريقيين في مواجهة الرومان مثلا...الخ)، وهو ما يخالف السردية السائدة في كثير من تفاصيلها[1].

إضافة إلى ابن خلدون والحميري يحضر الإغريق عند القلقشندي، الذي يذكر أن "اليونانية على ثلاثة أصناف: اللطينيون، وهم بنو لطين بن يونان، والإغريقيون، وهم بنو إغريقن بن يونان، واللكيم، وهو بنو اللكيم بن يونان، وهي أصل الروم فيما يقال على ما تقدم"[2]

يشير القلقشندي في نصه الثاني إلى أن "الذي ذكره "هروشيوش" مؤرخ الروم أن الذي خرج عليهم من رومة ثلاث طوالع من الغريقيين. وهم: الأنبيون، والشوانيون، والقندلش، واقتسموا ملكها: فكانت جليقية لقندلش؛ ولشبونة وماردة وطليطلة ومرسية للشوانيين، وكانت إشبيلية وقرطبة وجيان ومالقة للأنبيين، حتى زحف عليهم القوط من رومة كما سيأتي"[3]، يحول القلقشندي المجال الجغرافي للإغريق صوب بلاد الأندلس، وهو ما يخالف السردية القائمة.

ويضيف في نص آخر: "وكانت قاعدة ملكهم الأولى (مدينة أغريقية). وهي مدينة بناها (أغريقش) ابن يونان المقدم ذكره على الجانب الغربي من الخليج القسطنطيني"[4]. ويبدو واضحا الدمج بين اليونان والروم والإغريق ومقدونية في هذا

(١)- ولكن مع ذلك يظل ابن خلدون مصدرا أساسيا للسردية الرسمية، ما يفترض إعادة الاشتغال عليه بشكل اعمق وأكثر تدقيقا

(٢)- القلقشندي، مرجع سابق، ج١، ص ٤٢٥.

(٣)- نفسه، ج.٥، ص ٢٢٩.

(٤)- نفسه، ج.٥، ص ٣٥٩.

النص، ثم يجتر القلقشندي أخبار من سبقوه خاصة الحميري وابن خلدون، وينقلها بشكل حرفي.

ختاما يمكن القول أن هذا القرن (التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي) عرف تأسيس الملامح الكبرى للسردية المتعلقة بالإغريق/ اليونان، مع ما ظل يشوبها من مكامن خلل ونقص يصعب إكمالها أو ترميمها

المحور السادس: نصوص القرن الحادي عشر الهجري

من الملاحظ أن نصوص القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي لم تخرج عن إطار اجترار ما تناولته المصادر سابقا، فلم تفرد حيزا كبيرا للحديث عن الإغريق، رغم أن هذه الفترة التي عرفت تحول موازين القوى بشكل أساسي، وترسيخ السردية الأوروبية في صورها الأولى، ما كان يفترض أن يكون للإغريق مجال أكبر في هذه المصادر، بيد أن هذا الأمر لم يتحقق، إذ لم تخرج نصوص هذه الفترة عن اجترار السابق وبشكل جزئي دون تفصيل أو إطالة، حيث أورد الحاجي خليفه في كتابه "كشف الظنون" عن أهل اليونان: "ولغة قدمائهم تسمى: الإغريقية، وهي من أوسع اللغات، ولغة المتأخرين تسمى: اللطيني، لأنهم فرقتان: الإغريقيونس، واللطينيون"[1]، ثم يضيف في نص آخر: "وقيل: لغة اليونان: الإغريقية، ولغة الروم: اللطينية، وقلم اليونان والروم: من اليسار إلى اليمين، مرتب على ترتيب أبجد، وحروفهم: أبج وزطي كلمن سعفص قرشت ثخ ظغ، فالدال، والهاء، والحاء، والذال، والضاد، ولام ألف سواقط"[2].

(١)- مصطفى عبد الله القسطنطيني المعروف بحاجي خليفة، "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"، تحقيق وتعليق إكمال الدين إحسان أوغلي، وبشار عواد معروف، ومهران محمود الزعيمي، ومحمود بشار العبيدي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ومركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن، إنجلترا، الطبعة الأولى ٢٠٢١، الجزء ١، ص ٢٩

(٢)- نفسه، ص ٣١.

لقد ركز الحاجي خليفة بشكل أساسي على اللغة كما يبدو أيضا في نص آخر له في كتاب سلم الوصول إلى طبقات الفحول، جاء فيه أن "الحكيم أبلن الرومي، من الحكماء الطبيعيين، يقال هو أول طبيب في الروم وأول من تكلم باللغة الإغريقية أي اليوناني وكان بعد زمن موسى -عليه السلام- وقيل كان في زمن براق الحكيم وله أخبار كثيرة [وهو أول من استنبط حروف اللغة الإغريقية] عمل ذلك لمناقيس الملك واستنبط حروفها قد ألفها الروم. ذكره في "تاريخ الحكماء""[1]، ويبدو ان الهاجس اللغوي كان هو المسيطر خلال هذه الفترة.

(١)- حاجي، "سلم الوصول ... مرجع سابق، ج١، ص ٧٥.

الفصل السادس:

بحر الروم في المصادر الإسلامية

يعتبر بحر الروم أو بحر الشام واحدا من أبرز البحار التي ارتبطت بالحضارة الإسلامية، بل والإنسانية عموما، بعد نهر النيل، ولهذا نجد حضورا لافتا له في المصادر الإسلامية، خاصة كتب الجغرافيا والرحلات، وتم توطينه على أساس أنه البحر الأبيض المتوسط، حتى أصبح الأمر كأنه حقيقية تاريخية لا يرقى إليها الشك، لكن تأمل نصوص المصادر الإسلامية، يطرح علامات شك كثيرة حول هذا التوطين.

من هنا، يهدف هذا الفصل إلى إعادة توطين بحر الروم، من خلال جمع المادة المتعلقة به، وفحص التحديدات التي توجد فيها، ومدى انسجامها مع السردية الحالية، وقد تم الاشتغال على مصادر المرحلة من القرن الثاني إلى السادس الهجري، باعتبار أن ما جاء بعدها، لم يخرج عن إطار التلخيص، وبعد تجميع المادة وتصنيفها، فقد توزعت إلى ثلاثة أصناف، مادة تاريخية، وأخرى تراثية متعلقة بالتفاسير الدينية أساسا، وأخرى جغرافية، فتم تخصيص فصل لكل منها في محاولة لتركيب صورة بحر الروم فيها.

المحور الأول: الروايات الإخبارية

ارتبط البحر الرومي في البدايات الأولى للإسلام، بفتح قبرص إذ أشار صاحب المعارف إلى أنه "كانت أول غزوة غزيت في خلافته «الري» وأمير الجيوش: أبو موسى الأشعري، ثم الإسكندرية، ثم سابور، ثم أفريقية، ثم قبرس، من سواحل بحر الروم"[1].

هذا المعطى يكاد يكون متفقا عليه بين شتى المصادر الإخبارية، ويضيف البلاذري في ذات السياق، أنه "لم يركب المسلمون بحر الروم قبلها وكان معاوية

(١)- الدينوري ابن قتيبة، "المعارف"، تحقيق ثروت عكاشة، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢، الجزء الأول، ص ١٩٤.

استأذن عمر في غزو البحر فلم يأذن له، فلما ولى عثمان بن عفان كتب إليه يستأذنه في غزوة قبرس ويعلمه قربها وسهولة الأمر فيها، فكتب إليه أن قد شهدت مارد عليك عمر- رحمه الله- حين استأمرته في غزو البحر"[1].

يؤشر هذا النص على أن بحر الروم كان منطقة حدودية خلال منتصف الفترة الراشدة، وأنه إلى حدود نهاية حكم عمر بن الخطاب لم يكن المسلمون قد تجاوزوا بحر الروم، كما يؤشر على قرب قبرس من دار الإسلام خلال مرحلة عمر بن الخطاب، ويبدو أن المنطقة أصبحت أساسية في مرحلة الفتوحات الإسلامية خلال ما بعد عمر بن الخطاب.

إضافة إلى ذلك يرد بحر الروم في عدة أحداث تاريخية، فقد أورد الطبري في أحداث سنة ٢١١ عند دخول عبد الله بن طاهر للإسكندرية "أن مراكب أقبلت من بحر الروم من قبل الأندلس، فيها جماعة كبيرة أيام شغل الناس قبلهم بفتنة الجروي وابن السري، حتى أرسوا مراكبهم بالإسكندرية، ورئيسهم يومئذ رجل يدعى أبا حفص، فلم يزالوا بها مقيمين حتى قدم عبد الله بن طاهر مصر قال لي يونس بن عبد الأعلى: قدم علينا من قبل المشرق فتى حدث- يعني عبد الله بن طاهر- والدنيا عندنا مفتونة ... فلما دخل عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر، أرسل إلى من كان بها من الأندلسيين، وإلى من كان انضوى إليهم، يؤذنهم بالحرب إن هم لم يدخلوا في الطاعة، فأخبروني أنهم أجابوه إلى الطاعة، وسألوه الأمان، على أن يرتحلوا من الإسكندرية إلى بعض أطراف الروم التي ليست من بلاد الإسلام، فأعطاهم الأمان

(١)- أحمد بن يحيى البلاذوري، "فتوح البلدان"، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨، ص١٥٣؛ قدامة بن جعفر البغدادي، "الخراج وصناعة الكتابة"، دار الرشيد للنشر، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨١، ص٣٠٦

على ذلك، وأنهم رحلوا عنها، فنزلوا جزيرة من جزائر البحر، يقال لها إقريطش، فاستوطنوها وأقاموا بها، وفيها بقايا أولادهم إلى اليوم"(1)

يبدو من خلال هذا النص، أنه إلى حدود القرن الثالث الهجري كانت بعض أطراف الروم غير خاضعة لبلاد الإسلام، وبالتالي يمكن اعتبار جزءا من بحر الروم كان بمثابة الحد بين بلاد الإسلام وغيرها.

المحور الثاني: الروايات الحديثية والتفسيرية

على نقيض الروايات التاريخية، يحضر البحر الرومي في الموروث الحديثي والفقهي عموما، إذ يشير صاحب "إصلاح المال" إلى : "أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في بحر الروم، منهم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل"(2)، وتعتبر إشارة ابن أبي الدنيا جد هامة، فإذا كان بحر الروم لم يحضر إلا بعد مرحلة عمر بن الخطاب، فإن هذه الراوية تؤكد الحضور التجاري للصحابة في البحر الرومي، بمعنى وجود علاقات اقتصادية تربط المدينة مع باقي الأطراف من خلال بحر الروم، منذ البدايات الأولى للإسلام.

أولا: بحر الروم: مجمع البحرين

ربطت أغلب كتب التفسير بين لفظة "مجمع البحرين" الواردة في الآية ٦٠ من سورة الكهف، وبحر الروم، إذ أورد الطبري: "وقيل: عنى بقوله: (مجمع البحرين) اجتماع بحر فارس والروم.. قوله: (حتى أبلغ مجمع البحرين) والبحران: بحر فارس وبحر الروم، وبحر الروم مما يلي المغرب، وبحر فارس مما يلي المشرق.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله: (مجمع البحرين) قال: بحر فارس، وبحر الروم. حدثنا القاسم، قال: ثنا

(١)- محمد بن جرير الطبري، "تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري"، دار التراث، بيروت، ١٩٦٧، الطبعة الثانية، الجزء الثامن، ص٦١٣.

(٢)- ابن أبي الدنيا، "إصلاح المال"، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣، ص٧٦

الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (مجمع البحرين) قال: بحر الروم، وبحر فارس، أحدهما قبل المشرق، والآخر قبل المغرب[1].

حسب هذه الروايات، فإن مجمع البحرين هو نقطة التقاء بحر الروم وبحر فارس، حيث يتجه بحر الروم غربا، بينما يتجه بحر فارس شرقا.

ثانيا: بحر الروم: مرج البحرين

أورد المفسرون بحر الروم في تفسيرهم للآية ١٩ من سورة الرحمن، فقال الطبري: "عن الحسن (مرج البحرين يلتقيان) قال: بحر الروم، وبحر فارس واليمن. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (مرج البحرين يلتقيان) فالبحران: بحر فارس، وبحر الروم. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (مرج البحرين يلتقيان) قال: بحر فارس وبحر الروم"[2].

(١)- محمد بن جرير الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث، الجزء١٨، ص ٥٥؛ أبو الحسن علي الماوردي، "تفسير الماوردي - النكت والعيون"، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الجزء الثالث، ص ٣٢٢؛ أبو الحسن علي الواحدي، "الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ص٦٦٦؛ أبو الحسن علي الواحدي، "التفسير البسيط"، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الجزء الرابع عشر، ص ٧٠.

(٢)- الطبري، "جامع البيان ... مرجع سابق، الجزء ٢٣، ص ٣٠؛ أبو منصور الماتريدي، "تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة"، تحقيق مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥، الجزء الثامن، ص ٣٤؛ أبو جعفر النحاس، "إعراب القرآن للنحاس"، تعليق عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، الجزء الرابع، ص ٢٠٦؛ أبو الليث نصر السمرقندي، "بحر العلوم"، الجزء الثالث، ص ٣٨١؛ أبو إسحاق الثعلبي، "الكشف والبيان عن تفسير القرآن"، تحقيق أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، الجزء التاسع، ص ١٨١؛ أبو محمد الحسين البغوي، "معالم التنزيل في تفسير القرآن"، تحقيق محمد عبد الله النمر، الجزء السابع، ص ٤٤٤.

ويضيف ابن حاتم حول هذه الآية أنه "برزخا حجازا لا يراه أحد لا يختلط العذب بالبحر ولا يختلط بحر الروم وفارس وبحر الروم ملح[1]. ويقدم الماتريدي مؤشرا جد هام حيث يشير إلى أن "منهم من قال: أحدهما: بحر الروم، والآخر: بحر فارس، (بينهما برزخ)، أي جزيرة العرب"[2]، ويضيف الثعلبي إشارة جد هامة "وقال الحسن، وقتادة: بحر فارس، وبحر الروم، وما بينهما برزخ الجزائر"[3].

تقدم هذه الروايات معطيات جد هامة، نجملها فيما يلي:

-يتجه بحر الروم صوب الغرب، وبحر فارس صوب الشرق، في مجمع بحرهما.

-يقرن الطبري بحر فارس باليمن فكأنهما بحر واحد موازي لبحر الروم.

-لكن المعطى الأهم أن جزيرة العرب أو الجزائر تشكل برزخا بينهما يمنعهما من الالتقاء، بمعنى أن الحديث عن منطقة أشبه بالدلتا، يلتقي فيها بحران/ نهران، ومن ثم يتجه أحدهما صوب المغرب والآخر صوب المشرق، وتمنعهم منطقة الجزيرة من اللقاء.

ثالثا: بحر الروم ويونس بن متى

ارتبط بحر الروم في التفسيرات أيضا بقصة يونس، إذ جاء في تفسير الآية ١٤٢ من سورة الصافات، عند ابن أبي حاتم: "قوله تعالى : فالتقمه الحوت. عن قتادة رضي الله، عنه قال: "فالتقمه الحوت يقال له: نجم، فجرى به في بحر الروم ثم النيل، ثم فارس ثم في دجلة"[4].

---

(١)- الرازي ابن أبي حاتم، "تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق اسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، الطبعة الثالثة، الجزء الثامن، ص ٢٧٠٩.

(٢)- الماتريدي، مرجع سابق، الجزء التاسع، ص ٤٦٩.

(٣)- "الثعلبي، مرجع سابق، الجزء الخامس والعشرون، ص ٣١٢.

(٤)- ابن ابي حاتم، مرجع سابق، الجزء العاشر، ص ٣٢٢٩؛ جمال الدين أبو الفرج الجوزي، "زاد المسير في علم التفسير"، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، ص ٣٥٢.

وأورد صاحب التفسير البسيط في تفسيره للآية ٨٧ من سورة الأنبياء رواية جاء فيها: "وقوله تعالى : {إذ ذهب مغاضبا} قال الضحاك: مغاضبا لقومه. وهو قول ابن عباس في رواية العوفي، قال: إن شعيا النبي والملك الذي كان في وقته وذلك القوم أرادوا أن يبعثوه إلى ملك كان قد غزا بني إسرائيل وسبى الكثير منهم ليكلمه حتى يرسل معه بني إسرائيل، فقال يونس لشعيا: هل أمرك الله بإخراجي؟ قال: لا. قال: فهل سماني لك؟ قال: لا، قال: فهاهنا غيري أنبياء. فألحوا عليه، فخرج مغاضبا للنبي -صلى الله عليه وسلم- وللملك ولقومه، فأتى بحر الروم فكان من قصته ما كان"(١).

نفهم من هذه الإشارات أن بحر الروم هو المكان الذي جرت فيه وقائع قصة يونس بن متى، وتقدم الرواية الأولى معطى مهم إذ تجعل بحر الروم مرتبطا بالنيل ثم بحر فارس ثم دجلة، أي أنه يقدم سلسلة مائية تبدأ من بحر الروم إلى دجلة.

رابعا: البحر المسجور

وجاءت الإشارة إليه في تفسير الآية السادسة من سورة التكوير، إذ ورد "قال: إن هذا البحر بركة يعني بحر الروم وسط الأرض والأنهار كلها تصب فيه والبحر الكبير يصب فيه، وأسفله آبار مطبقة بالنحاس فإذا كان يوم القيامة أسجر"(٢).

ويشير السمعاني في تفسيره إلى أن بعضهم قال: "أن بحر الروم وسط الأرض، وفي أسفله آبار من نحاس مطبقة، فإذا كان يوم القيامة سجرت نارا، ومن هذا قوله

(١)- الواحدي، التفسير البسيط، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص ١٥٤؛ الواحدي، "التفسير الوسيط"، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص ٢٤٨؛ عبد القاهر الجرجاني، "درج الدرر في تفسير الآي والسور"، تحقيق وليد بن أحمد بن صالح الحسين، مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة الأولى ٢٠٠٨، الجزء الثالث، ص ٩٥٦؛ البغوي، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص ١٥٢؛ البغوي، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص ٣٥٠.

(٢)- ابن أبي حاتم، مرجع سابق، الجزء العاشر، ص ٣٤٠٦

تعالى : {والبحر المسجور} وقد بينا، ويجوز أن يجمع بين هذه الأقاويل، فيقال: إن البحار يدخل بعضها في بعض فتصير بحرا واحدا، ثم يفيض وييبس ثم يملأ نارا"(١)

تتضمن هذه الروايات إشارات مهمة، إذ أن بحر الروم هو مصب الأنهار كلها، بما فيه البحر الكبير، حتى يصبح بحرا واحدا فيفيض، مع الإشارة إلى معدن النحاس.

خامسا: بحر الروم وجالوت

يقول الثعلبي في تفسيره: "ثم خلف بعد إلياس اليسع وكان فيهم ما شاء الله أن يكون، ثم قبضه الله إليه، وخلفت فيهم الخلوف وعظمت فيهم الخطايا، وظهر لهم عدو يقال له البلثانا وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم من مصر وفلسطين، وهم العمالقة فظهروا على بني إسرائيل وغلبوهم على كثير من أرضهم"(٢)

يشير هذا النص إلى أن قوم جالوت كانوا مستقرين على ساحل بحر الروم الممتد بين مصر والشام، وقد ورد اسم قوم جالوت بصيغ متعددة منها، البلثانا، والبيشانا، والبلشتانا، والبشاثا، ورغم هذه الاختلافات في النطق إلا أن الأحرف الرئيسية المشكلة لقوم جالوت القاطنين بين مصر والشام حسب الروايات التفسيرية الإسلامية تتكون من الثاء والشين والباء والألف واللام أساسا.

سادسا: سد ذو القرنين

يقدم الماوردي معطى آخر إذ أورد في تفسيره للآية ٩٧ من سورة الكهف: "وقيل إن السد وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلي مؤخرهما البحر المحيط. وقيل: ارتفاع السد مقدار مائتي ذراع، وعرضه نحو خمسين ذراعا وأنه من حديد شبه

(١)- أبو المظفر السمعاني، "تفسير القرآن"، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، الجزء السادس، ص١٦٦ .

(٢)- الثعلبي، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص ٢٠٩؛ الجرجاني، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ٤١٧؛ البغوي، مرجع سابق، الجزء الأول، ص٢٩٦؛ الزمخشري، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ٢٩١

المصمت"[1]. ونفهم من هذا النص ان سد ذو القرنين كان وراء بحر الروم، في مضيق صغير، مع الإشارة إلى معدن الحديد

المحور الثالث: نصوص الرحلات

وردت أول الإشارات إلى البحر الرومي في كتب الرحلات عند ابن خرداذبه تحت اسم الجر الرومي، مع الإشارة إلى أنه الوحيد الذي ورد عنده الجر مقترنا بالرومي وبالبحر عموما، إذ ورد في عدد من المصادر الوسيطية مقترنا باليابسة وخاصة الجبال، باستثناء نص ابن خرداذبه، وعلى العموم، يمكن ان نستشف من إشارات ابن خردذابه حول الجر او البحر الرومي، عدة إشارات أبرزها:

- ان البحر الرومي (الجر الرومي) كان مسلك التجار الروس، الذين "يحملون جلود الخزّ وجلود الثعالب السود والسيوف من أقصى صقلية إلى الجر الروميّ فيعشرهم صاحب الروم ... ويترجم عنهم الخدم الصقالبة ويدّعون انهم نصارى فيؤدّون الجزية"[2] بمعنى أن جزءا من الصقالبة "يدعون" أنهم نصارى وأن البحر الرومي تابع لصاحب الروم.

- أنه أحد مصبات نهر النيل، بعد أن يتجاوز النيل أرض النوبة "ويجيء إلى مصر فيصب بعضه بدمياط في الجر الرومي ويشق باقيه الفسطاط حتى يصب أيضا في الجر الرومي"[3] بمعنى أن النيل يصب فيه من وجهان واحد يلي الفسطاط والآخر في دمياط.

- أنه أحد مصبات نهر أذنة "من بلاد الروم ويصب في الجر الرومي"[4].

(١)- الماوردي، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص ٣٤٤.

(٢)- ابن خرداذبه، مرجع سابق، ص١٥٤ .

(٣)- نفسه، ص١٧٦

(٤)- نفس المرجع والصفحة

- أنه "مخرج الأرند نهر أنطاكية من ارض دمشق مما يلى طريق البرية وهو يجرى مع الجنوب ويصب في البحر الرومي"[1].

- وهو ملتقى طريقي الإسكندرية وبرقة حيث "يصير الطريقان طريقا واحدا وتحمل الماء من ذات الحمام في البرية ومسايرة بحر الروم حتى تنزل الحنية حنية الروم وهى خراب على الطريق فمن ذات الحمام إلى حنية الروم أربعة وثلاثون ميلا"[2].

- هو أحد منافذ البحر الأخضر أو المحيط الذي "يمر بين الأندلس وطنجة ويسمى سبطا وينفذ إلى بحر الروم، "وأما بحر الروم ومصر...... وفيه خليج يخرج إلى ناحية الشمال بالقرب من بلد رومية طوله خمس مائة ميل يسمى ادريس وفيه خليج آخر يخرج من الأرض المعروفة بنربونة يكون طوله مائتي ميل وفى بحر الروم مائة واثنتان وسبعون جزيرة كان جميعها عامرا فأخرب المسلمون أكثرها بالمغازي إليها منها خمس عظام وهى جزيرة قبرس..... وجزيرة اقريطش..... وجزيرة سقلية..... وجزيرة سرتانية......وجزيرة يابس حيال الأندلس.... ويسيل منها خليج عند قسطنطينة حتى يصب في بحر الروم وطوله من حيث ابتدائه من مدينة قسطنطينة إلى حيث يصب مائتان وستون ميلا وفيه سفن وعرضه مختلف فأما عند قسطنطينة فقد ثلاثة أميال وفى موضع آخر ستة أميال وفى موضع آخر ميل واكثر واقل ويكون عرضه عند معقبه مقدار غلوة وبذلك الموضع صخرة عليها برج مبنى وفيه من قبل الروم من يفتش السفن[3]

تعتبر هذه الإشارة جد هامة، إذ يصف ابن خرداذبه البحر الرومي بأنه بحر مصر والروم، بينما ورد في نصوص أخرى بأنه البحر الشامي أو بحر الشام، أو بحر مصر والشام، يعتبر هذا الحقل التداولي عند ابن خرداذبه مهما إذ يتكون من ثلاثة

(١)-ابن خرداذبه، مرجع سابق، ص١٧٧

(٢)- نفسه، ص ٢٢١

(٣)- نفسه، ص ٢٣١

مفردات: (مصر، الشام، الروم) الثابت الوحيد فيها هو مصر، بينما تتغير الشام والروم لتعوض الواحدة منهما الأخرى، فيصح القول أن البحر الرومي = البحر الشامي، أو أن بحر مصر والشام = بحر مصر والروم، فهل يؤشر هذا على اقتران الشام والروم؟ ام أنهما ينتميان لمنطقة محاذية لبعضهما البعض؟ إن تجميع النصوص ومقارنته يدفع إلى القول أننا إزاء منطقة واحدة حملت اسمي الشام والروم.

يقدم البتاني وصفا مهما لبحر الروم حيث أورد في "زيج الصابيء": "وأما بحر الروم ومصر فإنه يخرج من عند الخليج الذي يخرج من بحر أوقيانوس الغربي عند الجزيرة التي تسمى غديرة مقابل الأندلس إلى صور وصيداء من ناحية المشرق وطوله خمسة آلاف ميل وعرضه في مكان ستمائة ميل وفي مكان سبعمائة ميل وفي مكان ثماني مائة ميل وفيه خليج واحد يخرج إلى ناحية الشمال قريبا من رومية طوله خمسمائة ميل يسمى أذريس وخليج آخر يخرج نحو أرض نربونة طوله مائتا ميل وفي هذا البحر كله من الجزائر مائة واثنتان وستون جزيرة عامرة منها خمس عظام إحداها جزيرة قرنس يحيط بها مائتا ميل وإقريطش يحيط بها ثلاثمائة ميل"(1).

يقترن البحر الرومي عند البتاني بالروم ومصر، ويحدد مخرجه من الجزيرة التي تسمى غديرة، وهذا المعطى يحيل إلى ما أورده المفسرون حول أن البرزخ بين البحرين هو جزيرة العرب أو الجزائر أو الجزيرة، ويتجه شمالا.

ويورد السيرافي بدوره إشارة مهمة، حيث قال "يقدر أن البحر الذي عليه بحر الصين والهند يتصل ببحر الشام ولا يقوم في أنفسهم حتى كان في عصرنا هذا، فانه بلغنا انه وجد في بحر الروم خشب مراكب العرب المخروزة التي قد تكسرت بأهلها فقطعها الموج وساقتها الرياح بأمواج البحر فقذفته إلى بحر الخزر، ثم جرى في خليج الروم ونفذ منه إلى بحر الروم والشام، فدل هذا على أن البحر يدور على بلاد الصين

(1)- البتاني، مرجع سابق، ص14

والسيلا وظهر بلاد الترك والخزر، ثم يصب في الخليج ويفضى إلى بلاد الشام، وذلك إن الخشب المخروز لا يكون إلا لمراكب سيراف خاصة، ومراكب الشام، والروم مسمورة غير مخروزة.

وبلغنا أيضا أنه وجد في بحر الشام عنبر، وهذا من المستنكر، وما لم يعرف في قدم الدهور، ولا يجوز إن كان ما قيل حقا أن يكون العنبر وقع إلى بحر الشام إلا من بحر عدن والقلزم، وهو البحر الذي يتصل بالبحار التي يكون فيها العنبر لأن الله جل ذكره قد جعل بين البحرين حاجزا، بل هو إن كان صحيحا مما يقذفه بحر الهند إلى سائر البحار واحدا بعد واحد حتى يفضي به إلى بحر الشام"(١)

يقدم السيرافي إشارات مهمة في هذا النص، إذ يؤكد على اتصال بحر الهند والصين والخزر ببحر الروم، وأنهم يصبون فيه، وهو ما يتقاطع مع الروايات السابقة التي تعتبر أن البحر الرومي مصب للأنهار جميعها. إضافة إلى هذا يشير الصيرافي إلى وجود الخشب العربي المخروز في بحر الروم مفترضا قدومه عبر بحر الخزر، ويفترض بالتالي أن بحر الروم يدور على بلاد الصين وبلاد الترك والخزر ويصب في خليج بحر الشام. لا يمكن لهذا أن يستقيم مع التوطينات الحالية التي تعتبر أن بحر قزوين هو بحر الخزر، وهو بحر داخلي، أو مع الصين وبلاد الترك، ما يؤكد أننا إزاء خارطة مغايرة.

يضيف السيرافي في نص آخر: "ورأس الجمجمة جبل يتصل ببلاد اليمن من أرض الشحر والأحقاف والرمل منه تحت البحر لا يدري إلى أين ينتهي غايته في الماء اعنى الجبل المعروف برأس الجمجمة.

وإذا كان ما وصفنا من الجبل في البر ومنه تحت البحر سمى في البحر الرومي السفالة من تلك السفالة في الموضع المعروف بساحل سلوقيا من أرض الروم واتصالها

(١)- السيرافي، مرجع سابق، ص٦٥

تحت البحر بنحو من جزيرة قبرص وعليها عطب أكثر مراكب الروم وهلاكها وإنما نعبر بلغة أهل كل بحر وما يستعملونه في خطابهم فيما يتعارفونه بينهم"(١).

نلاحظ أن السيرافي قرن بحر الشام بالروم واستبعد مصر، وفي نفس الوقت جعل جبل رأس الجمجمة متصلا بحرا بالبحر الرومي على ساحل سلوقيا من أرض الروم، نقف هنا أمام شبكية مجالية تتضمن الشام والروم واليمن وسلوقيا تنتمي لنفس المجال الجغرافي وترتبط بينها برا وبحرا، وبمقارنتها بالتحديدات الجغرافية الحالية فإن هذه التوطينات لا يمكن أن تستقيم أو تتفق.

يشير صاحب الخراج "ثم نعيد السير من ترنوط التي كانت المقصد اليها من ذات الساحل فمن ترنوط إلى المنبر ثلاثون ميلا، ومن المنبر إلى مسارس أربعة وعشرون ميلا، ومن مسارس إلى ارمسا اثنا عشر ميلا، ومن أرمسا إلى ذات الحمام عشرون ميلا. فيلتقي الطريقان هناك، طريق الإسكندرية، وطريق برقة فيصير الطريقان واحدا، ويحمل الماء من ذات الحمام في البرية ومسايرة بحر الروم حتى تنزل الحنية، حنية الروم، وهي خراب على الطريق"(٢). هكذا يحدد ابن قدامة المسافة من ترنوط إلى الوصول إلى مفترق الطرق بين طريقي الإسكندرية وبرقة على ساحل بحر الروم ب ٨٦ ميلا.

كما يشير في نص آخر إلى أن الروم "قسموا المعمورة من الأرض، أول قسمة ثلاثة أقسام، فجعلوا الأول، من حد البحر المحيط وهو البحر الأخضر من ناحية الشمال، والخليج الذي يخرج إلى حد تيطوس من البحر الأخضر إلى بحر الروم وهو البحر الشامي، وكانت هذه القطعة من الأرض كالجزيرة لأنها من ناحية الشمال والمغرب البحر الأخضر، ومن ناحية الجنوب، وبعض الشرق بحر الشام وسموه باليونانية أروفى والقسم الثاني: أما جهة المغرب فالبحر الأخضر، ومن ناحية

(١)- نفسه، ص ١١٨

(٢)- قدامة بن جعفر، مرجع سابق، ص ١٢٠

الشمال بحر الروم ومن ناحية الجنوب بحر الحبشة، ومن ناحية المشرق عريش مصر وسموا هذا القسم لوبية"(١).

يحدد ابن قدامه أن البحر الرومي هو البحر الشامي، كما يضيف إليه اسما يونانيا وهو أروفي، ويقع بحر الروم على قسمين من أرض الروم، ففي الأول كانت قطعة الأرض على شكل الجزيرة جنوبها وشرقها بحر الشام، أما في القسم الثاني فبحر الشام شمالا وأرض الحبشة جنوبا، وشرقا ارض لوبية.

كما يضيف في نص آخر: "وأما أروفى فحدها من جبال اللكام وما والاها مادا إلى بحر أوقيانوس الشمالي، والحد الثاني، أوقيانوس الشمالي ذاهبا إلى نهاية العمارة من جهة المغرب. والحد الثالث، أوقيانوس المغربي ذاهبا إلى بحر الروم وهو المشترك بين أروفى ولوبية. والحد الرابع، هو البحر الرومي من البحار إلى حد ما يلي لوبية ذاهبا حتى ينتهي إلى ساحل الشام في تمام الحد الأول حتى ينتهي إلى جبال اللكام"(٢)

يحدد ابن قدامة في هذا النص مبدأ أروفي (الذي اعتبره في نص سابق بحر الشام او بحر الروم) من جبال اللكام إلى بحر اوقيانوس الشمالي ومن ثم إلى نهاية العمارة، أما الحد الثاني من اوقيانوس المغربي إلى بحر الروم المشترك بين اروفي ولوبية.

ويشير ابن قدامة في نص طويل إلى أن "بحر الروم ومصر فابتدأوه من عند هذا الخليج، بين بلاد الأندلس وطنجة آخذا نحو المشرق حتى يمر بسواحل الشام، وطوله من حيث يبتدأ خمسة آلاف ميلا، وعرضه في موضع ستمائة ميلا، وفي آخر سبعمائة ميلا، وفي آخر ثمانمائة [ميلا. وفيه خليج يخرج إلى ناحية الشمال بالقرب من بلد رومية طوله خمسمائة ميلا] يسمى ادريس.

وفيه خليج آخر يخرج من الأرض المعروفة بنربونة يكون طوله مائتي ميلا، وفي بحر الروم مائة واثنتان وسبعون جزيرة، كان جميعها عامرا فأخرب المسلمون

(١)-قدامة بن جعفر، مرجع سابق، ص١٤٠

(٢)- نفسه، ص١٤١

أكثرها بالمغازي اليها، منها خمس عظام وهي جزيرة قبرص التي تحت ساحل دمشق، ويحيط بها ثلثمائة وخمسون ميلا، وجزير أقريطش حيال برقة واحاطتها ثلثمائة ميلا، وجزيرة صقلية حيال أفريقية يحيط بها خمسمائة ميلا، وجزيرة سرتانية حيال افرنجية وبلاد تونس واحاطتها ثلثمائة ميلا، وجزيرة يابس حيال الأندلس يحيط بها مائتا ميلا. وأما بحر قنطوس فأنه يمتد من الشمال عند المدينة المسماة لارقة وراء قسطنطينية وطوله ألف ميلا وثلثمائة ميلا في عرض ثلثمائة ميلا ويدخل فيه البحيرة المسماة طابسين وهي تجري من ناحية الشمال من الجزيرة التي في البحر الأخضر المسماة ماطوس، وطول هذه البحيرة من المشرق إلى المغرب ثلثمائة ميلا وعرضها مائة ميلا ويسيل منها خليج عند قسطنطينية حتى يصب في بحر الروم وطوله من حيث ابتدائه من مدينة قسطنطينية إلى حيث يصب مائتان وستون ميلا فيه سفن وعرضه مختلف.

فأما عند قسطنطينية ثلاثة أميال، وفي موضع آخر ستة أميال، وفي موضع آخر ميل وأكثر وأقل، ويكون عرضه عند مصبه مقدار غلوة، وبذلك الموضع صخرة عليها برج مبني وفيه من قبل الروم من يفتش السفن"[١]

حسب هذا النص فان بداية بحر الروم من خليج بين بلاد الأندلس وطنجة فيتجه مشرقا حتى يمر على الشام، وبعد ان يحدد عدد الجزائر وموضعها، يشير إلى بحر قنطوس من روافده. وبحيرة طابسين شمال البحر الأخضر

ويقدم صاحب الخراج إشارة مهمة حول العيون، إذ يشير إلى أن "أول العيون عين يخرج من جبل القمر حذاء خط الاستواء، ثم يتشعب منها عشرة أنهار، وتصب كل خمسة منها في بطيحة من بطحتين من الناحية الجنوبية وراء خط الاستواء، ثم يتشعب من كل بطيحة ثلاثة أنهار يجتمع إلى البطيحة في الاقليم الأول، عند بعد جزئين من خط الاستواء، ثم يخرج من هذه البطيحة نهر، هو نيل مصر حتى يمر

(١)–قدامة بن جعفر، مرجع سابق، ص١٤٦، ١٤٧

بمدينة النوبة، ويقطع الإقليم الأول، حتى يتجاوزه على سمته بمقدار جزء ونصف من الإقليم الثاني، ثم ينعرج حتى يصير إلى مدينة أسوان ماسا لها ثم يعدل معرجا فيما بين جبل يعرف سلوقيا، ثم يرجع ويمر مارا إلى مصر مماسا عند عرض تسعة وعشرين جزءا وربع يكون ذلك البعد من خط الاستواء ألفان وتسعمائة وثلاثة وثلاثون ميلا، ثم ينقسم النيل من هناك سبعة أقسام متقاربة، ما بين المسافات، والقرى، منها إلى الإسكندرية ثم يتفرق فرقتين يصبان مع [السد] الأول إلى بحر الروم في الإقليم الثالث، فيكون مسير النيل منذ البداية ألفي ميل ونيفا"(١).

يقدم ابن قدامة معطى جد هام، إذ يشير إلى أن المكان الذي يصب فيه النيل في بحر الروم، هو عند الإقليم الثالث، في حين انه يفترض انه يكون الإقليم الرابع حسب التوطينات الحالية، ما يعتبر تأكيدا على عدم اتساق التوطينات الحالية.

يقدم ابن الفقيه مؤشرات جد هامة، إذ قال "وقال بعضهم: النيل يخرج من خلف خط الاستواء من بحيرتين يقال لهما بحيرتا النيل، وهو يطيف أرض الحبشة ويجيء فيمر بين بحر القلزم- وهو بحر الفرما- وبين المفازة، فيجيء فيصب بدمياط، ويخرج إلى البحر الرومي المغربي، ودمياط على البحر الرومي المغربي"(٢). يحدد ابن الفقيه بحر القلزم بأنه بحر الفرما، وأن النيل يمر بينه وبين المفازة، في أرض الحبشة، فيصب في البحر الرومي، ويضيف ابن الفقيه لفظة المغربي للبحر الرومي، بمعنى أنه يقع في الغرب

ويضيف:"وذلك أن الفرات يسيل إلى بغداد بجميع الشام وسواحل بحر الروم ومصر وما وراء مصر إلى المغرب، وما بين المغرب ونهاية العمران في الشمال وما يأتي به أيضا من قطع بحر الشام عرضا، حتى قرب من جزيرة نيطس وقسطنطينية، لأن الروم والأندلس والخزر والصقالبة والبربر على هذا البحر فهو يقطع عرضا فيحمل الخزر

(١)-قدامة بن جعفر، مرجع سابق، ص١٥١

(٢)- ابن الفقيه، مرجع سابق، ص ١٢٠

من شماله إلى جنوبه، ويحمل الأندلس من جنوبه إلى شماله، ولذلك نعجب أن يؤتي بسبي الأندلس في دجلة، والخزر في الفرات.

وهذا البحر من أنطاكية إلى جزائر السعادة ومنه خليج يخرج مما يلي الأندلس حتى يبلغ السوس الأقصى، ويصير من ناحية أنطاكية إلى ناحية قسطنطينية ثم يدور حتى الخزر، وعلى ساحل هذا البحر طرسوس والمصيصة وأطرابلس وصيدا ويافا وعسقلان والإسكندرية. وعليه من ناحية قصر دمياط والفرما، وفيه قبرس وصقلية. فكلما على هذا البحر أو وصل إليه أو قرب منه فصار في جنوبه، وأريد به العراق مما يلي ديار مضر، فطريقه في الفرات، وكلما كان في شماله وعدل به إلى ناحية ديار ربيعة وبلاد الموصل وأريد به العراق فطريقه في دجلة، ولدجلة أنهار تأتي فكلما قصد به بلاد الموصل من أرمينية وآذربيجان"[1]

يؤكد ابن الفقيه في هذا النص على ان الفرات يصب في بحر الروم، وهو ما لا يستقيم والسردية الجغرافية السائدة، كما يشير أن كلا من الروم والأندلس والخزر والصقالبة والبربر توجد على سواحله.

أشار صاحب أخبار الزمان إلى أن "جزيرة أقريطش، وهي في بحر الروم، وبها جبال ومعدن ذهب وأنهار وثمار، وهي اثنا عشر يوما في ستة أيام"[2]. ويقدم هذا النص إشارة لطبيعة المعادن الموجودة في المنطقة والتي تتكون من الذهب والمعادن والثمار.

وذكر صاحب التنبيه والإشراف البحر الرومي في نص طويل قائلا: "والبحر الثاني وهو الرومي هو بحر الروم والشأم ومصر والمغرب والأندلس والافرنجة والصقالبة ورومية وغيرهم من الأمم، طوله خمسة آلاف ميل وعرضه مختلف فمنه ثمانمائة ميل ومنه سبعمائة ميل ومنه ستمائة وأقل من ذلك وأكثر على حسب مضايقة البر للبحر والبحر للبر على مرور الأزمان وذهب قوم إلى أن طوله ستة آلاف ميل،

(١)-ابن الفقيه، مرجع سابق، ص ٣٣٠

(٢)- المسعودي، أخبار الزمان، مرجع سابق، ص٦٧

وأعرض موضع فيه أربعمائة ميل، ومبدؤه خليج آخذ من بحر أوقيانوس المحيط يعرف بالزقاق معترض بين طنجة وسبتة من سواحل أفريقية وبين سواحل جزيرة أم حكيم وغيرها من سواحل جزيرة الأندلس، عرضه هنالك نحو من عشرة أميال، وجريته بينة تكون من مبدئه إلى أن يتسع ويعظم نحوا من ثلاثة أيام ومما يصب إلى هذا البحر من الأنهار العظام المشهورة النيل ... إلى أن يصب في البحر الرومي من مصاب كثيرة وذلك في الإقليم الثالث ومن خط الاستواء إلى مدينة الإسكندرية التي إليها ينتهي أحد مصبات النيل على شاطئ البحر ثلاثون درجة تكون من الأميال ألف ميل وثمانمائة ميل وعشرين ميلا يكون فراسخ ستمائة فرسخ وستة فراسخ وثلثي فرسخ ... ونهر جيحان وهو نهر المصيصة من الثغر الشامى أيضا ومخرجه من الإقليم السابع من عيون وراء بلاد مرعش وبردان نهر طرسوس من الثغر الشامى... ثم يشق بردان مدينة طرسوس ويصب إلى البحر الرومي على ستة أميال منها"(١)

يربط هذا النص بين بحر الروم والشأم ومصر والمغرب والأندلس والافرنجة والصقالبة ورومية، ويحدد منبعه من خليج بين طنجة وسبتة، في الإقليم الثالث وهو ما يتناقض مع التوطينات الحالية، كما أنه مصب لنهر جيحان الذي ينبع من الإقليم السابع.

يتضمن كتاب التنبيه والاشراف إشارة مهمة إذ جاء فيه أن: "بحر الإسكندرية وهو بحر الروم فمن جهة شمالها، فيحمى جوها فلا يغلظ البخار السائل إليه ولا يجتمع حتى يخالط بحر الإسكندرية ويمتزج به، ويجوز ان معا جهة الشمال من بلاد أروفى، وإذا صارا إلى الموضع الذي يعرض لهما فيه الانحصار ببرد الجو وما يحيط به من الجبال سالت تلك الأبخرة هنالك، فصارت أمطارا في تلك المواضع الشمالية، فلهذه العلة عدم أهل مصر المطر"(٢).

(١)- المسعودي، التنبيه والإشراف، الجزء الأول، صص ٥٠- ٥٢

(٢)- نفسه، ص ١٩٤

يقرن المسعودي بين بحر الروم والإسكندرية، ويشير إلى انه شمال هذه الأخيرة، كما يقدم معطى مناخي هام يتمثل في كون المواضع الشمالية حيث يوجد بحر الروم تنعدم فيه الأمطار ويربط الموقع بمصر، وبالتالي يجوز القول أن بحر الروم في شمال الأراضي المصرية، التي تنعدم أو تقل فيها الأمطار، وهذا يتناقض مع التوطين الحالي، فشمال البحر المتوسط توجد أوروبا التي تتميز بمناخ بارد وتساقطات مطرية وثلجية دائمة

ويشير صاحب البدء والتاريخ إلى أن القدماء قالوا: "البحار المعروفة العظام خمسة أحدها بحر الهند وفارس والصين والثاني بحر الروم وأفريقية والثالث بحر اوقيانوس وهو بحر المغرب والرابع بحر بنطس والخامس بحر جرجان وفي رسالة ارسطاطاليس إلى الإسكندر التي تسمى بيت الذهب أن بحر اوقيانوس بحر محيط بالأرض كالكيل وينفجر منه خلجان هي سائر البحار"[1]. وهكذا يجعل بحر الروم أحد البحار الخمسة المعروفة، وأن كل البحار تتفرع من بحر الأوقيانوس الذي هو البحر المحيط، ومن بينها.

يقدم ابن حوقل إشارات مهمة في كتابه صورة الأرض، إذ أشار إلى أن البحار "فأشهرها اثنان وأعظمها بحر فارس ثم بحر الروم وهما خليجان متقابلان يأخذان من البحر المحيط وأفسحهما طولا وعرضا بحر فارس ... أما بحر الروم فإنه يأخذ من البحر المحيط فى الخليج الذي بين المغرب والأندلس حتى ينتهى إلى الثغور التي كانت تعرف بالشامية ومقداره في المسافة نحو أربعة أشهر وهو أحسن استقامة واستواء من بحر فارس وذلك أنك إذا أخذت من فم هذا الخليج أدتك ريح واحدة إلى أكثر هذا البحر، وبين القلزم الذي هو لسان بحر فارس وبين بحر الروم على سمت الفرما ثلث مراحل ويزعم بعض المفسرين فى قول الله تعالى بينهما برزخ لا يبغيان أنه هذا الموضع

(١)– المقدسي، البدء والتاريخ، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص ٥٤

ويزعم أهل التأويل غير ذلك غير أن بحر الروم يجاوز الفرما بنيف وعشرين مرحلة وهو مفصل فى مسافات المغرب بما يغنى عن إعادته ... ومأخذ بحر فارس وبحر الروم من البحر المحيط فأما بحر الخزر فليست له مادة من شيء من ذين البحرين بوجه ولا سبب وقد حكيت عن هذا البحر حكايات كثيرة عن كبار المؤلفين ولقد قرأت فى غير نسخة لجغرافيا أنه يستمد من بحر الروم عن بطلميوس وأعوذ بالله أن يكون مثل بطلميوس يذكر المحال أو يصف شيئا بخلاف ما هو به ... وقد أخذ من البحر المحيط خليج يمر على ظهر بلد الصقالبة ويقطع أرض الروم على القسطنطينية حتى يفرع فى بحر الروم"[1]

من خلال هذا النص نستنتج أن بحر الروم ثاني أعظم البحار بعد بحر فارس، لكن هذا الأخير أطول وأعظم، والبحران (فارس والروم) متقابلان يأخذان من البحر المحيط، ويأخذ بحر الروم من المحيط من خليج الأندلس والمغرب، كما يضيف ابن حوقل أن بحر الروم أحسن استقامة واستواء من بحر فارس، والقلزم لسان هذا الأخير، الذي بينه وبين بحر الروم ثلاث مراحل؛ كما يضيف المؤلف أن بحر الخزر، غير متصل ببحري الروم وفارس، مشيرا إلى أن بطليموس أشار إلى اتصال بحر الخزر بالروم، وهو ما لا ينسجم مع التوطينات الحالية، فبحر الروم وبحر فارس، ليسا متقابلان ولا يأخذان من نفس المنبع

وترد الإشارات مرة أخرى إلى الفرما عند ابن حوقل، إذ أورد "ومن البقارة إلى الفرما مدينة صالحة على نحر بحر الروم كثيرة النخيل والرطب والسمك غير طيبة الماء يردها التجار فى البر والبحر ليلا ونهارا من الفسطاط والشأم... وطول أرض مصر من أسوان إلى بحر الروم نحو عشرين"[2]

(١)- ابن حوقل، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ١١–١٣

(٢)- نفسه، ص ١٤٤

يؤكد ابن حوقل في هذا النص، على أن الفرما تقع على ساحل بحر الروم، وهي كثيرة النخيل والسمك، ومن أسوان إلى بحر الروم عشرين ميلا، ثم يضيف معطى جد هام إذ يشير أن ببحيرة تنيس "سمكة تعرف بالدلفين في خلقة الزق الكبير وتكثر في مياه بحر الروم في منحدر الماء العذب من البحر"[1].

يعتبر هذا المعطى بالغ الأهمية، إذ يشير إلى كثرة الدلافين ببحر الروم، وهو ما يلتقي مع عدة إشارات، فالدلفين النهري يعيش في المياه العذبة ويعيش في الأنهار الكبرى كالنيل الأزرق، ويشير ابن حوقل انه عند منحدر الماء العذب، وهو ما يلتقي مع إشارة الكمال الدميري إلى الدلفين أو الدخس، إذ أشار إلى انه "كثير بأواخر نيل مصر من جهة البحر الملح، لأنه يقذف به البحر إلى النيل وصفته كصفة الزق المنفوخ"[2]، ويؤشر هذا النص على أن مياه بحر الروم عذبة وليست مالحة، وبالتالي، فنحن بصدد نهر كبير، توجد فيه الدلافين النهرية المرتبطة بالنيل، عند مصب المياه العذبة.

يقدم ابن حوقل وصفا مهم للبحر الرومي، إذ أورد: "وسأصل ذلك بذكر بحر الروم وتصويره إذ هو خليج من البحر المحيط عليه أكثر هذه الديار وقد أتيت به على التقريب لا على الحقيقة إذ بعضه أشبه شيء بالدائرة المحددة، ومخرجه بين أرض الأندلس وأرض طنجة وسبتة وهذه الناحية محاذية من الأندلس لجزيرة جبل طارق واشبيليه وعرض هذا المخرج بهذا المكان المعروف باشبرتال وهو جبل عال ويمتد جنوبيا إلى سله ويحاذيه من العدوة الأندلسية جبل الأغر ويمتد إلى لبله بناحية الشمال من الأندلس فيكون نحو اثنى عشر ميلا ثم لا يزال يتسع ويعرض ويمتد على سواحل المغرب ومما يلي شرقى هذا البحر حتى ينتهى [إلى] أقاصى أرض مصر ممتدا على أرضها إلى الشأم متصلا عليها إلى الثغر الذي كان يعرف بطرسوس ويعطف إلى بلدان الروم من جبال إقليميه إلى أنطاليه ثم يصير إلى خليج القسطنطينية ويمضى على

(١)- نفسه، ص ١٥٦

(٢)- كمال الدين الدميري، "حياة الحيوان الكبرى"، دار الكتب العلمية، بيروت، الجزء الأول، ص ٤٧٠

سواحل اثيناس وسواحل قلوريه والانكبرذة إلى افرنجه وروميه ويصير البحر حينئذ جنوبيا لأرض جليقيه ويكون على ساحله الافرنجة إلى أن يتصل بطرطوشه من بلاد الأندلس ويمتد على النواحى التى تقدم ذكرها فى صفة الأندلس ويجاوز المرية وأعمال الجزيرة واشبيليه ويمضى على البحر المحيط إلى شنترين وهى آخر بلاد الإسلام من ناحية الأندلس وجانب بلد الروم، ولو أن امرءا سار من سبتة وطنجة على ساحل هذا البحر المغربى مؤملا أن يعود إلى ما يحاذيه من أرض الأندلس لدار على جميع بحر الروم من حيث لا يمنعه مانع إلا نهر يلقى اليه أو يفرع فيه أو خليج القسطنطينية فإنه يفضى إليه من البحر المحيط أيضا وذلك أنه انفصل به من الأرض فاصلة حازت شطر بلد الصقالبة وبعض بلد الروم فسميت الأرض الصغيرة والذي تحوز من البلاد مع ما ذكرته أرض قلوريه وجليقيه وافرنجه والأندلس فجعل ذلك جزيرة ليست مع الأرض الكبيرة ولا متصلة بشيء منها لأنها قائمة بنفسها ولم يحتج إلى أن يدله دليل إن أمكنه ذلك"(1)

يعتبر هذا النص الطويل لابن حوقل بالغ الأهمية، فهو يحدد البحر الرومي على أنه خليج يخرج من المحيط الكبير، وقد شبهه ابن حوقل بالدائرة، وهو يخرج من أرض الأندلس وطنجة وسبتة، ومخرجه من جبل اشبرتال الذي يمتد جنوبا حتى يصل إلى سلا، محاذيا لجبل الأغر الذي يمتد شمالا إلى لبلة؛ ويمتد بحر الروم إلى أن يصل إلى أرض مصر ثم الشام فيصل إلى طرسوس، ثم ينعطف على بلدان الروم، ويصير جنوب جليقية إلى أن يصل إلى شنترين آخر حد بلاد الإسلام المحاذية لبلاد الروم

ذكر صاحب أحسن التقاسيم أن "البحر الآخر خروجه من أقصى المغرب بين السوس الأقصى والأندلس يخرج من المحيط عريضا ثم ينخرط ثم يعود فيعظم إلى تخوم الشام وسمعت بعض مشايخ المغرب يفسر هذه الآية رب المشرقين ورب المغربين قال المغربان هذان الوجهان من هذا البحر مغرب الصيف عن يمينه ومغرب الشتاء

(1)- ابن حوقل، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ١٩٠-١٩٤

عن يساره وسمعت جماعة منهم يذكرون انه يضيق في حدود طنجة حتى يكون......... واتفقوا على انه عند معابر الأندلس إذا عاينت هذا البر تراءى لك البر الآخر، وذكر ابن الفقيه ان طول بحر الروم الدبورى ألفان وخمسمائة فرسخ من انطاكية إلى جزائر السعادة وعرضه في مكان خمسمائة فرسخ وفي مكان مائتا فرسخ"[1]

يشير المقدسي في هذا النص إلى أن بحر الروم ينبع من السوس الأقصى، فيخرج من المحيط، إلى تخوم الشام، كما أشار المؤلف على أن المسافة بن المضيق ضيقة حتى يتراءى البران لبعضهما

ويورد في النص المتعلق بتقسيم مملكة الإسلام أن: "الشمس تغرب في حافة بلد المغرب ويرونها تنزل في البحر المحيط وكذلك أهل الشام يرونها تغيب في بحر الروم، وإقليم مصر يأخذ من البحر الرومى طولا إلى بلد النوبة ويقع بين بحر القلزم وتخوم المغرب ويمتد المغرب من تخوم مصر إلى البحر المحيط مثل الشريطة يضغطه من قبل الشمال بحر الروم ومن قبل الجنوب بلدان السودان، ويمد إقليم الشام من تخوم مصر نحو الشمال إلى بلد الروم"[2]

تدل إشارة غروب الشمس على وجود بحر الروم في غرب الشام، لكن المعطى الأهم هو أن مصر تأخذ طولا من البحر الرومي إلى بلد النوبة، وأنه يقع بين بحر القلزم وحدود المغرب، كما يشير إلى أن بحر الروم يقع شمال أرض المغرب.

ويشير صاحب حدود العالم إلى أن "وأما ما فى بحر الروم، فست جزر عامرة وجبلان اثنان يدعى أحدهما جبل طارق الذي يقع أحد طرفيه فى بلاد الأندلس والآخر فى الخليج الذي يتصل بالأوقيانوس بواسطة بحر الروم. وفيها معدن الفضة. وتنبت فيها الأعشاب الطبية وتسقط على الأرض مثل الجنطيانا وما شابهها.

(١)- المقدسي، مرجع سابق، ص١٤

(٢)- نفسه، ص٦٢

ويدعى الجبل الثانى جبل القلال. وهو قريب من مدينة رومية فى المغرب. وهو جبل يقال إنه لم يستطع أحد الوصول إلى قمته لشدة ارتفاعه. وفيه الصيد والخشب والحطب"[1].

يشير صاحب حدود العالم إلى أن بحر الروم يقع بين جبلين الأول جبل طارق الذي يوجد عند حدود بلاد الأندلس، والثاني يعرف بجبل القلال الذي يوجد في المغرب، وعليهما الفضة وبعض النباتات

ويورد في إشارة أخرى عن جزائر بحر الروم: "**الأولى:** قبرس، ومحيطها ثلاثمائة وخمسون ميلا. وفيها معادن الفضة والنحاس والدهنج. وتقع مقابل قيسارية وعكا وصور.

الثانية: قريس: تقع إلى الشمال من الجزيرة الأولى. ومحيطها ثلاثمائة وخمسون ميلا.

الثالثة: بالس، محيطها ثلاثمائة ميل.

الرابعة: صقلية، قرب رومية. ويخرج من هذه الجزيرة جبل كبير وكانت خزانة الروم فى هذه الجزيرة، قائمة منذ القديم فيها. وطولها سبعة منازل فى عرض خمسة.

الخامسة: سردانية، إلى الجنوب من رومية. محيطها ثلاثمائة ميل.

السادس: إقريطس، إلى الشمال من أطرابلس ومقابلها. محيطها ثلاثمائة ميل.

وجميع هذه الجزر الست عامرة وفيها خيرات كثيرة ومدن وقرى وناس كثيرون، وتجار وجند وثروة كبيرة. وجزائر بحر الروم هذه هى الأكثر عمارة من جميع جزائر العالم"[2]

(١)- مجهول، "حدود العالم من المشرق الى المغرب"، ص٣٩

(٢)- نفسه، ص٤٠

ويشير مؤلف كتاب حدود العالم إلى المعادن، حيث تهيمن معادن الذهب والفضة والنحاس والدهنج؛ بينما يقدم البكري عدة إشارات حول بحر الروم، إذ أورد "وأما البحر الثالث فهو البحر الرومي السد، وهو يأخذ من أنطاكية إلى أقصى بلاد المغرب وهو يلتقي البحر المظلم ويخرج إلى الجزائر الخالدات، ويخرج من هذا البحر الرومي خليج كبير يمر بجزيرة الأندلس، ثم يمر هذا البحر ذاهبا إلى السوس الأقصى من بلاد فارس والأهواز، ثم يأخذ هذا البحر الثالث من أنطاكية فيصير بحرا رابعا إلى القسطنطينية ثم ينعطف إلى ناحية المغرب آخذا إلى الأبواب من ناحية بلاد الخزر، وعلى هذا البحر المنعطف تقع المدن الخمس التي يأخذ الخزر عليها في ممرهم إلى القسطنطينية منها المدينة البيضاء. وعلى ساحل هذا البحر تقع طرسوس والمصيصة والإسكندرية وأنطاكية واللاذقية وعرقة واطرابلس الشام وسائر ما يتلو هذه البلاد، ثم يدور إلى بلخ مدينة الخزر الموضوعة ومن هناك يأخذ إلى باب الأبواب"(1).

يجعل البكري البحر الرومي هو الثالث في الترتيب من حيث الأنهار، ويمتد من أنطاكية إلى أقصى بلاد المغرب حيث يلتقي مع البحر "المظلم"، ويخرج إلى الجزائر الخالدات؛ لكن المعطى الأهم هو الخليج الكبير الذي يمر بجزيرة الأندلس، لكن المعطى الأساس عند البكري أن هذا الخليج يمر من السوس الأقصى من بلاد فارس والأهواز

يحدد البكري مسار البحر الرومي إذ ينعطف إلى المغرب بعد وصوله إلى انطاكية فيمر بالقسطنطينية ومن ثم المغرب عبر بلاد الخزر، ويصفه فيقول: "وهذا الخليج هو بحر الروم وطرطوس والمصيصة وأنطاكية واللاذقية وأطرابلس وصور وغير ذلك من سواحل الشام ومصر والإسكندرية. وفي هذا البحر جزائر كثيرة نحو

(١)– البكري، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ١٩١

جزيرة قبرس يحيط بها البحر مائتي ميل، وجزيرة إقريطش يحيط بها البحر ثمانمائة ميل، وجزيرة صقلية يحيط بها البحر خمسمائة ميل، وجزيرة سردانية يحيط بها البحر ثلاثمائة ميل، وغيرها"[1]

حسب البكري فخليج بحر الروم يعتبر بحرا للروم وطرسوس والمصيصة وأنطاكية واللاذقية وأطرابلس وصور وسواحل الشام ومصر والإسكندرية، ويضيف في نص آخر: "ومن بحر أفريقية وصقلية يخرج المرجان، وهذا المضيق الذي قدمنا ذكره وهو الخليج الذي عليه طنجة متصل ببلاد المغرب وأفريقية والسوس وأطرابلس المغرب والقيروان وساحل برقة والرمادة إلى بلاد الإسكندرية إلى تنيس ودمياط وساحل الشام ثم ساحل الروم إلى بلاد رومة إلى أن يصل إلى ساحل الأندلس راجعا إلى الخليج الضيق الذي بدأنا بذكره. ويخرج (منه خليج) إلى ناحية الشمال قرب رومة يكون طوله خمسمائة ميل يسمى إدريس، وهو الذي تعرفه الروم بماء ربجينه، ويخرج منه خليج [آخر] إلى أرض نربونة يكون طوله مائتي ميل[2].

يشير البكري أن خليج بحر الروم يخرج منه المرجان، وهو يتصل ببلاد طنجة وأفريقية والسوس واطرابلس، والمغرب والقيروان، وساحل برقة والرمادة، والإسكندرية وساحل الشام وساحل الروم، قبل أن يضيف في نص آخر أثناء وصف البحر الرومي (بحر الشام) فيقول: "وأما بحر الشام، وهو البحر الرومي، فإنه لا تجري فيه جارية ولا يستطاع ركوبه منذ تسير الشمس في أول العقرب إلى أن تصل إلى الحوت وذلك أربعة أشهر، لأن الشمس تتباعد وتحدث فيه الرياح العواصف والأهوية المهلكة وبخاصة الناحية الشمالية منه"[3].

(١)-البكري، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ٢٠٣
(٢)- نفسه، ص ٢٠٤
(٣)- نفسه، ص ٢٠٩

يشير البكري في هذا النص إلى أن بحر الروم يبدأ بالهيجان منذ أن تسير الشمس في أول العقرب إلى الحوت (نونبر – مارس) أي فصل الشتاء، حيث يعرف الرياح والعواصف والاهوية خاصة في الناحية الشمالية، كما يقدم في نص آخر إشارة جد هامة، إذ يقول: "بحر الروم وبحر الصين، ولا يتقاربان في بقعة من الأرض تقاربهما في هذا الموضع، فإن الذي ما بين الفرما والقلزم مسيرة ليلة واحدة وبينهما في غير هذا الموضع مسيرة شهور"(1)، وحسب هذا النص فإن بحرا الصين والروم يتقاربان بين الفرما والقلزم، مسيرة ليلة واحدة، على عكس باقي المواقع حيث يمكن أن تسير المسافة لشهور

يقدم صاحب سفر نامه إشارة جد مهمة إذ قال: "وتذهب السفينة من تنيس إلى القسطنطينية في عشرين يوما وقد سرنا بجانب مصر وحين بلغنا شاطئ البحر سارت السفينة في النيل حين يقترب نهر النيل من البحر يصير فروعا تصب متفرقة فيه ويسمى الفرع الذي سرنا فيه فرع الروم سارت السفينة حتى بلغنا مدينة تسمى الصالحية ..."(2)

حسب هذا النص، الوارد في سفر نامه، فان ملتقى النيل بالبحر يتكون من عدة فروع متفرقة، يعرف أحدها بفرع الروم، والذي سار فيه إلى أن وصل للصالحية، ثم يضيف في ذات النص في "وبين مصر والأندلس ألف فرسخ وسكانها جميعا مسلمون وهي ولاية كبيرة جبلية ينزل فيها البرد ويتجمد سكانها بيض وشعرهم أحمر وأكثرهم كالصقالبة عيونهم كعيون القطط وتقع الأندلس في نهاية بحر الروم فالبحر شرقي بالنسبة لأهلها وإذا ذهب السائر من الأندلس شمالا جهة اليمين متتبعا الشاطئ فانه يبلغ بلاد الروم وكثيرا ما يغزون الروم من الأندلس

(1)-البكري، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص ٦٢٥

(2)- أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي، "سفر نامه"، تحقيق يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣، ص ٨٠

ومن الممكن أن يركب المسافر البر إلى القسطنطينية اذا أراد ولكن لا بد من اجتياز خلجان كثيرة عرض كل منها مائتا فرسخ أو ثلثمائة فرسخ لا يمكن اجتيازها الا بالسفن والمعابر"(1)

يقدم المؤلف معطى بشريا جد هام، إذ يشير إلى أن سكان الأندلس الذين يقعون على أطراف بحر الروم، يشبهون الصقالبة، فهوم بيض وشعرهم أحمر، وعيونهم كالقطط، وهي منطقة تعرف تساقطات ثلجية كثيرة.

(1)-سفر نامه، ص٨٥

الفصل السابع:

مقدونية في المصادر العربية الإسلامية

يهدف هذا الفصل إلى دراسة مقدونية في المصادر العربية الإسلامية، وغني عن البيان ما للمنطقة من دور في السردية التاريخية الأوروبية، إذ أنها ترمز "للانبعاث الأوروبي" وتغلب الأوروبيين على الباقي وامتلاكهم للعالم المعمور خلال زمن الإسكندر المقدوني، وهي سردية تستحق التوقف عندها وتأملها مليا. من هنا تتبعنا حضور مقدونية في هذه المصادر وقد لاحظنا حضورها على ثلاث مستويات:

- مستوى تاريخي
- مستوى انثربولوجي
- مستوى جغرافي

المحور الأول: نصوص القرن الثالث الهجري

لعل أول ملاحظة تبدو جلية عند الاطلاع على نصوص القرن الثالث الهجري، أن مقدونية وردت في مصدر واحد وهو المسالك والممالك لابن خرداذبه، وقد وردت فيما تعلق بالجغرافية ورودا عابرا في موضعين، دون أن يقدم أي معطيات تاريخية أو انثربولوجية.

حيث جاء في الإشارة الأولى: "والعمل الثاني خلف هذا العمل هو عمل تراقية، وحده من المشرق السور، ومن الجنوب عمل مقدونية، ومن المغرب بلاد برجان ومن الشمال بحر الخزر وطوله مسيرة خمسة عشر يوما وعرضه مسيرة ثلاثة أيام وفيه عشرة حصون، والعمل الثالث عمل مقدونية وحده من المشرق السور ومما يلي الجنوب بحر الشأم ومن المغرب بلاد الصقالبة ومن الشمال برجان وطوله مسيرة خمسة عشر يوما وعرضه مسيرة خمسة ايام وفيه ثلاثة حصون"(1)

(١) – ابن خرداذبه، مرجع سابق، صص ١٠٥-١٠٦.

وأضاف في النص الثاني "ويعرف الذي يليه بتراقية وحده من جهة المشرق السور المقدم ذكره ومن الجنوب عمل مقدونية ومن الغرب بلاد البرجان ومن الشمال بحر الخزر وطوله مسيرة احد عشر يوما وعرضه من بحر الخزر إلى عمل مقدونية مسيرة ثلاثة أيام والوالي عليه يعرف بالاصطرطيقوس وجنده خمسة آلاف رجل ودون الخليج احد عشر عملا"(١)

من خلال استقراء هذه التحديدات الجغرافية التي يقدمها الكتاب، يمكن الخروج بالنتيجة التالية: تقع مقدونية ضمن أرض بلاد الروم، وهي عمل من أعمالها، طولها مسيرة خمسة عشر يوما، وعرضها مسيرة خمسة أيام(٢)، أي أن مجموع مساحتها هو ١٢٧٤٣١٦٣ كلم، وبالقياس إلى مقدونيا الحالية فإن الأمر لا يستقيم إذ تبلغ مساحة مقدونيا الحالية ٢٥٧١٣ كلم.

يحدها من الاتجاهات الأربعة: الغرب: بلاد الصقالبة. الشرق: يحدها غربا السور المبنى من بحر الخزر إلى بحر الشام. الجنوب: بحر الشام. الشمال: تراقية، وبرجان

ويؤكد النص الثاني نفس التحديدات مع إضافة أن عرض بحر الخزر إلى أن يصل إلى بلاد مقدونية هو مسيرة ٣ أيام أي ١٢٣٦٦ كلم، وطوله (بحر الخزر) مسيرة ١١ يوما أي ٤٥٢٢٢ كلم.

المحور الثاني: نصوص القرن الرابع الهجري

من خلال استقراء نصوص القرن الرابع الهجري واستقرائها يمكن ملاحظة انها توزعت على ثلاث تقسيمات أساسية:

أولا: إشارات تاريخية

(١)- نفسه، ص٢٥٦-٢٥٧

(٢)- باعتبار أن مسافة اليوم في المصادر الجغرافية تقدر ب ٤١٢٢ كلم لليوم، فإن طول إقليم مقدونية هو ٦١٨٣ كلم، وعرضها ٢٠٦١ كلم.

ارتبطت هذه الإشارات بقصة الإسكندر المقدوني، حيث وردت مقدونية عند الطبري في سياق الحديث عن الملك الفارسي دارا، ف"فيلفوس أبا الإسكندر اليوناني من أهل بلدة من بلاد اليونانيين تدعى مقدونية، كان ملكا عليها وعلى بلاد أخرى احتازها إليها، كان صالح دارا على خراج يحمله إليه في كل سنة"(١)، ويشير قدامة ابن جعفر في نص آخر إلى أنه: "لما رجع الإسكندر بعد موت أبيه ورجوع الملك اليه إلى دار مملكتهم وكانت في ذلك الوقت بمقدونية وهي بالقرب من المغرب، ولم يكن بالقسطنطينية التي هي في هذا الوقت دار ملكهم... "(٢)، كما وردت في نفس السياق عند الخوارزمي الذي أشار إلى أنه: "ملك الروم بعد الإسكندر بن فيلغوس الذي قتل دارا بن دارا من ملوك مقدونية وهي مدينة الحكماء من مدن يونان عشرة نفر كل واحد منهم سمي بطليموس ومعناه الحربي ولهم ألقاب معروفة".(٣)

بينما وردت إشارات أخرى بخصوص التقويم، إذ جعلته مرتبطا بوصول الإسكندر للحكم، كما يشير لذلك المسعودي: "ثم أرخوا بسني الإسكندر بن فيلبس، فاستقر تاريخهم على ذلك إلى هذا الوقت وقد تنوزع في مبدإ تاريخ الإسكندر فمنهم من رأى أن ذلك من ابتداء ملكه ومنهم من رأى ذلك من أول السنة السابعة من ملكه حين خرج عن بلاد مقدونية إلى ناحية المغرب وغيرها من بلاد الأفرنجية(٤)،

ثانيا: إشارات جغرافية

وردت عدد من الإشارات الجغرافية إلى مقدونية، فبعضها جعلها ضمن بلاد اليونانيين، فهي عند الطبري "بلدة من بلاد اليونانيين تدعى مقدونية"(٥)، وعند قدامة ابن

(١)- الطبري، مرجع سابق، ج١، ص٥٧٣.

(٢)- قدامة ابن جعفر، مرجع سابق، ص٤٥٤

(٣) محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي، "مفاتيح العلوم"، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ص١٣٥.

(٤)- المسعودي، التنبيه والإشراف ... مرجع سابق، ج١، ص١٦٨.

(٥)- الطبري، مرجع سابق، ج١، ص ٥٧٣.

جعفر أثناء حديثه عن الإسكندر والملك دارا "دار مملكتهم وكانت في ذلك الوقت بمقدونية وهي بالقرب من المغرب ... وكانت للفرس على اليونانيين إلى ذلك الوقت أتاوة"(١).

كما ربطتها نصوص أخرى بمصر، فقد أورد المقدسي أنه "جعلنا إقليم مصر على [سبع كور ست منها عامرة ولها أيضا أعمال واسعة ذات ضياع جليلة ولم تكثر مدائن مصر لان أكثر أهل السواد قبط ولا مدينة في قياس علمنا هذا الا بمنبر، فأولها من نحو الشام الجفار ثم الحوف ثم الريف ثم إسكندرية ثم مقدونية ثم الصعيد والسابعة الواحات"(٢)، ويجعل المقدسي من الفسطاط عاصمة لمقدونية، في قوله: "وأما مقدونية فقصبتها الفسطاط وهو المصر ومن مدنها العزيزية الجيزة عين شمس وأما الصعيد فقصبتها أسوان ومن مدنها حلوان قوص إخميم بلينا علاقى اجمع بوصير الفيوم"(٣)

وكذلك فعل الهمداني صاحب صفة جزيرة العرب حيث أشار إلى أن مقدونيا هي مصر "وأما الأجزاء التي في هذا الربع وما يقع في جزيرة العرب المائلة إلى وسط الأرض المسكونة تراقا أي ترقة وما قادونيا أي مقدونية، وهي أرض مصر وايلورية واللآس وحايا والأصل أحايا واقريطس الجزيرة والبلد التي تمسى وقلادس وسواحل آسيا الصغرى"(٤).

وتتموقع مقدونية/ مصر ضمن مثلث الثور والعذراء والجدي، كما أشار لذلك الهمداني ف"للجدي من الطرف القاصي أرض الهند ومكران وسجستان وتراقية، ومن الداني مقدونية ومن أرض مصر واقريطيس وايلورية"(٥) حيث تخضع فلكيا للزهرة وزحل وعطارد، "وتشترك في تدبيره الزهرة وزحل وعطارد"(٦)

(١)- قدامة ابن جعفر، مرجع سابق، ص٤٥٤.
(٢)- المقدسي البشاري، مرجع سابق، ص١٩٣.
(٣)- نفسه، ص ١٩٤.
(٤)- الهمداني، مرجع سابق، ص٣٣
(٥)- نفسه، ص٤٣.
(٦)- نفسه، ص٣٣.

وعلى النقيض من هذا الموقف استحضر قدامة ابن جعفر وغيره ما سبق أن أورده ابن خرداذبه، فأشاروا إلى أن مقدونية من بلاد الروم، وأنها محددة ببلاد الصقالبة غربا، والسور المبنى من بحر الخزر إلى بحر الشأم شرقا، وبحر الشام جنوبا، وتراقية وبرجان غربا، وان عرض بحر الخزر إليها مسيرة ٣ أيام (أي ١٢٣,٦٦ كلم)(١)، بينما جعلها صاحب حدود العالم، من أعمال بلاد الروم وهي "ناحية كان منها الإسكندر الرومي وهي متصلة ببحر الروم"(٢). وذكر المسعود أن السور الذي يحد مقدونية يسمى «مقرون تيخس» أي السور الطويل، طوله مسيرة أربعة أيام (١٦٤,٨٨ كلم) وبينه وبين القسطنطينية يومان (٨٢,٤٤ كلم)"(٣)

ثالثا: إشارات ثقافية

يقدم صاحب صفة جزيرة العرب عددا من الخصائص والسمات الأنثربولوجية لسكان مقدونيا، فهم متشابهين في الصور أكثر من غيرهم، ومعتدلي الأبدان والأنفس؛ يحبون الأغاني المليحة والتعليم والجهاد والتنظيف؛ وهم أيضا أصحاب سياسة أشداء غير خاضعين محبين للحرية، ولكل منهم رياسته وسنته، يحبون الملك، ولا يشتركون في الأشياء السنة؛ كما انهم مضيافون ومواسون، يحبون إضافة الغرباء والعدل والكتاب واستعمال الكلام، وكتم الأسرار، "ويحبون الملك وليست أخلاقهم بأنيسة ولا يشتركون في الأشياء السنية"(٤).

إضافة إلى هذا فقد أورد الأصفهاني أنه "انتهت علوم جانب المغرب إلى خمس فرق: وهم أصحاب الرواق كانوا بالإسكندرية، وأصحاب اصطوان وكانوا ببعلبك،

(١)- قدامة ابن جعفر، مرجع سابق، ص١٩٠.

(٢)- حدود العالم، مرجع سابق، ص١٨٤.

(٣)- المسعودي، التنبيه ... مرجع سابق، ج١، ص ١٥٣.

(٤)- الهمداني، مرجع سابق، ص٣٣

وأصحاب المظال وكانوا بانطاكية، وأصحاب البرابي وكانوا بمصر، والمشاءون وكانوا بمقدونية"(١)

المحور الثالث: القرن الخامس الهجري

يلاحظ الحضور الضئيل للنصوص المرتبطة بمقدونية القرن الخامس الهجري، فباستثناء بعض الإشارات القليلة، التي لا تسهم في تقديم نظرة عامة عن حضور مقدونية في المصادر الإسلامية، ويمكن تجميعها على الشكل التالي:

أولا: إشارات تاريخية

وردت مقدونية عند ابن النديم في الفهرست مرتبطة بخروج الإسكندر من أجل إسقاط ملك هرمس على مصر، إذ "خرج الإسكندر ملك اليونانيين غازيا أرض فارس من مدينة للروم يقال لها مقدونية"(٢)، وذكر استيلاء الإسكندر على الشام ومصر "وهي مقدونية وإليها ينسب الإسكندر المقدوني، ونواحي المغرب من الأندلس وغيرها، وكانت دار مملكتهم الإسكندرية"(٣).

ثانيا: إشارات جغرافية

على المستوى الجغرافي اقترنت مقدونية بأرض الروم عند ابن النديم كما يدل على ذلك ما أورده سابقا عن خروج الإسكندر "غازيا أرض فارس من مدينة للروم يقال لها مقدونية"(٤)؛ بينما أشار البكري في أكثر من موضع إلى أن مقدونية هي مصر، حيث أورد في إحدى إشاراته أنه "استوسق (بالإسكندر ملك اليونانيين) بالشام ومصر،

(١)- حمزة بن الحسن الأصفهاني، "التنبيه على حدوث التصحيف"، تحقيق محمد أسعد طلس، دار صادر بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٢، ص١٢٩.

(٢)- ابن النديم، مرجع سابق، ص٢٩٦.

(٣)- البكري، مرجع سابق، ج١، ص ٣٠٢.

(٤)- ابن النديم، مرجع سابق، ص٢٩٦

وهي مقدونية وإليها ينسب الإسكندر المقدوني"[1]، ويورد في نص آخر أثناء الحديث عن مصر: "وكان اسم مصر قبل ذلك أمسوس، وقيل إن اسمها كان مقدونية"[2].

المحور الرابع: القرن السادس الهجري

حضرت مقدونية في نص واحد عند الشريف الإدريسي، جاء فيه: ويخرج أيضا من البحر الشامي الخليج الثاني المسمى بحر نيطس ومبدؤه من البحر الشامي ... ويتصل بالقسطنطينية ويمر بشرقي بلاد مقدونية إلى أن يتصل بالموضع الذي بدأ منه"[3]، والملاحظ أن إشارة الإدريسي جاءت في معرض الحديث عن البلاد الرومية، وعلى أطراف نهر بنطس، ودون أن يقدم أي تحديدات عن موقع مقدونية، ولا تحديدات جغرافية أو تاريخية أو انثربولوجية يمكن أن تعين على فهم موقع المنطقة، ورغم أهمية موقع مقدونيا آنذاك، إلا أن إهمال الشريف الإدريسي لها يطرح عددا من علامات الاستفهام.

المحور الخامس: القرن السابع الهجري

تتضمن النصوص الاثنا عشرة الواردة في هذا القرن، عدة إشارات، يمكن تقسيمها إلى ثلاث إشارات أو محددات (تاريخية، جغرافية، أنثربولوجية)

أولا: إشارات تاريخية

وردت عدد من الإشارات التاريخية، في نصوص القرن السابع الهجري، إلى مقدونية، وقد ارتبطت في مجملها بالإسكندر المقدوني، إذ أشار الحموي في معجمه إلى الإسكندر المقدوني وقتله للملك دارا، وتشييده للإسكندرية عوضا عن مدينة دارا[4]، وهو نفس ما يشير له ابن الأثير في كتابه الكامل[5]، ويسير ابن العديم في نفس الاتجاه، حيث يربط بين الإسكندر ومقدونيا[1].

(١)- البكري، مرجع سابق، ج.١، ص ٣٠٢.

(٢)- نفسه، ج.٢، صص ٥٥٥ -٥٥٦.

(٣)- الادريسي، مرجع سابق، ج.١، ص ١٢.

(٤)- الحموي، مرجع سابق، ج.٢، ص ٤١٨.

(٥)- ابن الأثير، مرجع سابق، ج.١، ص ٢٤٨.

تضمنت بعض النصوص أيضا إشارات حول أصل الإسكندر المقدوني، وبالتالي موقع مقدونية، بين من يجعله يونانيا، فهو "ابن فلغيوس - وقيل: فليقوس - ابن الإسكندر المقدوني اليوناني"(٢) أو حسب ابن العبري أن "اليونانيون فكانوا أمة عظيمة القدر في الأمم طائرة الذكر في الآفاق فخمة الملوك. منهم الإسكندر بن فيليفوس المقدوني الذي اجمع ملوك الأرض طرا على الطاعة لسلطانه"(٣).

بينما ربطت نصوص أخرى بين مقدونية والإسكندر المقدوني والروم، كما جاء عند ابن العديم فقد "قال بعضهم: هو من الروم واسمه فيلفوس بن مصريم بن هرمس بن هرديس بن ميطون بن رومي بن ليطي بن يونان"(٤)، وفي نص آخر: "ثم ملك الإسكندر الرومي ... ولكن الثبت عندنا أن ذا القرنين الإسكندر كان من الروم، وأنه فيلفوس بن مصريم بن هرمس بن هردس بن ميطون بن رومي بن ليطي بن يونان بن يافث بن ثوبه (ح) بن سرجون بن رومية بن بريط بن توفيل بن رومي بن الأصفر بن اليفن بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم النبي عليه السلام"(٥).

ثانيا: إشارات جغرافية

حملت النصوص عددا من الإشارات الجغرافية، إذ أشارت لمقدونية على أنها من أعمال الروم ومن بين أربعة عشر عملا، كما أورد الحموي في معجمه "وجميع أعمال الروم التي تعرف وتسمى وتأتينا أخبارها على الصحة أربعة عشر عملا ... ومن القبلة عمل مقدونية، ومن المغرب بلاد برجان مسيرة خمسة عشر يوما، وعرضه من بحر الخزر إلى حد عمل مقدونية مسيرة

(١)- كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي الحلبي ابن العديم، "بغية الطلب في تاريخ حلب"، تحقيق المهدي عيد الرواضية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ومركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن- إنجلترا، الطبعة الأولى، ٢٠١٦، الجزء ٤، ص ٧١.

(٢)- نفسه. ابن العبري، مرجع سابق، ج.١، ص ٥٤.

(٣)- ابن العبري، مرجع سابق، ج.١، ص ٥٧.

(٤)- ابن العديم، مرجع سابق، ج.٤، ص٧١.

(٥)- نفسه، ج.٤، ص ٧٦.

ثلاثة أيام، ومنزل الاصطرطغوس الوالي حصن يسمى أرقدة على سبع مراحل من القسطنطينية، وجنده خمسة آلاف، ثم عمل مقدونية، وحده من المشرق السور الطويل، ومن القبلة بحر الشام، ومن المغرب بلاد الصقالبة، ومن ظهر القبلة بلاد برجان، وعرضه مسيرة خمسة أيام"(١)

أما نصوص أخرى، فتربط بين مصر ومقدونية، إذ تجعل هذا الأخير هو الاسم القديم لمصر، وتحدد مساحتها في مسيرة أربعين ليلة طولا، ومثلها عرضا، وتمتد من شجرتين بين رفح والعريش إلى أسوان، وعرضها من برقة إلى أيلة(٢)

تعطي نصوص أخرى تحديدات مختلفة لمقدونية، فسبط ابن الجوزي يجعلها هي مدينة أقنينة، قبل أن يتغير اسمها إلى مقدونية، وأنها كانت مدينة للحكماء أيضا كما أورد في كتابه "يقال لها: أقنينة، وهي مدينة الحكماء، وقيل: اسمها مقدونية"(٣).

ثالثا: إشارات أنثربولوجية

تضمنت نصوص القرن السابع، عددا من الإشارات الأنثربولوجية، ذات الطبيعة الثقافية (بمعناها العالم) بالخصوص، إذ يشير ابن القفطي إلى أن أرسطوطاليس كان معلما للإسكندر بن فيلبس ملك مقدونية، وانه قمع الشرك، بمعنى أنه كان موحدا، وهو ما يتناقض مع نصوص أخرى حول معتقد الإسكندر(٤). كما يحيل نص سابق لسبط ابن الجوزي على أن مقدونية سواء كان اسمها مقدونية، أو أقنينة كانت تعرف بمدينة الحكماء وأنها عرفت بممارسة الفلسفة وانحدار عدد من الفلاسفة منها(٥).

(١)- الحموي، معجم .. مرجع سابق، ج.٣، صص ٩٨-٩٩.
(٢) - نفسه، ج.٥، ص١٣٧.
(٣)- سبط ابن الجوزي، مرجع سابق، ج.٢، ص ٤٠٧.
(٤)- القفطي، مرجع سابق، ص٢٩.
(٥)-سبط ابن الجوزي، مرجع سابق، ج.٢، ص٤٠٧.

المحور السادس: القرن الثامن الهجري

وردت عدد من الإشارات إلى مقدونية في نصوص القرن الثامن الهجري، والتي يمكن أن تنقسم إلى ثلاث إشارات أو محددات (جغرافية، تاريخية وأنثروبولوجية)، ولعل الملاحظ أنه في هذه الفترة بدأ الاهتمام بالتاريخي والأنثربولوجي على حساب الجغرافي، إذ ان الإشارات الجغرافية الواردة ارتبطت بشكل كبير بما هو تاريخي، كما أن حضور مقدونية تعدى المصادر التاريخية والجغرافية إلى المصادر الفقهية، إذ يمكن القول أن مقدونية خلال هذه الفترة بدأت تتشكل كنقيض للصورة الفقهية السائدة، إذ توضع على طرف نقيض توجه له سهام النقد، ويوصف به الخصوم، كما يظهر بشكل جلي عند ابن تيمية؛ ويمكن القول أن صورة مقدونية خلال هذه المرحلة كانت ثقافية أكثر منها جغرافية.

أولا: إشارات تاريخية

تضمنت النصوص عددا من الإشارات التاريخية إلى مقدونية، ارتبط بعضها بقصة الإسكندر المقدوني، والبعض الآخر بكليوباطرة وبطليموس، وفي هذا السياق أورد النويري، أن "قلوبطرة، وكانت حكيمة متفلسفة معظمة للحكماء، ولها كتب مصنفة فى الطب والزينة وغير ذلك، مترجمة باسمها ومنسوبة إليها، وكان زوجها بطليموس ويسمى أنطونيوس مشاركا لها في ملك مقدونية وهي مصر"[1]، ويضيف في نص آخر "فقيل قيصر، وهو صاحب قلوبطرة ملكة اليونان على ما ذكرناه. واحتوى هذا الملك على مقدونية وهى مصر والإسكندرية، وحاز ما فيهما من الخزائن، وكانت له حروب كثيرة، وكان يعبد الأوثان"[2]

(١)- شهاب الدين النويري، "نهاية الأرب في فنون الأدب"، تحقيق يوسف الطويل وعلي محمد هاشم، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، الجزء ١٥، ص ٢٥٤.

(٢)- نفسه، ص ٢٦٤.

وأشارت نصوص أخرى إلى أن التأريخ كان بناء على حياة الإسكندر، مع الإشارة إلى جذوره اليونانية، وأن الروم استعملوا تقويمه، كما يشير إلى ذلك ابن أيبك "وكان اليونانيون يؤرخوا من وقت خروج يونان بن يوش عن أرض بابل إلى المغرب. فبقوا على ذلك الزمان الطويل حتى ظهر الإسكندر وغلب على الملوك وتقدم على أهل زمانه، فعادوا يؤرخوا من أول السنة السابعة والعشرين من عمره، وهي أول السابعة من ملكه، حين خرج من بلاد مقدونيه، وهي المسماة: مدينة الحكماء"(١).

وتكثر الإشارات إلى الجذور اليونانية، وارتباط اليونان بمقدونية كما أورد ابن الوردي في تاريخه "أبو الإسكندر مقر ملكه كان بمقدونية مدينة حكماء اليونان على جانب الخليج القسطنطيني من شرقيه وملوك اليونان طوائف لم يشتهر منهم غير فيلبس"(٢).

وتنبيء هذه الإشارات عن تضارب المؤرخين في تحديد جذور مقدونية وأصولها، وانقسامهم إلى قائل بين الأصل الرومي واليوناني، دون ان يدلل أي منهما على موقفه، خاصة مع إهمال التحديدات الجغرافية.

ثانيا: إشارات جغرافية

قدمت النصوص عددا من الإشارات الجغرافية المهمة، ففي هذا السياق يشير ابن تيمية إلى أن مقدونية خراب أو غمرها الماء، بمعنى أنها اختفت من على سطح العالم المعروف آنذاك، حيث أورد ما نصه: """"وأرسطو كان وزير الإسكندر بن فيلبس المقدوني - نسبة إلى مقدونية - وهي جزيرة هؤلاء الفلاسفة اليونانيين الذين يسمون المشائين وهي اليوم خراب أو غمرها الماء وهو الذي يؤرخ له النصارى واليهود التاريخ الرومي وكان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة فيظن من يعظم هؤلاء

(١)- أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري، "كنز الدرر وجامع الغرر"، تحقيق ادوارد بدين، عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٩٩٤، ج.٢، ص٣١٨.

(٢)- زين الدين ابن الوردي، "تاريخ ابن الوردي"، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، الجزء ١، ص ٥٠.

الفلاسفة أنه كان وزيرا لذي القرنين المذكور في القرآن ليعظم بذلك قدره وهذا جهل؛ فإن ذا القرنين كان قبل هذا بمدة طويلة جدا وذو القرنين بنى سد يأجوج ومأجوج وهذا المقدوني ذهب إلى بلاد فارس ولم يصل إلى بلاد الصين؛ فضلا عن السد."[1]

مع الإشارة إلى انفراده بهذه الرواية، التي يجب أن تؤخذ بعين الحذر على اعتبار طبيعة البعد السجالي الذي أوردها فيه ابن تيمية، وأن الغرق أو الخراب قد يكون صورة متخيلة أو رمزية.

يشير النويري إلى ان مقدونية هي مصر، ثم يجعلها ضمن مملكة اليونان[2]، بينما يجعل ابن تيمية إلى أن بلاد مقدونية هي الإسكندرية وما والاها من البلاد، ويتحدث عنها على انها ضمن اوقاف الكنيسة العظمى، ولا يشير إلى خرابها او تدميرها كما فعل ابن تيمية[3].

ثالثا: إشارات أنثربولوجية

ارتبطت الإشارات الأنثربولوجية الواردة في نصوص هذا القرن، بالمستوى الاعتقادي او الديني، وهو أمر يبدو مفهوما بالنظر إلى طبيعة النقاشات والسجالات المطروحة آنذاك، وتشكل مقدونية في الخيال الإسلامي كنقيض على الطرف الآخر، وقد كان ابن تيمية في مقدمة هذه السجالات حيث يشير إلى أن "المشركون يعبدون الأصنام المجسدة التي لها ظل، وهذا كان دين الروم واليونان، وهو دين الفلاسفة أهل مقدونية وأثينة"[4]، بينما يشير في نص آخر في سياق سجاله مع الفلاسفة أنه "ليس معه ما يعتمد عليه أن هؤلاء كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله بل لو قيل كانوا مشركين

(١)- تقي الدين ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة-السعودية، ٢٠٠٤، الجزء ١٧، ص ٣٣٢.

(٢)- النويري، مرجع سابق، صص ٢٥٤- ٢٦٤.

(٣)- ابن فضل الله العمري، مرجع سابق، ج٣، ص ٤٠١.

(٤)- تقي الدين ابن تيمية، "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح"، تحقيق علي بن حسن وعبد العزيز بن إبراهيم وحمدان بن محمد، دار العاصمة- السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٩٩، الجزء الأول، ص ٣٤٤.

لكان أقرب فإنه من المشهور في أخبار اليونان أهل مقدونية وغيرها أنهم كانوا مشركين يعبدون الأصنام والكواكب وهؤلاء الفلاسفة يسمون الكواكب الآلهة الصغرى والأرباب وفي كتاب لسقراط والنواميس"(١).

وعلى غرار المؤرخين والجغرافيين، يربط بين مقدونية والإسكندر دون أن يتجاوز المستوى الديني حيث أورد في سياق حديثه عن أرسطو "كان وزير الإسكندر بن فيلبس المقدوني - نسبة إلى مقدونية - وهي جزيرة هؤلاء الفلاسفة اليونانيين الذين يسمون المشائين وهي اليوم خراب أو غمرها الماء وهو الذي يؤرخ له النصارى واليهود التاريخ الرومي وكان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة فيظن من يعظم هؤلاء الفلاسفة أنه كان وزيرا لذي القرنين المذكور في القرآن ليعظم بذلك قدره وهذا جهل؛ فإن ذا القرنين كان قبل هذا بمدة طويلة جدا وذو القرنين بنى سد يأجوج ومأجوج وهذا المقدوني ذهب إلى بلاد فارس ولم يصل إلى بلاد الصين؛ فضلا عن السد."(٢)

يبدو واضحا الطبيعة السجالية لما أورده ابن تيمية حول مقدونية، بيد أنه وبغض النظر عن هذا السجال، والأغراض الأيديولوجية لهذه النصوص، فإنها تحيل على مناخ ديني متعدد ومتنوع في مقدونية، يمزج بين عدد من المعتقدات الدينية.

ويحضر هذا الربط بين الفلسفة والحكمة ومقدونية والأديان الأخرى في عدد من النصوص المختلفة لمؤلفين آخرين عدا ابن تيمية، فالعمري يشير إلى أن مقدونية مدينة الحكماء، وهي "وقف على الكنيسة العظمى التي لهم المسماة بالأوصفية، وبلاد مقدونية هي الإسكندرية، وما هي مضاف إليها، وكان ذلك في قديم الزمان مصر كلها بأسرها

(١)- تقي الدين ابن تيمية، "بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية"، تحقيق يحيى بن محمد الهنيدي وآخرون، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة-السعودية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥، الجزء ٢، ص ٦٦.

(٢)- ابن تيمية، مجموع الفتاوى .. مرجع سابق، الجزء ١٧، ص ٣٣٢.

إلا الصعيد الأعلى، وعلى هذا جاء الفتوح في صدر الإسلام"[1]، ولا تخرج هذه الإشارة لمسيحية مقدونية عن السياق السجالي المذكور سابقا.

صفوة القول، تشير نصوص هذا القرن إلى تحول طرأ على تمثل مقدونية في المصادر الإسلامية، وارتباطها بالنقاشات والسجالات الداخلية أكثر من الخارجية، وهو ما يستحق دراسة متأنية وعميقة للمخيال والذاكرة الإسلامية وحضورها فيه.

المحور السابع: القرن التاسع الهجري

يلاحظ أن القرن التاسع الهجري، هو الأكثر وفرة من حيث النصوص حول مقدونية، والتي تنوعت واختلفت، وإن ظلت منحصرة في التحديدات الثلاثة (جغرافية، تاريخية، أنثربولوجية)، والملاحظ أيضا أن هذه الفترة، عرفت وضع وتأسيس "السردية الخلدونية" التي ستصبح مرجعا فيما بعد، كما تناولتها أيضا السردية المقريزية. أما الإشارات والتحديدات الواردة في هذه النصوص، فبتجمعيها نحصل على الآتي:

أولا: إشارات تاريخية

أوردت النصوص التاريخية للقرن التاسع الهجري إشارات تاريخية غير مسبوقة، وارتبطت بأحداث كثيرة، لم تنقلها عن المصادر السابقة (المعروفة على الأقل)، وبالتالي يمكن القول أن هذه الفترة تشكل مرحلة تأسيس سردية تاريخية مقدونية، دون أن توطنها جغرافيا على الأقل.

وباستقراء هذه السردية يمكن أن نجدها تتكون من الآتي:

١- **نصوص تاريخية معروفة:**

تطرقت إلى قصة الإسكندر المقدوني، على غرار المصادر السابقة، وتظهر بالخصوص في النصوص الخامس والسادس عشر والثاني والعشرون، مع بعض التفصيلات الإضافية، من ذلك مثلا ما أورد المقريزي من أنه قد "قال ابن خالويه: في

(١)- ابن فضل الله العمري، مرجع سابق، ج.٣، ص ٤٠١.

كتاب ليس أحد: فسر لنا لم سميت مصر مقدونية قديما إلا في اللسان العبراني، قال: مقدونية مغيث وإنما سميت مصر لما سكنها بنصر بن حام"[1].

٢- **نصوص منقولة من نصوص دينية:**

والمقصود هنا سفر المكابيين التي أوردها بالخصوص ابن خلدون في تاريخه، حيث أشار في النص الثالث إلى سيطرة أنطوخيوس صاحب مقدونية على مصر، وامتناع اليهود عنه، واستغرق فصولا طويلة في تفصيل صراع انطوخيوس مع اليهود وهزيمته، وهي معطيات لم يتم العثور عليها في مصادر سابقة، لكن بالمقارنة تبين أن مصدرها هو سفر المكابيين[2].

٣- **نصوص جديدة:**

وهي نصوص تتضمن أحداثا ووقائع جديدة لم ترد في مصادر سابقة، إذ أشار ابن خلدون في تاريخه إلى قصة كيساوس المقدوني[3]، وقصة هروب أرطحشاشت من بلاد مصر إلى مقدونية[4]، وأشار في نص أخر إلى حرب فلو ماط وتحالفه مع النوبيين، ضد الروم، وتمكن الأخيرين من أسره ودخول مقدونية، وهجوم الترك على مقدونية وانهزامهم أمام الروم، ويمكن اعتباره الظهور الأول للترك على مسرح الأحداث في المصادر التاريخية[5].

وأشار في نصوص أخرى إلى تغلب القوط على مقدونية وبلاد الغريقيين، ونجاح غلينوش في دفعهم عن بلاده[6]

ثانيا: إشارات جغرافية

اختلفت المصادر في تحديد الموقع الجغرافي لمقدونية، وانتمائها، وقد تباينت مواقف المؤرخين والجغرافيين، إلى أربع اتجاهات أو آراء، جعل الأول منهم مقدونية

(١)-تقي الدين المقريزي، "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"، الحواشي خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٨، الجزء ١، ص ٤٢.

(٢)- ابن خلدون، مرجع سابق، ج.٢، صص ١٣٨-١٣٩.

(٣)- نفسه، ج.٢، صص١٤٩-١٥٠.

(٤)- نفسه، ج.٢، ص ١٩٧.

(٥)- نفسه، ج.٢، صص ٢٢٣-٢٢٧.

(٦)- نفسه، ج٢، ص ٢٤٧. القلقشندي، صبح الأعشى .. مرجع سابق، ج.٥، ص ٣٦٩.

ضمن بلاد الروم، والثاني جعلها من بلاد اليونان، والثالث من بلاد مصر، والرابع من بلاد مصر واليونان.

وردت مقدونية مقترنة ببلاد الروم في عدد من النصوص، حيث أشار ابن خلدون إلى أن "مقدونية من بلاد الروم"(١)، وأورد في نص آخر أن "أنطريطش ملك مقدونية وإسكندرية وهو ملك الروم الأعظم"(٢)، بينما أشار في نص آخر إلى أن "مقدونية من بلاد الروم القديمة"(٣)

اقترنت مقدونية كذلك ببلاد اليونان في عدد من النصوص، حيث أشار ابن خلدون بلاد "مقدونية التي كانت لليونانيين ومنها ابتداء ملكهم"(٤)، وهو ما يشير إليه في نصوص أخرى(٥)، بل يدمج في أحد نصوصه بين الإغريق واليونان ومقدونية او او الأكندر المقدوني، حيث "اختص الغريقيون باسم اليونانيين، وكان منهم الإسكندر المشهور الذكر أحد ملوك العالم ... وكان ملوكهم يعرفون بملوك مقدونية"(٦).

وستقترن مصر بمقدونية في عدد من النصوص، إذ يشير السيوطي إلى أنه "يسمي اليونان بلد مصر مقدونية"(٧)، وكذلك ابن خلدون يربط بين الإسكندرية ومصر، ويجعل تلماي ملك مصر "من أهل مقدونية"(٨)، ويشير المقريزي إلى "مصر

(١)- ابن خلدون، مرجع سابق، ج.١، ص ٧٠٩.
(٢)- نفسه، ج.٢، ص٢٣٤.
(٣)- القلقشندي، صبح الأعشى .. مرجع سابق، ج.٣، ص ٤٧٦.
(٤)- ابن خلدون، مرجع سابق، ج. ١، ص ٩٣.
(٥)- نفسه، ج.٢، ص ١٩٣.
(٦)- نفسه، ج.٢، صص ٢٢٠-٢٢١.
(٧)- جلال الدين السيوطي، "حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة"، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية وعيسى البابي وشركاه-مصر، الطبعة الأولى، ١٩٦٧، الجزء الأول، ص ٢٥.
(٨)- ابن خلدون، مرجع سابق، صص ١٣٨-١٣٩.

فهي مقدونية"[1]، كما يعيد نفس الرواية في موضع آخر من كتابه[2]، ويشير الحميري إلى إلى أن "مقدونية: اسم قديم لمصر قبل أن ينزلها مصر بن هرمس، وإليها ينسب الإسكندر، فيقال المقدوني"[3]. ويحدد المقريزي مصر المقصودة في النص على أنها "مصر كلها بأسرها إلا الصعيد الأعلى"[4]

ثالثا: إشارات أنثربولوجية

يشير ابن خلدون إلى أن "أرسطو المقدوني من أهل مقدونية من بلاد الروم من تلاميذ أفلاطون وهو معلم الإسكندر ويسمونه المعلم الأول على الإطلاق يعنون معلم صناعة المنطق إذ لم تكن قبله مهذبة وهو أول من رتب قانونها واستوفى مسائلها وأحسن بسطها ولقد أحسن في ذلك القانون ما شاء لو تكفل له بقصدهم في الإلهيات ثم كان من بعده في الإسلام من أخذ بتلك المذاهب واتبع فيها رأيه حذو النعل بالنعل إلا في القليل"[5]

يعتبر هذا النص بالغ الأهمية فهو يؤشر على ارتباط مقدونية في النصوص - وبالتالي في المخيال الإسلامي ككل- بعلوم المنطق، ولعل هذا ما يفسر وضعها على طرف نقيض من الرؤية الفقهية، وحضورها في عدد من السجالات الفقهية والفلسفية، حيث كان تؤكد عدد من النصوص على أن مشيد مدينة مقدونية كان محبا للحكمة، ولكنها تختلف في اسم المشيد، فمرة تجعله بطليموس ومرة أخرى تلماي،

(١)- المقريزي، مرجع سابق، ج.١، ص٣٦.

(٢)- نفسه، ج.٤، ص ٣٨٩.

(٣)- الحميري، مرجع سابق، ص٥٥٧.

(٤)- المقريزي، مرجع سابق، ج.١، ص ٤٢.

(٥)- ابن خلدون، مرجع سابق، ج.١، ص ٧٠٩.

لكن ما يهم في هذا الصدد أنها تجعل تشييدها مقترنا بعلوم المنطق والحكمة والمعرفة، مع الإشارة إلى بطليموس الذي عمل على إحضار اليهود لترجمة التوراة.(1)

خلاصة القول، إذا كان القرن الثامن هو قرن تشكل السردية الثقافية أو الانثربولوجية لمقدونية، حيث وضعت على الطرف النقيض للرؤية الفقهية، وارتبطت بالمنطق والشرك والوثنية والتعددية، فإن القرن التاسع هو تاريخ تشكل السردية التاريخية، حيث حضرت النصوص التاريخية والإشارات التاريخية بشكل لافت، بينما غابت أي تحديدات جغرافية يمكن أن تحدد موقع مقدونية، أو تفصل فيه، وإن كانت المعطيات المتوفرة تدفع نحو القول بارتباطها بمصر أكثر من أي موقع آخر.

المحور الثامن: القرن الحادي عشر الهجري

١- الملاحظ أن الإشارة إلى مقدونية لم ترد في نصوص القرن العاشر، بينما وردت مرة واحدة في نصوص مصادر القرن الحادي عشر الهجري وقد ورد مقترنا بالحديث عن التأريخ ويشير صاحب طبقات الفحول إلى أن التأريخ "الرومي: ويقال له الإسكندري، لأن الروم أرخوا من خروج إسكندر اليوناني من بلاد مقدونية. واليونانيون أرخوا من وفاته بشهرزور"(2)، ويعتبر هذا النص بالغ الأهمية إذ دمج بين مصر والروم واليونان والتقويم ومقدونية، وهو ما يطرح عددا من علامات الاستفهام.

(١)- نفسه، ج.٢، صص ٢٢٠- ٢٢٧. القلقشندي، صبح الأعشى... مرجع سابق، ج٥، صص ٣٥٩-٣٦٠.

(٢)- حاجي خليفة، سلم الوصول... مرجع سابق، ج.١، ٨.

الفصل الثامن:

الجزيرة الخضراء في المصادر العربية الإسلامية خلال العصر الوسيط

إذا ما تأملنا السردية الجغرافية القائمة، فمما لا شك فيه أن الجزيرة الخضراء يمكن اعتبارها من أهم المواقع الاستراتيجية في تاريخ الأندلس والعالم الإسلامي، إذ أنها –حسب السردية القائمة دوما– لعبت دورا حاسما في الفتح الإسلامي للأندلس، وفي الصراع بين المسلمين والنصارى، لهذا حظيت هذه الجزيرة باهتمام كبير من قبل المؤرخين والجغرافيين والرحالة المسلمين، الذين أشاروا إليها في كتبهم ومؤلفاتهم، ووصفوا موقعها الجغرافي وأهميتها التاريخية والثقافية.

وقد تنوعت المصادر العربية الإسلامية التي تناولت تاريخ الجزيرة الخضراء، حيث قدمت معلومات قيمة عن الأحداث التي شهدتها الجزيرة، وعن الشخصيات التي عاشت فيها، وعن الحياة الاجتماعية والثقافية التي عرفتها، لكن في مقابل هذا الحضور التاريخي الطاغي، تكاد تغيب المعلومات الجغرافية عنها باستثناء بعض النتف المصدرية، وهي غير كافية لتكوين صورة جغرافية واضحة عن الجزيرة الخضراء، خاصة أن هذا الاسم لا يقتصر على بلاد الأندلس، بل أشارت المصادر إلى أن الجزيرة الخضراء موضع ببلاد الزنج، وهو ما يجعل السؤال مطروحا كيف يمكن التمييز بين الجزيرتين.

من هنا إذا، جاء هذا الفصل بهدف تسليط الضوء على الجزيرة الخضراء في المصادر العربية الإسلامية خلال العصر الوسيط، وذلك من خلال تتبع الإشارات التي وردت عنها في هذه المصادر، وتحليلها وتفسيرها، واستخلاص أهم المعلومات منها.

المحور الأول: الجزيرة الخضراء في نصوص القرن الثالث الهجري

تكاد تنعدم الإشارات إلى الجزيرة الخضراء خلال القرن الثالث الهجري، باستثناء ما ورد في قلائد العقيان عن الراضي بالله أبو خالد يزيد بن محمد الذي "ولاة

أبوه الجزيرة الخضراء، وضم إليها رندة الغراء"[1]، ويفهم من هذا أن رندة من أعمال الجزيرة الخضراء.

المحور الثاني: الجزيرة الخضراء في نصوص القرن الرابع الهجري

وردت الإشارة إلى الجزيرة الخضراء في عدة نصوص في القرن الرابع الهجري، وقد ارتبطت في كل هذه النصوص ببلاد الأندلس، حيث ورد ذكرها ضمن قائمة بأسماء لمدن وكور الأندلس، كما ورد عند ... " الأندلس ثماني عشرة كورة فعد بجانة مالقة بلنسية تدمير سرقوسة يابسة وادي الحجارة تطيلة وشقة مدينة سالم طليطلة إشبيلية بطليوث باجة قرطبة شذونة الجزيرة الخضراء"[2]

وتفيد الإشارات المصدرية أن الجزيرة الخضراء كانت قريبة من سبتة، حيث توحي الإشارات المصدرية إلى انهما كانتا منطقتين متقابلتين، ويذهب ابن حوقل إلى أن يجعل من جبل طارق مدينة محاذية لسبتة وهو أيضا الجزيرة الخضراء، حيث أورد ما نصه: " وبمدينة سبتة المحاذية من الأندلس لمدينة جبل طارق وهى المعروفة بالجزيرة [الخضراء]"[3]، لكن لا يمكن الاعتماد على هذا المعطى لكون الكاتب يعترف أنه نقل ما سمعه فقط دون كثير تمحيص.

على المستوى الطبيعي، فقد أشارت عدد من النصوص إلى أن الجزيرة الخضراء قليل الجوهر، وأن المرجان الموجود في مرسى الخرز أفضل منه، وهذه الإشارة مهمة إذ أنها تشير إلى أنه من روافد اقتصاد المنطقة المهمة ما يجعلها منطقة ذات أهمية تجارية نظرا لأهمية المرجان التي يؤكد عليها ... عندما يقول: " ومرسى الخرز أيضا قرية غير أنها نبيلة لمكان المرجان"[4]

(١)- أبو نصر الفتح بن خاقان، "قلائد العقيان في محاسن الرؤساء والقضاة والكتاب والأدباء والأعيان"، المطبعة الأميرية- بولاق، سنة ١٨٦٦، ص ٣١.

(٢)- المقدسي البشاري، مرجع سابق، ص ٢٣٥.

(٣)- ابن حوقل، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ٧٥.

(٤)- نفسه.

وفي نفس السياق أشارت بعض النصوص إلى أنه كان لسلطان المغرب أمناء في الجزيرة الخضراء على ما يخرج من معدن المرجان[1]، مما يشير إلى أهمية هذا المورد للسلطان، وللمنطقة ككل.

ويبدو أن أهميتها الاقتصادية انعكست على التنظيم الإداري، حيث أشارت المصادر إلى أنه كان للسلطان ناظر في الجزيرة الخضراء، مما يدل على أنها كانت منطقة ذات إدارة منظمة.

وصفوة القول أنه رغم قلة المعلومات الواردة في النص عن الجزيرة الخضراء في القرن الرابع الهجري، إلا أن ورود ذكرها ضمن قائمة بأسماء لمدن وكور الأندلس، وأهميتها كمصدر للمرجان، وتعيين السلطان لناظر وأمناء بها، كل ذلك يدل على أنها كانت ذات مكانة مهمة في ذلك الوقت.

المحور الثالث: الجزيرة الخضراء في نصوص القرن الخامس الهجري

تحفل نصوص القرن الخامس الهجري بعدد كبير من المعطيات، لكن أغلبها تركز على المعطيات التاريخية والسياسية والعسكري، بينما تنذر المعطيات الجغرافية، باستثناء ما ورد من أنها منطقة جبلية، كما يستشف ذلك من النصوص التي أشارت لعدد من الثورات والغارات كثورة حبيب البرنسي "بجبال الجزيرة الخضراء، واجتمع له خلق من أهل الفساد في الأرض، فشن بهم الغارة على قرى رية وغيرها، فأشاع الأذى، ونهب وقتل وسبى"[2]

ويشير ابن حزم إلى أنه بين سبتة وطنجة من جهة والجزيرة الخضراء من الجهة الأخرى "المجاز المعروف بالزقاق، وسعة البحر هناك اثنا عشر ميلا"[3].

(١)-ابن حوقل، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ٧٥.

(٢)- ابن حيان القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ص١٤٨.

(٣)- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة ٢، ١٩٨٧، ص١٩٨.

ويبدو من خلال المصادر المطلع عليها أن أغلب الإشارات ركزت على الثورات والصراعات على السلطة، التي شهدتها المنطقة على مدار قرون، وهو قد يؤشر على حالة الاستقرار اللاسياسي التي عرفتها المنطقة، كما يؤشر على الارتباط بين الجزيرة الخضراء وسبتة وطنجة، ومما نقلته المصادر في هذا السياق، ثورة علي بن حمود والي سبتة وطنجة على الحكم المراوني وقتله لسليمان بن الحكم واستيلاءه على الجزيرة الخضراء[1]، ثم تولى القاسم بن حمود الأخ الأكبر لعلي، حكم الجزيرة الخضراء بعد مقتل سليمان بن الحكم.

ويبدو أن الجزيرة الخضراء كانت أحد أهداف الثوار والمعارضين، كما ان البربر كانوا يجولون فيها ويعيثون فيها فسادا كما يشير لذلك ابن حزم في رسائله، عندما "قام سليمان بن الحكم كما ذكرنا يوم الجمعة لست خلون من شوال سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وتلقب بالمستعين بالله، ثم دخل قرطبة كما ذكرنا في ربيع الآخر سنة أربعمائة، وتلقب حينئذ بالظافر بحول الله مضافا إلى المستعين، ثم خرج عنها في شوال سنة أربعمائة فلم يزل يجول بعساكر البربر في بلاد الأندلس، يفسد وينهب ويقفر المدائن والقرى بالسيف والغارة، لا تبقي البربر معه على صغير ولا كبير ولا امرأة"[2] وتشير النصوص إلى أنهم كانوا قوة أساسية في المنطقة

في مقابل الاضطراب السياسي يبدو أن المنطقة عرفت حركة ثقافية نشطة، كما يؤشر لذلك عدد الاعلام الذين أوردتهم المصادر، والذين تنوعت أعراقهم وأصولهم، من قبيل سعيد بن عثمان ويحيى بن أبي صرمة، والقاسم بن حمود وغيرهم كثير.

كما تؤشر الإشارات المصدرية إلى أن هذه المنطقة عرفت انعقاد مجالس للعلم، بشكل مستمر كمجلس محمد بن أبي عامر الذي كان ينعقد أسبوعيا لمناقشة العلوم المختلفة.

(١)-رسائل ابن حزم الأندلسي، ص ١١١.

(٢)- نفسه، ص ١٩٨.

المحور الرابع: الجزيرة الخضراء القرن السادس الهجري

تميزت الإشارات الجزيرة الخضراء في القرن السادس الهجري بالإشارة إلى موقعها الاستراتيجي الهام مع ربطها بالأندلس دوما، حيث اعتبرت بوابة الأندلس ومفتاح الدخول إليها من المغرب، كما ورد في سراج الملوك عندما "عبر طارق مولى موسى بن نصير إلى بلاد الأندلس ليفتحها، وموسى إذ ذاك بأفريقية، خرجوا في الجزيرة الخضراء وتحصنوا في الجبل الذي يسمى اليوم جبل طارق، وهم في ألف وتسعمائة رجل"(١). وجاء عند ابن بسام أن "الجزيرة الخضراء فرضة المجاز من الأندلس إلى أرض العدوة التي كان منها فتحها ومن قبلها ما أتاها على قدم الدهر"(٢).

ويقدم الشريف الإدريسي في نزهة المشتاق معطيات هامة فبعد أن أشار إلى أن "طول الزقاق من جزيرة طريف إلى الجزيرة الخضراء أيضا ثمانية عشر ميلا"(٣) أورد أيضا أن "طول هذا المجاز المسمى بالزقاق اثنا عشر ميلا وعلى طرفه من جهة المشرق المدينة المسماة بالجزيرة الخضراء وعلى طرفه من ناحية المغرب المدينة المسماة بجزيرة طريف ويقابل جزيرة طريف في الضفة الثانية من البحر مرسى القصر المنسوب لمصمودة ويقابل الجزيرة الخضراء في تلك العدوة مدينة سبتة وعرض البحر بين سبتة والجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلا وعرض البحر بين جزيرة طريف وقصر مصمودة اثنا عشر ميلا وهذا البحر في كل يوم وليلة يجزر مرتين ويمتلئ مرتين فعلا دائما ذلك تقدير العزيز الحكيم"(٤).

ثم يورد في تص آخر أثناء حديثه عن الأندلس "المسماة إشبانية أقاليم عدة ورساتيق جملة وفي كل إقليم منها عدة مدن نريد أن نأتي بذكرها مدينة مدينة بحول الله

(١)- أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري الطرطوشي، سراج الملوك، من أوائل المطبوعات العربية، مصر، ١٨٧٢، ص١٧٨.
(٢)- ابن بسام، الذخيرة ...، م.س، ج.٣، ص ٣٧.
(٣)- الادريسي، م.س، ج١، ص ١٠.
(٤)- الادريسي، نفسه، ج ٢، ص ٥٢٧.

تعالى ولنبدأ الآن منها بإقليم البحيرة وهو إقليم مبدؤه من البحر المظلم ويمر مع البحر الشامي وفيه من البلاد جزيرة طريف والجزيرة الخضراء وجزيرة قادس وحصن اركش وبكة وشريش وطشانة ومدينة ابن السليم وحصون كثيرة كالمدن عامرة سنأتي بها في موضعها"(١)، ويضيف "فأما جزيرة طريف فهي على البحر الشامي في آخر المجاز المسمى بالزقاق ويتصل غربيها ببحر الظلمة وهي مدينة صغيرة عليها سور تراب ويشقها نهر صغير وبها أسواق وفنادق وحمامات وأمامها جزيرتان صغيرتان تسمى إحداهما القنتير وهما على مقربة من البر ومن جزيرة طريف إلى الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلا تخرج من الجزيرة إلى وادي النساء وهو نهر جار ومنه إلى الجزيرة الخضراء"(٢).

ويحدد الإدريسي علاقة الجزيرة الخضراء بعدد من المواقع فبينها وبين أحد الجبال "وبين هذا الجبل والجزيرة الخضراء ستة أميال وهو جبل منقطع عن الجبال مستدير في أسفله من ناحية البحر كهوف وفيها مياه قاطرة جارية وبمقربة منه مرسى يعرف بمرسى الشجرة ومن الجزيرة الخضراء إلى مدينة إشبيلية خمسة أيام وكذلك من الجزيرة الخضراء إلى مدينة مالقة خمس مراحل خفاف وهي مائة ميل وكذلك من الجزيرة الخضراء إلى مدينة إشبيلية طريقان طريق في الماء وطريق في البر.

فأما طريق الماء فمن الجزيرة الخضراء إلى الرمال في البحر إلى موقع نهر برباط ثمانية وعشرون ميلا"(٣).

ثم يورد في نص آخر "ومن مالقة إلى الجزيرة الخضراء مائة ميل ومن مالقة إلى إشبيلية خمس مراحل ومن مالقة إلى مربلة في طريق الجزيرة أربعون ميلا"(٤).

(١)-الادريسي، نفسه ، ص ٥٣٦.
(٢)- نفسه، ص ٥٣٩.
(٣)- نفسه، ص ٥٤٠.
(٤)- نفسه، ص ٥٧٠.

واعتبرت الجزيرة الخضراء في عدد من المصادر الجغرافية بالخصوص أنها مكان التقاء البحر المحيط (الأطلسي) وبحر الروم، وهي على بعد مرحلة واحدة من مرسى الخرز الذي يشتهر باستخراج المرجان، تقابلها مدينة سبتة، ويبدو أن المرجان كان مصدر شهرة الجزيرة التجارية حيث كان التجار يأتون إليها لهذا الغرض.

وتشير الإشارات التاريخية إلى أن الجزيرة لعبت دورا أساسيا في الفتح الإسلامي للأندلس بقيادة طارق بن زياد، حيث كانت نقطة انطلاق المسلمين نحو الداخل، كما شهدت أحداثا سياسية مهمة مثل الصراع بين بني أمية وبني حمود، وتدخل الموحدين في شؤون الأندلس عندما كان "جوار عسكر الموحدين وأعزهم الله إلى الجزيرة الخضراء في عام تسعة وثلاثين وخمسمائة، وكان النصارى وقفهم الله قد استجاش بهم ابن غانية ودخل بهم قرطبة، وغلبوا عليها وأدخلوا دوابهم في جامعها المعظم، ومزقت أيدي الكفار به مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه"[1].

ويبدو أن الجزيرة الخضراء قد عرفت حراكا ثقافيا مهما، حيث ظهرت العديد من الشخصيات البارزة في مجالات مختلفة، مثل القضاة والفقهاء والعلماء والأدباء والشعراء، مما يدل على أهميتها كمركز ثقافي وعلمي، ومنهم "عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن أحمد الكتامي، يعرف: بابن العجوز: من أهل سبتة، أبا القاسم. روى عن أبيه وحجاج بن المأموني وغيرهما، وكان يميل إلى الحجة والنظر. وولي قضاء الجزيرة الخضراء مدة ثم سلا"[2]. وكذلك "محمد بن أبي عامر أبو عامر: أمير

(١)- أبو جعفر الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٤٥.

(٢) - أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، عني بنشره وصححه وراجع أصله: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، ١٩٥٥، ص٣٣٨.

الأندلس في دولة هشام المؤيد كان أصله فيما يقال من الجزيرة الخضراء وله بها قدر وأبوة وورد شابا إلى قرطبة فطلب العلم والأدب وسمع الحديث وتميز في ذلك"(1)

وقد طرح عدد من اللغويين إشكاليات الجزيرة واختلافها عن بعض المناطق، ومن ذلك ما ورد في كتاب الأماكن في "باب الجزيرة والحريرة والخريزة وحويزة

أما الأول: - بعد الجيم المفتوحة زاي، وبعد الياء راء -: الصقع المشهور بين دجلة والفرات، فيها ديار ربيعة وبكر، وينسب إلى بلادها بشر كثير من العلماء، ولهم تواريخ، والنسبة إليها جزري.

والجزيرة الخضراء من الأندلس في الغرب، والنسبة إليها جزيري على خلاف القياس، وممن ينسب إليها أبو زيد عبد الرحمن بن سعيد التميمي الجزيري، أندلسي يروي عن أصبغ بن الفرج وغيره، مات سنة خمس وستين ومئتين"(2)، ويبدو أن هذا الأمر كان مطروحا في المصادر الإسلامية فقد أشار السمعاني إلى أن "الجزيري: بفتح الجيم وكسر الزاي وسكون الياء المنقوطة بنقطتين من تحتها وفي آخرها الراء، هذه النسبة إلى الجزيرة الخضراء بالأندلس من ديار المغرب والنسبة الصحيحة إلى الجزيرة جزرى ... والمشهور بهذه النسبة الوزير أبو مروان عبد الملك بن إدريس المعروف بابن الجزيري من الجزيرة الخضراء بالأندلس له بلاغة وشعر وعبد الرحمن ابن سعيد الجزيري أبو زيد التميمي، أندلسى، روى عن أصبغ بن الفرج وأبى زيد بن أبى الغمر، مات سنة خمس وستين ومائتين"(3)

---

(1)- الضبي، م.س، ص115

(2)- أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، الأماكن، ما اتفق لفظه وافترق مسماه، تحقيق حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، صص 230-231.

(3)- عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، الأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، بيروت –لبنان، ج 3، ص 273.

ووردت الإشارة إلى الجزيرة الخضراء في تقويم اللسان حيث جاء فيها: "ويقولون: رجل (جزيري) إذا نسبوه إلى الجزيرة الخضراء وما شاكلها. والصواب: جزري"(١).

ارتبطت الجزيرة الخضراء في كتب التفسير بقصة الخضر، حيث أشارت عدد من كتب التفسير إلى أن الجزيرة الخضراء كانت هي القرية التي مر بها موسى والخضر(٢)، حيث أورد ابن عطية "واختلف الناس في «القرية» : فقال محمد بن سيرين هي الأبلة. وهي أبخل قرية وأبعدها من السماء، وقالت فرقة هي أنطاكية، وقالت فرقة هي برقة، وقالت فرقة هي بجزيرة الأندلس، روي ذلك عن أبي هريرة وغيره، ويذكر أنها الجزيرة الخضراء"(٣).

ويبدو أن الجزيرة الخضراء ارتبطت بعدد من القصص ذات الطبيعة الأسطورية، ومن ذلك ما جاء في البستان الجامع عن رجل اصطاد "بالجزيرة الخضراء من أعمال الأندلس جارية من البحر، وربط يديها ونكحها، فحملت منه، فجاءت ببنت لم ير أحسن منها، فحل رباطها من محبته للبنت، وأراد أن يعدي إلى سبتة لأنه من أهلها، فركب في مركب واستصحب الجارية وابنتها منه في حجرها، فغافلته ورمت بروحها إلى البحر والبنت معها، فحزن عليها حزنا شديدا.

فلما كان بعد ثلاثة أيام وهو في المركب ظهرت الجارية وفي يدها صدفة مطبقة، فرمت بها إليها، وودعته بإصبعها، وكان ذلك آخر العهد بها"(٤)، ولا يسع المجال

---

(١) – ابن هشام اللخمي، المدخل إلى تقويم اللسان، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣، ص٣٤٠.

(٢)– أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية –بيروت، الطبعة الأولى، ج ٣، ص ٥٢٨.

(٣)– نفسه، ص ٥٣٣.

(٤)– عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد الأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص٢٧٩.

للتفصيل في الخلفيات الرمزية لهذه القصة، لكنها تحيل على حضور الجزيرة الخضراء في المتخيل الإسلامي عموما.

المحور الخامس: الجزيرة الخضراء في نصوص القرن السابع الهجري

خلال القرن السابع الهجري، جرت أول إشارة إلى أن الجزيرة الخضراء توجد أيضا ببلاد الزنج، وذلك عند ياقوت الحموي في معجمه[1] دون أن يورد تفاصيل أخرى. وكذلك الامر في التكملة والذيل، الذي جاء فيه "والجزيرة الخضراء، بالأندلس؛ وببلاد الزنج، أيضا"[2]

ويبدو من خلال النصوص المطلع عليها، أن الجزيرة الخضراء كانت ذات موقع استراتيجي إذ وجد بها ميناء بحري نشط، كانت تصل إليه المراكب التجارية من مختلف المناطق، كما كانت بها دار صناعة للسفن والأساطيل. ويقدم الحموي إشارات مهمة، إذ أورد في معجمه أثناء الحديث عن البحر المتوسط "فالركن الأول هو في هذا الموضع الذي فيه صنم قادس، وعنده مخرج البحر المتوسط الذي يمتد إلى الشام وذلك من قبلي الأندلس، والركن الثاني شرقي الأندلس بين مدينة أربونة ومدينة برديل، وهي اليوم بأيدي الإفرنج بإزاء جزيرتي ميورقة ومنورقة المجاورة من البحرين المحيط والمتوسط، ومدينة أربونة تقابل البحر المتوسط، ومدينة برديل تقابل البحر المحيط، والركن الثالث هو ما بين الجوف والغرب من حيز جليقية حيث الجبل الموفي على البحر وفيه الصنم العالي المشبه بصنم قادس، وهو البلد الطالع على برباط، فالضلع الأول منها أوله حيث مخرج البحر المتوسط الشامي من البحر المحيط، وهو أول الزقاق في موضع يعرف بجزيرة طريف من بر الأندلس يقابل قصر مصمودة بإزاء سلا في

(١)- الحموي، م.س، ج ٢، ص ١٣٦.

(٢)- الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق إبراهيم إسماعيل الأبياري، راجعه محمد خلف الله أحمد، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧١، ج ٢، ص ٤٩٨.

الغرب الأقصى من البر المتصل بأفريقية وديار مصر، وعرض الزقاق ههنا اثنا عشر ميلا ثم تمر في القبلة إلى الجزيرة الخضراء من بر الأندلس المقابلة لمدينة سبتة، وعرض الزقاق ههنا ثمانية عشر ميلا وطوله في هذه المسافة التي ما بين جزيرة طريف وقصر مصمودة إلى المسافة التي ما بين الجزيرة الخضراء وسبتة نحو العشرين ميلا، ومن ههنا يتسع البحر الشامي إلى جهة المشرق ثم يمر من الجزيرة الخضراء إلى مدينة مالقة إلى حصن المنكب إلى مدينة المرية إلى قرطاجنة الخلفاء حتى تنتهي إلى جبل قاعون الموفي على مدينة دانية"(1).

كما يشير إلى مدينة "البارة: بليدة وكورة من نواحي حلب، وبها حصن، وهي ذات بساتين ويسمونها زاوية البارة. والبارة أيضا: إقليم من أعمال الجزيرة الخضراء بالأندلس فيه جبال شامخة، وثارت من أهله فتن قديما وحديثا، وهو بلد ثمر لا بلد زرع"(2)، ولعل الإشارة المهمة هنا انها بلدة ثمار لا بلدة زرع، وهو ما يؤشر على طبيعة مناخها الي قد يميل إلى الاستواء أو البرودة.

وفي نص طويل له يورد الحموي عددا من المعطيات التي يجب التوقف عندها، إذ جاء في معجمه عن الجزيرة الخضراء أنها: "مدينة مشهورة بالأندلس، وقبالتها من البر بلاد البربر سبتة، وأعمالها متصلة بأعمال شذونة، وهي شرقي شذونة وقبلي قرطبة، ومدينتها من أشرف المدن وأطيبها أرضا، وسورها يضرب به ماء البحر، ولا يحيط بها البحر كما تكون الجزائر، لكنها متصلة ببر الأندلس لا حائل من الماء دونها كذا أخبرني جماعة ممن شاهدها من أهلها، ولعلها سميت بالجزيرة لمعنى آخر على أنه قد قال الأزهري: إن الجزيرة في كلام العرب أرض في البحر يفرج عنها ماء البحر فتبدو، وكذلك الأرض التي يعلوها السيل ويحدق بها ومرساها من أجود المراسي للجواز وأقربها من البحر الأعظم، بينهما ثمانية عشر ميلا، وبين الجزيرة الخضراء وقرطبة خمسة

(1)- الحموي، م.س، ج ١، ص ٢٦٣.
(2)- نفسه، ص ٣٢٠.

وخمسون فرسخا، وهي على نهر برباط ونهر لجأ إليه أهل الأندلس في عام محل، والنسبة إليها جزيري وإلى التي قبلها جزري للفرق وقد نسب إليها جماعة من أهل العلم، منهم: أبو زيد عبد الله بن عمر بن سعيد التميمي الجزيري الأندلسي، يروي عن أصبغ بن الفرج وغيره، مات سنة ٣٦٥ وبخط الصوري بزايين معجمتين، ولا يصح كذا قال الحازمي. والجزيرة الخضراء أيضا جزيرة عظيمة بأرض الزنج من بحر الهند، وهي كبيرة عريضة يحيط بها البحر الملح من كل جانب، وفيها مدينتان: اسم إحداهما متنبي واسم الأخرى مكنبلوا، في كل واحدة منهما سلطان لا طاعة له على الآخر، وفيها عدة قرى ورساتيق، ويزعم سلطانهم أنه عربي وأنه من ناقلة الكوفة إليها، حدثني بذلك الشيخ الصالح عبد الملك الحلاوي البصري، وكان قد شاهد ذلك وعرفه، وهو ثقة"[1]

يطرح هذا النص عددا من المعطيات بدءا من أن الجزيرة هو موضع آخر في بلاد الزنج، إضافة إلى التسمية، إذ أن الجزيرة هي كل موضع ينفرج عنه الماء فيظهر البر، ولعل هذا الوصف ينطبق على الجزيرة الخضراء "الأفريقية" الموجودة في منطقة كلوة وممبسة.

ثم يورد عن الزقاق أنه "مجاز البحر بين طنجة، وهي مدينة بالمغرب على البر المتصل بالإسكندرية والجزيرة الخضراء، وهي في جزيرة الأندلس، قال الحميدي: وبينهما اثنا عشر ميلا، وذلك هو المسمى الزقاق، قال محمد بن طرخان بن بلتكين بن بجكم: قال لي الشيخ عفان بن غالب الأزدي السبي سعة البحر هناك ستة وثلاثون ميلا وهي اثنا عشر فرسخا، وهو أعلم به لأن سبتة على البحر المذكور وهي مولده وبها إقامته ومنشؤه، قال محمد بن طرخان: وقال لي أبو عامر العبدري وأبو بكر مكبول بن فتوح الزناتي وأبو محمد عبد الله بن محمد بن محرز الواحدي: قول الحميدي وسعة البحر هناك اثنا عشر ميلا صحيح وهو أضيق موضع فيه، وأوسع موضع فيه نحو

(١)-الحموي، م.س، ج ٢، ص ١٣٦.

ثمانية عشر ميلا، والذي ذكره عفان غلط، وقال الفقيه المرادي المتكلم القيرواني بعد خلاصه من بحر الزقاق ووصوله إلى مدينة سبتة"[1]

ويورد مجموعة من حواضر وقرى ومدن الجزيرة الخضراء، ك"الحاضرة أيضا: اسم قاعدة، أي قصبة كورة جيان من أعمال الأندلس ويقال لها أوربة. والحاضرة أيضا: بليدة من أعمال الجزيرة الخضراء بالأندلس"[2] وحصن محسن[3] ورية وهي "كورة واسعة بالأندلس متصلة بالجزيرة الخضراء"[4] وجزاء الشريط وهي "قرية من أعمال الجزيرة الخضراء"[5]، وصفح بني الهزهاز"[6]، ومقرون[7] ولبطيط[8].

ويشير الحموي إلى أن "قصر كتامة: مدينة بالجزيرة الخضراء من أرض الأندلس، ينسب إليها صديقنا الفقيه الأديب الفتح بن موسى القصري مدرس المدرسة برأس عين وله شعر حسن جيد ونظم المفصل للزمخشري"[9]، وتخالف هذه الإشارة التي أوردها الحموي باقي الإشارات السائدة حول قصر كتامة، ويحتمل أنها من الأخطاء التي عرف بها الحموي في معجمه، وإن كانت إشارته لأحد "أصدقائه" وأنه ينتسب منها تطرح بعض علامات الاستفهام.

وفي ذات السياق أورد الحموي في معجمه مناطقا تقابل الجزيرة الخضراء أو قربها، مثل طنجة وهي "بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء وهو من

(١)-الحموي، م.س، ج ٣، ص ١٤٤.
(٢)- نفسه، ج ٢، ص ٢٠٧.
(٣)- نفسه، ج ٢، ص ٢٦٥.
(٤)- نفسه، ج ٣، ص ١١٦.
(٥)- نفسه، ج ٣، ص ٣٤٠.
(٦)- نفسه، ج ٣، ص ٤١٢.
(٧) - نفسه، ج ٥، ص ١٧٥.
(٨)- نفسه، ج ٥، ص ١٠.
(٩)-نفسه، ج ٤، ص ٣٦٢.

البر الأعظم وبلاد البربر"[1]، و"قصر عبد الكريم: مدينة على ساحل بحر المغرب قرب سبتة مقابل الجزيرة الخضراء من الأندلس"[2].

ويقدم المراكشي في المعجب بعض الإشارات المهمة إذ أورد أثناء حديثه عن الأندلس أن "أقل بلاد الأندلس عرضا المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء، على البحر الجنوبي منها، وعرضها ست وثلاثون درجة، وأكثر مدنها عرضا بعض المدائن التي على ساحلها الشمالي، وعرض ذلك الموضع ثلاث وأربعون درجة.

فتبين بما ذكرنا أن معظم الأندلس في الإقليم الخامس أميل إلى الشمال؛ فلذلك اشتد بردها وطالت مدة الشتاء فيها وعظمت جسوم أهل ذلك الميل وابيضت ألوانهم وكانت أذهانهم إلى الغلظ ما هي، فنبت عن كثير من الحكمة أولي الأمر منها: أولاها في الحد الشمالي: مدينة شلب، ثم مدينة إشبيلية، ثم قرطبة، ثم جيان، ثم أغرناطة، ثم المرية، ثم مرسية، ثم بلنسية، ثم مالقة، وهي على البحر الرومي. فالذي على البحر الأعظم من هذه المدائن: شلب، وإشبيلية، وبينهما قريب من خمس مراحل.

والذي على البحر الرومي: المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء، وهي من أعمال إشبيلية؛ ثم مالقة، وهي مستقلة، ثم المرية، ثم دانية؛ هذه كلها على البحر الرومي"[3].

ويضيف في نص آخر: "فإذا عبرت إلى جزيرة الأندلس من سبتة، كان الذي تنزل به المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء؛ وإذا عبرت من قصر مصمودة وقعت إلى جزيرة طريف؛ فالمدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء هي -في التحقيق- على ساحل البحر الرومي، وجزيرة طريف على ساحل البحر الأعظم؛ وبين الموضعين -أعني الخضراء وطريف- ثمانية عشر ميلا. وفي شرقي الجزيرة الخضراء الجبل المعروف بجبل الفتح،

(١)-الحموي، م.س، ج ٤، ص ٤٣.

(٢)- نفسه، ج ٤، ص ٣٦٠.

(٣)- عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، ص١٤و١٥.

ويسمى أيضا جبل طارق؛ وله طرف خارج في البحر يسمى طرف الفتح؛ وعنده يلتقي البحران بجزيرة الأندلس"[1]. ثم يورد في نص آخر: "وبين حصن منكب هذا وبين مدينة مالقة ثلاث مراحل. وبين مالقة وبين الجزيرة الخضراء ثلاث مراحل للمجد. وبالجزيرة الخضراء، أو بجبل الفتح، يلتقي البحران كما ذكرنا، فالذي على ساحل البحر الرومي من بلاد المسلمين بالأندلس: الجزيرة الخضراء، ومالقة، ومنكب، والمرية، ودانية؛ وبين المرية ودانية نحو من ثماني مراحل؛ ووراء دانية الحصن الذي يسمى بنشكلة؛ وقد تقدم ذكره"[2]

ويشير ابن سعيد المغربي إلى أنه " كما نقول الجزيرة الخضراء. وإنما هي أمام سبتة في بر الأندلس لكن في جهتها جزيرة خضراء عرفت بها. وأمام هذه المدينة في جنوبها جبل الفتح المشهور الذي فتحت منه الأندلس. هكذا يعرفه الناس. واسمه في الكتب جبل طارق. وهو مولى موسى بن نصير فاتح الأندلس. وهذا الجبل يظهر في البحر من سبتة وهو عال في البحر، وفيما بينه وبين الجزيرة الخضراء، الميناء المشهور فيه ترسو مراكب سبتة وغيرها فما للنوء عليها من سبيل"[3].

وعلى غرار النقاش اللغوي الذي أثير في القرون السابقة، يبدو أن الامر استمر خلال القرن السابع الهجري، حيث أورد صاحب اللباب أن "الجزيري بفتح الجيم وكسر الزاي وسكون الياء المثناة من تحتها في آخرها الراء - هذه النسبة إلى الجزيرة الخضراء بالأندلس ينسب إليها الوزير أبو مروان عبد الملك بن إدريس المعروف بابن الجزيري وغيره والنسبة الصحيحة إليها جزري ولكن هكذا ينسب إليها"[4].

(١)-المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين ، ص٢٦٤.
(٢)- نفسه، ص ٢٦٦.
(٣)- ابن سعيد، م.س، ص٣٤ بترقيم الشاملة آليا.
(٤)- ابن الأثير، اللباب ... م.س، ج ١، ص ٢٧٨.

اشارت المصادر لعدد من الأحداث التي عرفتها المنطقة، بدءا من الفتح الإسلامي لها عندما "تكامل أصحاب طارق بالجبل نزل إلى الصحراء، وفتح الجزيرة الخضراء، فأصاب بها عجوزا، فقالت له: إني كان لي زوج، وكان عالما بالحوادث، وكان يحدثهم عن أمير يدخل بلدهم فيغلب عليه، ووصف من نعته أنه ضخم الهامة، وأن في كتفه اليسرى شامة عليها شعر، فكشف طارق ثوبه، فإذا الشامة كما ذكرت، فاستبشر طارق أيضا هو ومن معه. ونزل من الجبل إلى الصحراء، وافتتح الجزيرة الخضراء وغيرها، وفارق الحصن الذي في الجبل"[1].

ويبدو أن هذه القصة لا تخلو من مؤثرات "درامية" تتكرر في كثير من القصص، ولا يسع المجال لتحليلها، بيد أن ما يهمنا في هذا السياق أن الجزيرة الخضراء كانت المنطقة الأولى التي دخل إليها طارق بن زياد، وهي أيضا موضع نزول موسى بن نصير، وإن قرر اتخاذ مسار مخالف لمسار موسى بن نصير[2]، ويبدو أن ذلك راجع لكون الميناء الوحيد أو الأهم كان فيها، ويؤشر على هذا ما دار بين عبد الملك بن قطن وبلج عندما قاتلوا البربر "ورجع عبد الملك بن قطن إلى قرطبة وقال لبلج ومن معه ليخرجوا من الأندلس، فأجابوه إلى ذلك، فطلبوا منه مراكب يسيرون فيها من غير الجزيرة الخضراء لئلا يلقوا البرابر الذين حصروهم. فامتنع عبد الملك وقال: ليس لي مراكب إلا في الجزيرة. فقالوا: إنا لا نرجع نتعرض إلى البربر ولا نقصد الجهة التي هم فيها لأننا نخاف أن يقتلونا في بلادهم"[3].

كقيام ثورة القاسم ودفنه في الجزيرة الخضراء[4] وكونها كانت مستقرا ليوسف بن تاشفين بعد نهاية معركة الأرك، إذ "عاد ابن عباد إلى إشبيلية، ورجع أمير المسلمين

(١)- ابن الأثير، الكامل... م.س، ج ٤، ص ٤٠.

(٢)- نفسه، ص ٤١.

(٣)- نفسه، ص ٢٧٤.

(٤)- نفسه، ج ٧، ص ٦٢١.

إلى الجزيرة الخضراء، وعبر إلى سبتة"[1]، واستعمال عبد المؤمن ولده أبو سعيد على سبتة والجزيرة الخضراء ومالقة الذي سيسلمه ميمون بن بدر اللمتوني صاحب غرناطة هذه الأخيرة"[2].

وإضافة إلى الارتباط الجغرافي يبدو أن الجزيرة الخضراء قد ارتبطت بشكل كبير بأرض البربر، حيث أشار صاحب المعجب إلى أن "الجزيرة الخضراء وما والاها من القرى إلى تاكرونة، ومالقة وما والاها أيضا إلى حصن منكب وغرناطة وأعمالها، في ملك البربر. وملكوا مع ذلك بعض أعمال إشبيلية، كحصن أشونة، وقرمونة، وشلبر. ولم يزالوا كذلك إلى أن أخرج من أيديهم ما كانوا يملكونه من أعمال إشبيلية المعتضد بالله أبو عمرو عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي، ثم أتم ابنه أبو القاسم المعتمد على الله ما ابتدأه أبوه من ذلك"[3].

كما أن بعض من تولوا المناصب في الجزيرة الخضراء كانوا يتولونها في بلاد البربر، وعلى سبيل المثال لا الحصر "محمد بن علي بن حمادو - بالحاء المهملة وبعد الدال المهملة واو - الصنهاجي من أهل قلعة حماد، وكان بشرق الأندلس في أول هذه المائة السابعة، ثم ولي قضاء الجزيرة الخضراء وقضاء سلا بعد ذلك، وتوفي سنة سبع وعشرين وستمائة"[4]

كما كانت من أوائل المناطق التي دخلت في طاعة دولة المرابطين، إذ "لما انتشرت دعوة المصامدة -كما ذكرنا- بالمغرب الأقصى، تشوف إليهم أعيان مغرب الأندلس؛

(١)- نفسه، ج ٨، ص ٣٠٩.
(٢)- نفسه، ج ٩، ص ٢٣١.
(٣)- المراكشي، م.س، ص ٥٨.
(٤)- ابن الأبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، تحفة القادم، تعليق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٨٦، ص١٩٣.

فجعلوا يفدون في كل يوم عليهم، ويتنافسون في الهجرة إليهم؛ فدخل في ملكهم كثير من جزيرة الأندلس، كالجزيرة الخضراء، ورندة، ثم إشبيلية، وقرطبة، وأغرناطة"(١).

كما يبدو أنها ظلت خلال تلك الفترة ظلت مركزا علميا وثقافيًا هامًا، حيث اجتمع فيها العلماء والأدباء والشعراء، وعقدت فيها مجالس علمية، وقد اهتمت المصادر بأخبار من مر في الجزيرة من الأدباء والعلماء والقضاة وغيرهم، فقد جاء في ذكر "الأديب أبي عبد الله محمد بن الحناط: قال ابن بسام، قال ابن حيان: أنه توفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة، بالجزيرة الخضراء في كنف الأمير محمد بن القاسم. ثم مات ولده الذي لم يكن له سواه بمألفه فاجتثت أصله وكان أوسع الناس علما بعلوم الجاهلية والإسلام. والآثار العلوية، والهندسة والطب، والفلسفة والآداب، وتعارف الأحوال، مضطرب التدبير"(٢).

وكذلك "عباس بن ناصح الأندلسى النحوى: ساكن الجزيرة الخضراء، كان من أهل العلم والعربية، ومن ذوى الفصاحة فى شعره ولسانه، ويذهب فى شعره مذاهب العرب، وولى قضاء شذونة والجزيرة ووليها ابنه عبد الوهاب بن عباس، ثم ابنه محمد بن عبد الوهاب"(٣). وكذلك "أبي بن علي المرادي يكنى أبا المنذر أصله من جهة حيان وولي قضاء الجزيرة الخضراء ثم ولي الأحكام بسبتة و... توفي بعد العشرين وستمائة"(٤).

(١)- المراكشي، م.س، ص١٥٦.

(٢)- أسعد بن مهذب بن مينا بن زكريا ابن مماتي، لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة، ص٧٧. جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، المحمدون من الشعراء، تحقيق حسن معمري، دار اليمامة، ١٩٧٠، ص٣٦٠.

(٣)- جمال الدين، أبو الحسن، علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢، ج ٢، ص ٣٦٥.

(٤)- ابن الأبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة – لبنان، ١٩٩٥، ج ١، ص ١٧٥.

وعلى غرار القرون السابقة، حضرت الجزيرة الخضراء في المتون التفسيرية للقرآن، وارتبطت بقصة الخضر وموسى، حيث أورد القرطبي في تفسيره "واختلف العلماء في القرية فقيل: هي أبلة، قاله قتادة، وكذلك قال محمد ابن سيرين، وهي أبخل قرية وأبعدها من السماء. وقيل: أنطاكية وقيل: بجزيرة الأندلس، روي ذلك عن أبي هريرة وغيره، ويذكر أنها الجزيرة الخضراء. وقالت فرقة: هي باجروان وهي بناحية أذربيجان"(١).

المحور السادس: الجزيرة الخضراء في نصوص القرن الثامن الهجري

كانت خلال هذا القرن نهاية الوجود الإسلامي بالجزيرة الخضراء حسب السائد، وهو ما انعكس بشكل ما على المصادر، وإن كانت قد أجمعت الإشارات المرتبطة بالجزيرة الخضراء أنها كانت من أهم المدن في الأندلس، وذلك لموقعها الاستراتيجي الهام، ما أهلها لأن تصبح مركزًا تجاريًا هامًا، ساعدها على ذلك نشاط تجارة المرجان إضافة إلى استقبالها للسفن التجارية من مختلف النواحي، وكان لانهيار المعرفة الجغرافية آنذاك دوره في تقلص الإشارات إلى الجزيرة الخضراء، حيث جاء في كنز الدرر أن: "أقل بلاد الأندلس عرضا المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء على البحر الجنوبي منها، وعرضها ست وثلاثون درجة، وأكثر مدنها عرضا بعض المداين التي على ساحل البحر الشمالي، وعرض ذلك الموضع ثلاثة وأربعون درجة"(٢).

وقد نقلت المصادر أسماء عدة مدن ومناطق تنتمي إلى إقليم الجزيرة الخضراء منها، البارة(٣)، الحاضرة(٤) وحصن محسن(١)، شريط(٢) ورية(٣)، صفحح(٤) وقصر كتامة(٥)، لبطيط(٦)، ومالقة(٧) ومقرون(٨).

---

(١)- أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية –القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٤، ج ١١، ص ٢٤.

(٢)- الدواردي، م.س، ج ٤، ص ٤٥٦.

(٣)- القطيعي، م.س، ج ١، ص ١٥٢.

(٤)- نفسه، ج ١، ص ٣٧٢.

وأشار لها العمري في مسالكه في عدة مواضع، عند حديثه عن جبل طارق الذي "عمره السلطان أبو الحسن المريني، واتخذه عتادا لجنده إذا دخلوا الجزيرة لحرب الكفار، وقد كان أسكنه طائفة من عسكره، وأخذ الجزيرة الخضراء من السلطان يوسف بن الأحمر ملك الأندلس ليكون مستقرا لجيشه، وأعاضه عنها زروعا تؤدى إليه، ومالا يؤدى عنه، هكذا حدثني الثقات من بني مرين، والقاضي الفقيه إبراهيم بن أبي سالم، ثم أخذت الفرنج الجزيرة الخضراء حين قتل أبو مالك بن السلطان المريني وانهزم جيشه بعد النصرة العظمى، وحينئذ زادت الهمم المرينية في تشييد هذا الجبل وتحصينه وتعمير ما عمر منه، والله يحمي هذا الملك لإكمال ما شرع فيه من غزو الفرنج واستعادة ... الإسلام منهم، وينصره النصر المؤزر، ويفتح عليه الفتح المبين، وهذا الجبل جبل منيع جدا يتمكن من حازه من الجزيرة وسبتة وما بينهما.

ويلي الجبل الجزيرة الخضراء المشار إليها، وهي مدينة محكمة كثيرة الزرع والماشية، وبها نهر يعرف بوادي العسل عليه بساتين وأرحاء وغير ذلك، وبها دار صناعة لإنشاء الحراريق، وهي آخر البلاد البحرية الإسلامية بالأندلس، وليس بعدها [لهم بلاد]"(٩).

ثم يضيف في موضع آخر أنه: "من البلاد الكبار غير البحرية رندة، وهي والجزيرة الخضراء والجبل ومربله وما والاهم تحت يد صاحب بر العدوة السلطان أبي الحسن أحسن الله إليه مراعاته، وبين رندة والجزيرة الخضراء مسيرة ثلاثة أيام وهي

---

(١)-القطيعي، م.س، ج ١، ص ٤٠٧.
(٢)- نفسه، ج ٢، ص ٦٥٠.
(٣)- نفسه، ج ٢، ص ٧٩٥.
(٤)- نفسه، ج ٢، ص ٨٤٤.
(٥)- نفسه، ج ٣، ص ١١٠٠.
(٦)- نفسه، ج ٣، ص ١١٩٧.
(٧)- نفسه، ج ٣، ص ١٢٢١.
(٨)- نفسه، ج ٣، ص ١٢٩٨.
(٩)- العمري، م.س، ج ٤، ص ٢٣٦.

جبلية كثيرة الفواكه والمياه والحرث والماشية، وأهلها موصوفون بالجمال ورقة البشرة واللطافة"[1].

تشير هذه النصوص إلى أن منطقة الجزيرة الخضراء جبلية كثيرة الثمار والمواشي وأنها ليست ببلاد زرع وهو ما يؤشر على مناخها الذي يميل للبرودة، مع ذكر ما يتصف به سكانها من لطافة ورقة بشرة وجمال، إضافة إلى خضوعها إلى السلطان المريني.

كما تميزت الجزيرة الخضراء بأنها شهدت أحداثًا تاريخية هامة، كان لها تأثير كبير على الأوضاع السياسية والثقافية في المنطقة، وقد قدمت المصادر التاريخية إشارات كثيرة لأحداث عرفتها المنطقة حيث وردت الجزيرة الخضراء خلال عبور بن تاشفين إليها وإقامته فيها قبل قتال النصارى "في هذه السنة عدى البحر يوسف بن تاشفين أمير المسلمين، من سبتة إلى الجزيرة الخضراء بسبب استيلاء الفرنج على بلاد الأندلس، واجتمع إليه أهل الأندلس، مثل المعتمد بن عباد وغيره من ملوك الأندلس، وجرى بينهم وبين الأدفونش قتال شديد، نصر الله فيه المسلمين، وانهزم الفرنج وقتل منهم ما لا يحصى، حتى جمعوا من رؤوسهم تلا وأذنوا عليه، وملك يوسف غرناطة، وأخذها من صاحبها عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس بن مالس بن بلكين بن زبري الصنهاجي"[2]

ووردت الإشارة إليها في أخبار محمد ابن أبي عامر الذي كان ينحدر منها إذ "قال بعض المؤرخين: كان محمد بن أبى عامر من الجزيرة الخضراء، وله بها قدر وأثرة وورد وهو شاب إلى قرطبة واشتغل بالعلم والأدب، وسمع الحديث وتميز"[3]

وكررت المصادر واقعة طارق بن زياد لما عبر البحر إلى الجزيرة، "فلما تكامل أصحاب طارق بالجبل نزل إلى الصحراء، وفتح الجزيرة الخضراء فأصاب بها عجوزا. فقالت له: «إنى

(١)-العمري، م.س ، ص ٢٣٧.
(٢)- أبو الفداء، م.س، ج ٢، ص ١٩٨.
(٣)- النويري، م.س، ج٣، ص ٤٠٣.

كان لى زوج، وكان عالما بالحوادث، وكان يحدثهم عن أمير يدخل بلدهم ويغلب عليه، ووصف من صفته أنه ضخم الهامة وأن فى كتفه الأيسر شامة عليها شعر» . فكشف طارق ثوبه فإذا الشامة كما ذكرت فاستبشر"(1).

ولعل أهم واقعة ترويها المصادر ما نقلته عن المعتلي وابني عمه، إذ جاء في سير أعلام النبلاء أنه "كان المعتلي بالله قد اعتقل محمدا وحسنا ابني عمه القاسم بن حمود بالجزيرة الخضراء، ووكل بهما رجلا من المغاربة، فحين بلغه خبر مقتل المعتلي جمع من كان في الجزيرة من البربر والسودان، وأخرج محمدا وحسنا، وقال: هذان سيداكم، فسارعوا إلى الطاعة لهما"(2).

ويطرح وجود العناصر السودانية عددا من علامات الاستفهام حول علاقتهم بالجزيرة الخضراء، وهل الأمر يرتبط بالزنوج الذين استوطنوا المنطقة؟ أم أن لها خلفيات أخرى، خاصة أنها وردت متلازمة مع البربر؟

وتنقل المصادر روايات بني ادريس في الجزيرة الخضراء، عندما اجمع البربر "على محمد بن القاسم بن حمود الإدريسي الكائن بالجزيرة الخضراء، فبايعوه ولقبوه بالمهدي، وصار الأمر في غاية الأخلوقة، اجتمع في الوقت أربعة يدعون بأمير المؤمنين في رقعة من الأندلس، مقدار ما بينهم ثلاثون فرسخا في مثلها، ثم افترقوا عن محمد بعد أيام، ورد خاسئا، فمات غما بعد أيام، وخلف ثمانية أولاد. فتولى أمر الجزيرة الخضراء بعده ولده؛ القاسم بن محمد بن القاسم الإدريسي"(3)

ولعبت الجزيرة الخضراء دورا أساسيا في جواز الموحدين المصامدة إلى الأندلس إذ "ثار بإشبيلية وبلادها أبو الحسن علي بن ميمون، وثار بكل ناحية رئيس، ثم اتفق

(1)-النويري، م.س، ج ٢٤، ص ٤٦.

(2)- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥، ج١٧، ص ١٤٢.

(3)- نفسه، ص ١٤٣.

رأي الجميع على تجويز المصامدة الذين تلقبوا بالموحدين من سبتة إلى الجزيرة الخضراء، وجرت فتن كبار، وزالت دولة المرابطين، وأقبلت دولة الموحدين"(١)

وكان من الطبيعي أن يجد سقوط الأندلس صداه في المصادر حيث نقلت عددا من المعطيات منها أن "مدينة إشبيلية: أخذت في مستهل شهر رمضان سنة ست وأربعين وستمائة. ولم يتأخر للمسلمين بجزيرة الأندلس إلى وقتنا هذا غير الجزيرة الخضراء وما يليها. وهي جزء يسير جدا بالنسبة إلى ما أخذ(٢).

وينقل النويري في خبر طويل خبر زحف الإفرنج صوب الجزيرة الخضراء من أجل السيطرة عليها، "لما بلغ النصارى حال، أمير المسلمين بجزيرة الأندلس وهو السلطان الغالب بالله أبو الوليد إسماعيل ابن كبير الرؤساء أبى سعيد فرج بن إسماعيل بن نصر سبط أمير المؤمنين المجاهد الغالب بالله أبى عبد الله محمد ابن أمير المسلمين يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر وأنه أخذ بالعزم فى تحصين البلاد والثغور وإصلاح حال الرعية وحياطتهم كبر ذلك عليهم وعزموا على منازلة الجزيرة الخضراء وانتدب لذلك سلطان قشتالة واسمه دون بطره وجهز المراكب والرجالة وجاء إلى طليطلة، وهى مقام بابهم الذى يرجع الملوك إليه ويقفون عند أمره، وعرفه ما عزم عليه من غزو الجزيرة الخضراء واستئصال من بها من المسلمين وسأله أن يتقدم أمره لملوك جزيرة الأندلس بمساعدته وإعانته على ذلك فسره ذلك وتقدم إلى الملوك بالاهتمام فى هذا الأمر وإعانته عليه، واتصل خبر اهتمامهم بأمور المسلمين أبى الوليد إسماعيل فكتب إلى سلطان بلاد المغرب أبى سعيد عثمان بن أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني، وعرفه مادهم المسلمين من هذا العدو الثقيل واجتماعه وكلبه على البلاد الإسلامية، وسأل انجاده بطائفة من جيشه وسير إليه بكتابه أبا عبد الله الطنجالي محدثا الأندلس وعالمها، وأبا عبد الله الساحلي عابد الأندلس وأبا جعفر بن الزيات الصوفي،

(١)-شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص ٢٤٤.

(٢)- النويري، م.س، ج ٢٤، ص ٣٨٩.

وأبا تمام غالب الأغرناطى التتارى الصالح الزاهد وصحبتهم جماعة من الناس، فتوجهوا إليه فى البحر والبرحتى انتهوا إلى مدينة فاس واجتمعوا به وسألوه إغاثة المسلمين وإعانتهم فتقاعد عن نصرتهم واستصعب هذا الأمر فعادوا عنه وقد أيسوا من نصره فلجأ المسلمون إلى الله تعالى وأخذوا في إصلاح الجزيرة الخضراء وتحصينها واتصل خبر تقاعد المريني بالفرنج فاستبشروا بذلك وتحققوا أنهم يملكون البلاد ويستأصلون المسلمين، وقدموا في جيوش عظيمة اشتملت على خمسة وعشرين ملكا منهم صاحب أشبونة وقشتالة والفرنتيرة، وأرغونة وطلبيرة ووصلت إليهم الأثقال والمجانيق والآت الحصار والأقوات في المراكب التي جهزوها وانتهت المراكب بذلك إلى جبل الفتح وطريف لمجاورتها للجزيرة الخضراء ووصل إلى الزقاق ثلاث عشرة جفنا كبار غزوانية وترددوا بين الجزيرة والمرية"[1]

وحسب المصادر فقد تعرضت للغزو من قبل النصارى بقيادة ألفونسو الثامن ملك قشتالة، الذي استولى على المدينة بعد حصار دام عشرين شهرًا، وذلك سنة ٦٤٣ هـ، وهو ما أثر على المسلمين الذين فقدوا أحد أهم موانيء المنطقة، قبل أن ينجح المسلمون في استعادة الجزيرة الخضراء من أيدي النصارى سنة ٦٧٨ هـ، بقيادة السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني[2]، هذا الأخير سيصبح دفينها سنة ٦٨٥ هـ أثناء قيادته لحملة عسكرية ضد النصارى[3].

برزت في الجزيرة الخضراء شخصيات هامة، كان لها دور كبير في الأحداث التي شهدتها المنطقة، وقد نقلت المصادر ترجماتهم، ومنهم عبد المنعم بن يحيى بن خلف بن

(١)-النويري، ج ٣٢، صص ٣١٠-٣١١.

(٢)- لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ج ١، ص ٣٣٣.

(٣)- نفسه، ص ٣٣٠.

النفيس الحميري، وهو غرناطي سكن الجزيرة الخضراء ثم مراكش ثم الإسكندرية[1]، وعلي بن أحمد بن أبي القاسم الأنصاري[2] وعلي بن خلفون الهواري[3]، محمد بن أحمد بن أبي صوفة الحجري[4]، أحمد بن فتح الجذامي[5]، الطفيل بن أبي عمرو عياش بن أبي الحسين محمد بن أبي عمرو عياش بن أبي الحسن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الطفيل العبدي[6]، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرشي الهاشمي المغربي من أهل الجزيرة الخضراء، توفي بالقدس الشريف سنة تسع وتسعين وخمس مائة، وعمره خمس وخمسين سنة، وقبره بالقدس[7].

كما جاء في مصادر أخرى، محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان، أبو عبد الله الغافقي، المعروف بالقباعي[8]، محمد بن عبد الملك بن محمد بن سليمان، أبو عبد الله الأزدي العتكي[9] محمد بن أحمد بن عبد الله بن سعد بن مفرج الهمداني[10]، محمد بن يحيى بن هشام الأنصاري

(١)- أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ١٩٦٥، ج ١، ص ٦٤.

(٢)- نفسه، ص ١٥٣.

(٣)- نفسه، ص ٢١٣.

(٤)- نفسه، ج ٢، صص ٥٨٥- ٥٨٦.

(٥)- أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١٢، ج ١، ص ٥٣٤.

(٦)- نفسه، ج ٢، ص ١٤٦.

(٧)- أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني، ذيل مرآة الزمان، وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢، ج ٤، ص ٣٣٣.

(٨)- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المستملح من كتاب التكملة، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ص٧٢.

(٩)- نفسه، ص٩٧)

(١٠)- نفسه، ص١٠١.

الخزرجي، أبو عبد الله، ابن البرذعي[1] موسى بن سيد الأموي، أبو بكر[2] وعمر بن عبد الرحمن، ابن عذرة الأنصاري أبو حفص[3]، و"القدوة، الرباني أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم القرشي، الهاشمي، الأندلسي، من الجزيرة الخضراء، له كرامات فيما يقال وأحوال"[4].

ولم تخلو المصادر من روايات أسطورية، ولعل قصة الحورية التي وردت في القرون السابقة بقيت حاضرة تدل على مخيال الناس للجزيرة الخضراء وتصورهم لها"[5]، كما نقلت المصادر "من عجائب الجزيرة الخضراء المرأة الصائمة، وهي عائشة بنت أبي عاصم بقيت نيفا وعشرين سنة لا تأكل شيئا وتوفيت بعد عام سبع مائة بنحو من خمس سنين، ولها غرفة على باب جامع الجزيرة، وهي خالة العابد أبي إسحاق بن بلال، وهو باق، يعني في سنة إحدى وعشرين وسبع مائة"[6]

واهتم حكام الجزيرة الخضراء بالعلم والأدب، وعقدوا مجالس علمية وأدبية، وشجعوا العلماء والأدباء، كما شهدت كتب ومؤلفات حولها ككتاب "الحلة الحمراء في حلى الجزيرة الخضراء" والذي ألفه ابن خميس، وهو من أهم المصادر التي تتناول تاريخ الجزيرة الخضراء وأدبها وثقافتها.

كما حضرت الجزيرة الخضراء في المتن التفسيري حيث أشارت لها كتب التفسير، إذ جاء عند ابن جزي، عن موسى والخضر أنهما "أتيا أهل قرية قيل: هي

(١)-المستملح من كتاب التكملة، ص١٥١.
(٢)- نفسه، ص١٦٨.
(٣)- نفسه، ص٢٩٢.
(٤)- الذهبي، م.س، ج ٢١، ص ٤٠٠.
(٥)- الدوادري، م.س، ج ٦، ص٣١٧.
(٦)- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، معجم الشيوخ الكبير للذهبي، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، ج ٢، ص ٢٠٣.

أنطاكية، وقيل برقة. وقال أبو هريرة وغيره: هي بالأندلس ويذكر أنها الجزيرة الخضراء وذلك على قول أن مجمع البحرين عند طنجة وسبتة استطعما أهلها أي طلبا منهم طعاما"(١)

ويؤكد صاحب البحر المحيط في التفسير هذه الرواية في مواضع مختلفة إذ "قيل: هو بحر الأندلس والقرية التي أبت أن تضيفهما هي الجزيرة الخضراء"(٢) وأضاف "والقرية التي أتيا أهلها إنطاكية أو الأبلة أو بجزيرة الأندلس وهي الجزيرة الخضراء"(٣)

المحور السابع: الجزيرة الخضراء في نصوص القرن التاسع الهجري

خلال هذه المرحلة تحولت الجزيرة الخضراء إلى قاعدة للقشتاليين، وانتهى الحكم الإسلامي بها، فكان من الطبيعي أن تحضر في صيغ وأشكال مختلفة، وباستقراء هذه المصادر يمكن ملاحظة عدة أشكال لحضورها، فعلى المستوى الجغرافي، بقيت الكتابات الجغرافية مرتبطة بالقرون والأوصاف السابقة، إذ جاء في توضيح المشتبه أن "[الجزيري] نسبة إلى الجزيرة الخضراء بالأندلس. قلت: هي على ساحل البحر عند المجاز إلى سبتة وغيرها من بلاد المغرب، وهي بفتح الجيم، وكسر الزاي، وسكون المثناة تحت، وفتح الراء، ثم هاء"(٤).

(١)- أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى، ج ١، ص ٤٧١.

(٢)- محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، بعناية زهير جعيد، دار الفكر – بيروت، ٢٠٠٠، ج ٧، ص ٢٠٠.

(٣)- نفسه، ص ٢٠٩.

(٤)- شمس الدين ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣، ج ٢، ص ٢٨٥.

أورد ابن خلدون في تاريخه عند حديثه عن البحر الأبيض المتوسط أنه "قطعة من البحر المحيط مستطيلة من أوله جنوبا إلى آخره شمالا وعليها في الجنوب مدينة طنجة ومن هذه القطعة تحت طنجة من البحر المحيط إلى البحر الرومي في خليج متضايق بمقدار اثني عشر ميلا ما بين طريف والجزيرة الخضراء شمالا وقصر المجاز وسبتة جنوبا ويذهب مشرقا إلى أن ينتهي إلى وسط الجزء الخامس من هذا الإقليم وينفسح في ذهابه بتدريج إلى أن يغمر الأربعة الأجزاء وأكثر الخامس من هذا الإقليم الثالث والخامس كما سنذكره ... وأكثر العمارة في هذا الجزء في شماله وشمال الخليج منه وهي كلها بلاد الأندلس الغربية منها ما بين البحر المحيط والبحر الرومي أولها طريف عند مجمع البحرين وفي الشرق منها على ساحل البحر الرومي الجزيرة الخضراء ثم مالقة ثم المنقب ثم المرية وتحت هذه من لدن البحر المحيط غربا"(1).

ويضيف صاحب صبح الأعشى عند حديثه عن الأندلس "ومنها (الجزيرة الخضراء). وهي مما يلي جبل الفتح من الغرب على الساحل، وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة"(2)، كما يورد الحميري أن "الجزيرة الخضراء ويقال لها جزيرة أم حكيم، وهي جارية طارق بن زياد مولى موسى بن نصير، كان حملها معه فتخلفها بهذه الجزيرة فنسبت إليها، وعلى مرسى أم حكم مدينة الجزيرة الخضراء، وبينها وبين قلشانة أربعة وستون ميلا، وهي على ربوة مشرفة على البحر، سورها متصل به، وبشرقيها خندق وغربيه أشجار تين وأنهار عذبة، وقصبة المدينة موفية على الخندق وهي منيعة حصينة سورها حجارة وهي في شرقي المدينة ومتصلة بها، وبالمدينة جامع حسن البناء فيه خمس بلاطات وصحن واسع وسقائف من جهة الجوف، وهو في وسط المدينة في أعلى الربوة، وأسواقها متصلة من الجامع إلى شاطئ البحر، وعلى

(1)- ابن خلدون، م.س، ج ١، ص ٨٣.

(2)- أحمد بن علي القلْقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، ج ٥، ص ٢١٣.

البحر بين القبلة والشرق من مدينة الجزيرة مسجد سري يعرف بمسجد الرايات ركزت فيه المجوس راياتها فنسب إليها وله باب من خشب سفن المجوس، وبها كان دار صناعة بناها عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين للأساطيل وأتقن بناءها وعإلى أسوارها ثم اتخذها المنتزون بها في الفتنة قصرا"(١).

وجاء في صفة جزيرة الأندلس " ومدينة الجزيرة طيبة رفيقة بأهلها جامعة لفائدة البر والبحر قريبة المنافع من كل وجه لأنها وسطى مدن الساحل وأقرب مدن الأندلس مجازا إلى العدوة. ومنها تغلب ملوك الأندلس على ما تغلبوا عليه من بلاد أفريقية؛ وبها ثلاث حمامات، ولها كور كثيرة، وكانت جبايتها ثماني عشر ألفا وتسعمائة.

وأهل الجزيرة هذه هم الذين أبوا أن يضيفوا موسى والخضر عليهما السلام، وبها أقام الخضر الجدار وخرق السفينة، والجلندى هو الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا، حكى ذلك عن وكيع بن الجراح.

ومرسى الجزيرة مشتى مأمون، وهو أيسر المراسى للجواز، وأقربها من بر العدوة، ويحاذيه مرسى مدينة سبتة، ويقطع البحر بينهما في ثلاث مجار، ويتلوه جبل طارق.

وللخضراء هذه سور حجارة مفرغ بالجيار، ولها ثلاثة أبوابه، وبها دار صناعة داخل المدينة؛ وعلى نهرها المسمى نهر العسل بساتين وجنات بضفتيه معا، وبالجزيرة الخضراء إنشاء وإقلاع وحط، وأمام المدينة الجزيرة المعروفة بأم حكيم المتقدمة الذكر؛ والجزيرة الخضراء أول مدينة افتتحت من الأندلس في صدر الإسلام"(٢).

أما الإشارات التاريخية، فقد سارت على نهج ما ورد في القرون السابقة، من حديث عن الفتح الإسلامي، وما تبعه من مراحل، ومن ذلك ما ورد عند ابن خلدون مثلا أنه " كان في جملة المستعين مع البربر والمغاربة أخوان من ولد عمر بن إدريس،

(١)- الحميري، الروض.. م.س، ص٢٢٣.
(٢)- الحميري، صفة .. م.س، ص٧٤.

وهما القاسم وعلي ابنا حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر، كانوا في لفيف البرابرة في بلاد غمارة واستجدوا بها رياسة استمرت في بني محمد وبني عمر من ولد إدريس فكانت للبربر إليهم صاغية بسبب ذلك، وخلطة وبقي الفخر منهم بتازغدره من غمارة فأجازوا مع البربر، وصاروا في جملة المستعين مع أمراء العدوة من البربر فعقد لهما المستعين فيمن عقد له من المغاربة عقد لعلي منهما على طنجة وعملها، وللقاسم وكان الأسن على الجزيرة الخضراء. وكان في نفوس المغاربة والبرابرة تشيع لأولاد إدريس متوارث من دولتهم بالعدوة كما ذكرناه"(1). ولعل الملاحظ أن ابن خلدون يفصل بين البرابرة والمغاربة، ويشير إلى دور البرابر وقوتهم في الجزيرة الخضراء ومعها الأندلس.

أو ما وقع عندما "تغلب ابن غانية على الجزيرة الخضراء، وانتقض أهل سبتة كما ذكرناه، وضاقت أحوال الموحدين بأشبيلية"(2)، ومجازات بني مرين إليها في سياق حروبهم مع القشتاليين، من ذلك ما أورده "لما أجاز السلطان يعقوب بن عبد الحق الإجازة الثانية سنة ست وسبعين وستمائة... واغزى أساطيله الجزيرة الخضراء حيث مسالح السلطان وعساكره. وأرست بالزقاق حيث فراض الجواز. هنا وانقطع المسلمون من جنود السلطان وقومه وراء البحر ويئسوا من صريخه"(3).

وعلى غرار القرون السابقة حضرت الجزيرة الخضراء في المتون التفسيرية، مرتبطة دوما بقصة موسى والخضر عندما مرا على قرية رفض أهلها أن يطعموهما "ويقال: إنها الجزيرة الخضراء بالأندلس"(4)

(1)- ابن خلدون، م.س، ج ٤، ص ١٩٦.
(2)- نفسه، ج ٦، ص ٣١٣.
(3)- نفسه، ج ٧، ص ٢٦٥.
(4)- الحميري، الروض.. م.س، ص٨.

إضافة إلى هذا تشير المصادر إلى عدد من الاعلام الذين عرفتهم الجزيرة الخضراء كموسى بن علي بن عامر أبو عمران الجزيري[1]، إضافة إلى السلطان المريني أبو يوسف يعقوب الذي "يكنى أبا يوسف. لقبه: القائم بأمر الله أمه: الحاجة أم اليمن بنت محلى البطوى بويع بتازي في سنة ست وخمسين وستمائة. وتوفي في الجزيرة الخضراء من الأندلس، وهو بعسكره للجهاد عند الزوال يوم الثلاثاء الثاني والعشرين لمحرم سنة خمس وثمانين وستمائة وله خمس وسبعون سنة. مولده: في عام تسعة وستمائة"[2]. و"محمد بن يحيى، ابن هشام الخضراوي نسبة إلى الجزيرة الخضراء بالأندلس، يعرف بابن البرذعي (ت ٦٤٦ هـ)، نزيل تونس، النحوي اللغوي"[3]، وكذلك إبراهيم بن طريف أبو إسحاق[4].

ولم يكن من المستغرب أن يحضر المتن الصوفي المرتبط بالكرامات والخوارق كما ينقل ابن خلدون أنه "حضر أشياخنا بمجلس السلطان أبي الحسن وقد رفع إليه امرأتان من أهل الجزيرة الخضراء ورندة حبستا أنفسهما عن الأكل جملة منذ سنين وشاع أمرهما ووقع اختبارهما فصح شأنهما واتصل على ذلك حالهما إلى أن ماتتا"[5]، وكذلك ما سبق تداوله عن حوريات البحر، كما جاء في احد الروايات أن "رجلا من الأندلس من الجزيرة الخضراء صاد جارية منهن حسناء الوجه سوداء الشعر حمراء الخدين نجلاء العينين كأنها البدر ليلة التمام كاملة الأوصاف فأقامت عنده سنين

(١)- برهان الدين أبو إسحاق الأبناسي، الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح، تحقيق صلاح فتحي هلل، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ج ٢، ص ٦٨٨.

(٢)- ابن الأحمر، النفحة النسرينية واللمحة المرينية، ص٧ بترقيم الشاملة آليا.

(٣)- أبو العباس البسيلي التونسي، نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، تحقيق محمد الطبراني، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ج ١، ص ٣٧.

(٤)- تقي الدين المقريزي، المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦، ج١، ص ١١٥.

(٥)- ابن خلدون، م.س، ج ١، ص ١١٣.

وأحبها حبا شديدا وأولدها ولدا ذكرا، وبلغ من العمر أربع سنين، ثم إنه أراد السفر فاستصحبها معه، ووثق بها، فلما توسطت البحر أخذت ولدها وألقت نفسها في البحر، فكاد أن يلقي نفسه خلفها حسرة عليها، فلم يمكنه أهل المركب من ذلك، فلما كان بعد ثلاثة أيام ظهرت له، ألقت له صدفا كثيرا فيه در، ثم سلمت عليه وتركته، فكان ذلك آخر العهد بها"(1)

(1)- شهاب الدين محمد بن أحمد بن أبي الفتح الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: سعيد محمد اللحام، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى، ص376.

خلاصات وخاتمة: من أجل سردية جديدة

خلاصة القول، إذا كان جاك لوغوف قد تساءل عن ولادة أوروبا الوسيطية باعتبارها لحظة مفصلية في تاريخ تشكيل الهوية الأوروبية، فإن هذا الكتاب يعيد صياغة التساؤل من زاوية مختلفة: كيف كانت أوروبا تُرى من منظور الجغرافيا الإسلامية؟ وهل يمكن الحديث عن "أوروبا" ككيان جغرافي وثقافي متماسك أم كانت مجرد مجموعة من التصورات المتناقضة والمتغيرة داخل هذه النصوص خلال هذه الفترة؟

ويمكن القول، أن استقراء صورة أوروبا في المصادر العربية الإسلامية يشكل مدخلا لرؤية مغايرة للسردية التاريخية الغربية التقليدية، فأوروبا وجغرافيتها في المصادر العربية الإسلامية لم تتشكل بصيغتها الحالية في الثقافة العربية الإسلامية إلا في وقت جد متأخر، بعد القرن السادس عشر إن لم نقل القرن التاسع عشر، أما خلال الفترة الوسيطية فلم تكن واضحة المعالم، أو متسقة ومنسجمة، ولم تتبلور فيها كمجال موحد أو كيان متماسك، بل مثلت خليطا من التصورات والمعارف المتضاربة أحيانًا داخل النص الواحد، متناقضة مع السردية السائدة حاليا، وهو ما يثير السؤال حول مدى واقعية فكرة "الهوية الأوروبية" في العصور الوسطى، وهل كانت موجودة آنذاك، أم أنها فكرة أسقطت بأثر رجعي لاحقًا؟

يعني هذا الكلام أن تقابل الشرق والغرب، ظل ناقصا، أو غير كامل، وقد يجد الأمر تفسيره الأولي، في كون تطور الجغرافية العربية الإسلامية، ارتبط بتحولات المجتمعات الإسلامية، والتأثير المتبادل والمتداخل بين المعرفة العقلية والدينية، إضافة إلى المؤثرات قبل إسلامية، وهو ما أدى إلى نوع من التشويش في المصادر العربية الإسلامية بخصوص صورة أوروبا وجغرافيتها. فتطور الجغرافيا العربية الإسلامية لم يكن مجرد تطور علمي عابر، ولم تكن الجغرافيا مجرد علم تمثيلي أو محاكي للواقع بشكل محايد، بل ارتبطت بالتحولات الكبرى التي شهدتها المجتمعات الإسلامية في تلك

الفترة، حيث كانت المعرفة الجغرافية جزءًا من نظام معرفي أكبر، تفاعلت فيه المعارف العقلية والدينية والسياسية، لتشكل خطابا جغرافيا غايته إنتاج "الحقيقة"، وليس مجرد تمثيل حيادي للواقع الجغرافي.

وفي هذا السياق، كان الخطاب الجغرافي يعكس النظرة "الدينية" للعالم، فالآيات القرآنية والحديث النبوي، كان لهما دور محوري في تحديد مفهوم الأرض التي لم تكن مجرد "مكان جغرافي" بل حملت الحقيقة الدينية في داخلها، فكانت مكة "مركز الأرض"، واعتُبِرت القبلة ليست فقط جهة الصلاة، بل "محور الكون"، وهو ما يرتبط بشكل وثيق بالعقيدة الإسلامية التي تنظر إلى مكة كمدينة "مقدسة" تتعامد مع البيت المعمور وتُمثل بالتالي نقطة الاتصال بين "السماء" و"الأرض". هذه التصورات كانت محكومة بهاجس تأكيد "مركزية بلاد الإسلام"، حيث تصبح مكة، باعتبارها مركز الأرض، تمثل "مرجعية مكانية"، أيضا.

وسياسيا حضرت الجغرافية بنفس الشكل، إذ لعبت دورا مزدوجا من حيث أنها "أداة لفهم الواقع" من جهة، كما استخدمت في إعادة "تشكيل هذا الواقع" بما يخدم "السيطرة" و"الهيمنة" السياسية والدينية، حيث كانت أداة لتحديد مراكز السلطة والمناطق الخاضعة لها والضبط الدقيق لحدودها وأقاليمها، وهو ما ساهم في تنظيم الموارد الاقتصادية والفلاحية من ضرائب وخراج، إضافة إلى تحديد الطرق والمواصلات والمسالك التجارية، ما قوي من فاعلية الدولة في الإحكام على هذه المسالك، معززا بذلك دور الوساطة التجارية الذي احتكرته لقرون.

بحلول القرن السابع الهجري، عرفت الجغرافيا تحولات عميقة، إذ تراجع الإنتاج المعرفي العقلاني، وتزايد تأثير الأقوال الفقهية والتفسيرات الدينية، وسادت الملخصات الموسوعية، عوضا عن المعرفة العلمية التجريبية، وهو ما فتح مجالا أكبر للأقوال الفقهية في تفسير شكل الأرض وحدودها. كما تراجعت الإمبراطورية الإسلامية وصعدت قوى جديدة، فبدأت صورة العالم تتغير في الجغرافيا الإسلامية، ولم تعد المعرفة الجغرافية تتمحور

فقط حول الذات، بل أصبحت تمثل مرآة لصورة الآخر، ما يطرح تساؤلات حول كيفية انعكاس هذه الصورة على النصوص الجغرافية؟

وعلى مستوى اللغة، إذا كانت اللاتينية هي مرتكز النهضة الأوروبية، ويفترض أنها كانت مهيمنة على المجال وحاضرة فيه، فإنها إلى حدود نهاية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، لم تسجل حضورا في المصادر العربية الإسلامية، باستثناء ثلاث إشارات عابرة، تحيل إلى وجود لاتينيتين واحدة افريقية والأخرى أندلسية؟ وترتبط بالأندلس أكثر من ارتباطها ببقية أوروبا، وتحيل إلى اللهجة أكثر من إحالتها إلى الكتابة، أما ما عداها فالصمت والغياب التام للغة يفترض حسب السردية الرسمية أنها كانت مهيمنة على المجال وحاضرة فيه سابقا، وأنها كانت ركنا أساسيا في النهضة الأوروبية في مرحلة لاحقة، وهو ما يطرح علامات الاستفهام حول هذه السردية ككل.

أما النصوص المصدرية بين أواخر القرنين السادس وبداية التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، فتؤكد فرضية أن اللاتينية ارتبطت بأعاجم الأندلس دون سواهم، مع احتمال وجود أصل افريقي للحرف اللاتيني أو أنه مجرد حرف طارئ. وخلال هذه المرحلة أيضا بدأت تتشكل البوادر الأولى للسردية اللاتينية، اعتمادا على وقائع منسوبة للقرن الرابع الهجري، كما أنه حتى حدود هذه المرحلة لم يوجد أي أثر للخط أو القلم اللاتيني، وفي نفس الفترة أيضا استبدل الروم باللاتين في صراعهم مع الاغريق.

وبعد القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، توالت الإشارات إلى اللاتينية، في المصادر العربية الإسلامية، وقد انقسمت إلى قسمين، واحد يجتر ما ورد في المصادر السابقة خاصة إشارتي البكري، والثاني قدم معطيات تاريخية أو جغرافية جديدة تؤكد أن اللاتينية كانت لغة بعض من أعاجم الاندلس، وهو ما يعضد افتراض أن اللاتينية كانت نوعان، الأولى لسان برابرة قفصة الافريقية وهي اللاتينية الافريقية، والثانية لسان بعض من أعاجم الاندلس وهي اللاتينية الاندلسية، أما رواية ابن

جلجل التي تم الاعتماد عليها لتبرير قدم اللاتينية، فالملاحظ أنها لم تظهر إلا بعد القرن السابع الهجري.

على مستوى الروايات التاريخية، تحول الصراع من الاغريقي الرومي إلى اللاتيني الإغريقي، في المصادر العربية الإسلامية مع القلقشندي وهو تحول طارئ وغير مفهوم، كما أنه في نفس الفترة التاريخية بدأت تتأسس السردية اللاتينية، والملاحظ في نصوص ابن خلدون أنها اتسمت بالتعدد والتنوع والاضطراب والتناقض، كما أنه حافظ على التمييز بين الكتابة واللسان، وأن الكتابة أو الحرف يعرفان بالقلم والخط وليس باللسان، وميز بين اللغة واللسان والعبارة من جهة، والقلم والخط والكتابة من جهة أخرى. كما أظهرت نصوص ابن خلدون بعض الإشارات المرتبطة بمجال جغرافي مختلف للاتيني، كالارتباط بالكيتم وبصفوا الافريقي.

تظهر كل هذه المعطيات على أن سردية اللغة اللاتينية تعرف ثغرات عديدة، ولا يبدو أي حضور لها في المصادر العربية الإسلامية الطرف المقابل لها، كما تبدو هذه السردية متناقضة وغير متماسكة، ما يؤكد على أنها إلى حدود القرن الخامس عشر لم تكن من الأهمية والحضور الذي يفرضها على المصادر العربية الإسلامية، بما فيها الأندلسية، التي اقترنت اللاتينية بها في هذه المصادر.

وكذلك أثينا التي لم تكن الأقرب جغرافيا فقط للعالم الإسلامي، ولكن ثقافيا، باعتبار الدور الذي لعبته المعرفة اليونانية في الحراك الثقافي الإسلامي خاصة خلال العصر العباسي، إلا أن أقدم ذكر لها في المصادر العربية الإسلامية إلى القرن الرابع الهجري، وقد تعددت مستويات الإشارة إليها، ويمكن اجمالها فيما يلي:

- **المستوى التاريخي:**

ارتبط حضور أثينا فيها بقصة الاسكندر المقدوني أو مقتل الفيلسوف سقراط أو بترجمات بعض من الفلاسفة اليونان، ومن الملاحظ أن الجانب الثاني كان الأكثر حضورا وطغيانا في النصوص المطلع عليها، إذ أقترن أغلبها منذ القرن الرابع الهجري

إلى القرن الحادي عشر الهجري بترجمة بعض من أعلام الفلسفة، دون أن يتم تحديد أي إشارات جغرافية مهمة.

كما اقترنت أثينا في هذا المستوى بكونها مدينة الحكماء والفلاسفة، ويمكن أن نستشف من خلال الإشارات أن الأمر يتعلق بمدينة تعرف تدريس الحكمة فيها، وهي منفصلة عن أي كيان سياسي.

انطلاقا من القرن الخامس الهجري، أصبح التركيز كبيرا على تاريخ الفلسفة اليونانية وتراجم فلاسفتها، ومعتقداتهم، سواء إيجابا أو سلبا، وكانت تحضر أثينا في هذا السياق بشكل واضح وجلي، وهو الأمر الذي يمكن تفسيره بطبيعة الصراعات الفكرية التي كانت محتدمة آنذاك في المجتمعات الإسلامية بين أنصار المعرفة العقلية والفلسفية، وأنصار المذاهب الفقهية، ويمكن القول أن أثينا كانت نموذجا تم إسقاط صراعات الحاضر الإسلامي عليه.

- **المستوى الجغرافي:**

ارتبطت أولى الإشارات إلى أثينا بكتب الجغرافيا والرحلات، بيد أنها في الوقت نفسه لم تقدم أي تحديدات يمكن أن تسهم في تحديد موقع أثينا، بل كان الحديث عنها يأتي عرضيا، عند الحديث عن بحر الروم، ومع ذلك نعثر على بعض الإشارات الجغرافية المهمة، نفهم منها أنها إحدى المدن الكبرى للنصارى تقع ضمن بلاد الروم، يمر بها خليج متفرع عن المحيط، وهي مجاورة لرومية والقسطنطينية وبلاد الجلالقة، ويمر البحر الرومي بها، وهي مما يلي خليج القسطنطينية غربا حيث يمتد على سواحله بحر الروم، كما ان أثينا قبل سواحل رومية فهي إذا بين القسطنطينية ورومية.

سيشير الادريسي إلى أن مصب "خارست" على أثينية، التي توجد قرب مضيق جزيرة بلبونس، على البحر، وهي مدينة عامرة ومأهولة، وقد وردت إشارة أخرى في القرن السادس الهجري، تشير إلى أن أثينا توجد على خط الطول أربعون درجة وخمس

عشرة دقيقة، وهي تقع شمال خليج بحر الروم تقع في الجنوب الغربي لمدينة برشان، وهي مدينة انقرضت على يد "الألمان".

-الارتباط بمصر:

من الملاحظ ارتباط أثينة بمصر على عدة مستويات، إذ ربطتها إشارة البتاني خلال القرن الرابع الهجري بالتقويم القبطي، بما يحمله ذلك من دلالات، إضافة إلى الإشارة لانتقال مجلس التعليم من أثينا إلى الإسكندرية المصرية، وما ورد خلال القرن الخامس الهجري من إشارة إلى الحروف في زمن أهل أثينية، وأنها وصلت لأربعة وعشرين حرفا، مع الإشارة لجذورها المصرية، كما حضرت مصر كمجال أساسي للمقارنة مع بلاد أثينا.

وصفوة القول، أن ارتباط أثينا بالفلسفة والحكمة حاضر بقوة في المصادر العربية الإسلامية، بل يكاد يكون المستوى الأكثر طغيانا وحضورا، وهو أمر له ما يبرره في السياقات المعرفية والتاريخية للحضارة العربية الإسلامية، وكان هذا الحضور في جانب منه إسقاطا لصراعات الحاضر على الماضي، في المقابل لا يبدو ارتباط أثينا باليونان قويا جدا، كما لا تقدم الإشارات الجغرافية ما يعين على تحديد أثينا وفق السردية الجغرافية الحالية، وفي مقابل الحضور الفكري لأثينا يجوز التساؤل عن سبب الغياب الجغرافي في المصادر الإسلامية. والأمر نفسه ينطبق على الحضور التاريخي، إذ تكاد تنحصر تاريخيا فيما يرتبط بالاسكندر المقدوني، دون أي أحداث أخرى.

وكذلك اليونان التي يبدو واضحا أن سرديتها تعرف عددا من الإشكاليات والثغرات المرتبطة بالتوطين الجغرافي لبلاد اليونان، إذ يغيب أي تحديد واضح للمجال الجغرافي الذي شغله اليونان والروم، بل يغيب تحديدهما حتى كمجال ثقافي، وهو ما يطرح أسئلة عديدة حول سبب هذا الغياب.

إشكاليات السردية الرسمية لا تتوقف، خاصة مع ما تذهب إليه بعض الروايات الواردة في المصادر الإسلامية، من أن اليونان أمة بائدة كمجال ولغة قبل

ظهور الإسلام، وأن ما وصل للعالم الإسلامي كان عن طريق الترجمات السريانية، وهو ما يسائل السرديات القائمة والتي كانت تعتبر الحضارة العربية الإسلامية مجرد مترجمة للتراث اليوناني إلى الغرب، وبالتالي فإن فرضية اندثار اللغة اليونانية، قد تفسر لماذا ترجم الأوربيين عن المصادر العربية عوض العودة إلى "المصادر الأصلية" وتفسر هذا "الاضطراب" في عملية نقل المعرفة بين الشرق والغرب، خلافا للسردية الرسمية.

من الملاحظ أيضا، أن المصادر العربية الإسلامية درجت على الربط بين الشام والأردن واليونان، إذ ذهبت بعض النصوص إلى اعتبار بعض مناطق الشام كأنطاكية وصور وغيرهما، مهد عامة حكماء اليونان، وهو ما يخالف السردية الجغرافية السائدة، كما يطرح عددا من الأسئلة عليها: إذ ما هي العلاقة بين صور وأثينا وبلاد اليونان عموما؟ كما اقترنت اليونان أيضا بمصر، وقد جعلت بعض النصوص من بعض مناطق الجنوب المصري مقدونية يونانية وهو ما لا ينسجم مع السردية الرسمية.

لكن أكثر ما يطرح إشكاليات كبيرة على السردية الرسمية، ويجعلها موضع شك ونقد كبيرين، هو الارتباط الوارد في المصادر بين اليونان والأندلس، حيث سجلت عدد من النصوص هذا الارتباط، إذ ذهب بعضها إلى أن دخول طارق بن زياد كان دخولا لبلاد اليونان، وهي الرواية التي تكررت في مواضع عديدة. إن التحديدات الواردة في النصوص التي تربط بين اليونان والأندلس لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تنطبق على التحديدات الجغرافية الحالية لبلاد اليونان، إذ لا يعقل أن تكون اليونان شرق مصر والشام، كما أن انتقال اليونان صوب الاندلس والذي ورد في نصوص أخرى يطرح أسئلة كثيرة.

والملاحظ أن سردية يونانية الأندلس أو يونان الأندلس ظلت حاضرة في النصوص العربية إلى غاية الربع الأول من القرن التاسع عشر، قبل ثورة اليونان ومطالبتها بالاستقلال عن الإمبراطورية العثمانية وهو ما يطرح عددا من الأسئلة حول التحديد الجغرافي لليونان الحالية وعلاقتها بالأندلس.

أما أقدم إشارة لليونان الحالية في المصادر العربية الإسلامية، فقد وردت عند صاحب المرآة، في أواخر القرن التاسع عشر حيث ورد فيه "إنني أرى اليونان تساعد وتتكون على أساس متين بعد أن فصلت عن الامبراطورية العثمانية، وأرى شعب بلجيكا يفصل عن هولنده بسبب بعض الاختلاف في المبادىء للسياسة الدينية، وأرى، جميع الشعوب الحرة تهتم بالبولونيين وباسترجاع سيادتهم، كما أنني أرى الحكومة الإنكليزية تخلد مجدها بعتق الزنوج"[1]

إن كل ما سبق يدفع بالتأكيد إلى القول أننا أمام مجالات جغرافية متباينة لا تستقيم والسردية التاريخية والجغرافية الحالية، وأن اليونان لم تكن واحدة بل كانت أسماء متعددة يحتمل أنها تمثل ثقافي أكثر منها مجال جغرافي.

هذه بعض من الإشكاليات التي لن يمكن حلها إلا بتعميق البحث في هذا الموضوع، بالاشتغال حول اللغة اليونانية، وبعض المواقع اليونانية، وأيضا الترجمات العربية للموروث اليونانية، وهي مشاريع بحثية من شأن تجميعها، أن يفك أسرار اليونان مجالا وتمثلا وتاريخا.

وعلى غرار ذلك كان الحضور الاغريقي في المصادر العربية الإسلامية، ضئيلا ما يتنافى مع تمثل الاغريق وحضورهم الثقافي والذهني في المخيال العربي المعاصر، ويطرح غياب الاغريق في المصادر العربية الإسلامية إلى حدود بدايات القرن الخامس الهجري، عددا من الأسئلة، ترتبط بمدى الحضور الفعلي للإغريق في المخيال الجمعي التراثي العربي والإسلامي.

من خلال استقراء المصادر المطلع عليها، نلاحظ عدم وجود أي ربط بين اليونان والإغريق، إذ تم الحديث عنهما كمجموعتين بشريتين متباينتين، كل منهما لها خصائصها ومميزاتها، بيد أنه ابتداء من القرن التاسع الهجري (بالخصوص مع ابن

١ – حمدان بن عثمان خوجة، "المرآة"، تحقيق وتعريب محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP – المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية – وحدة الرغاية – الجزائر، ٢٠٠٦، ص٨

خلدون) بدأت سردية الاغريق أسلاف اليونان تترسخ تدريجيا، مع الإشارة إلى أنها لم تتخذ صيغتها النهائية بعد في المصادر العربية الإسلامية، رغم كل محاولات التفسير وغيرها، إلا أن مناطق اللبس كثيرة وتطرح كثيرا من الأسئلة.

على المستوى الجغرافي، يسجل غياب تحديدات جغرافية لبلاد الإغريق، إذ قدمتهم المصادر العربية الإسلامية كمجموعة بشرية أكثر منها كمجالات جغرافية، أما الحضور الجغرافي فقد اقترن أساسا بمناطق افريقية وشامية (كبرقة وطرابلس ووادي الأردن)، في حين تغيب التحديدات الحالية لبلاد الاغريق.

على المستوى اللغوي، لم ترد الإشارة إلى الاغريقية إلا في نتف شاردة، لا يمكن أن تسعف بأي حال من الأحوال على تبني التفسير الحالي للغة الاغريقية، بل تم النظر إليها كلغة مختلفة لها خصائصها ومميزاتها، بينما أكدت إشارة أخرى أنهم أمة عربية اللسان أو معجمة بلسان عربي، وهم يقفون على طرف النقيض من اليونان وباقي الأمم النصرانية

وصفوة القول، لا تسعف الإشارات المصدرية في تبني السردية الحالية حول الاغريق، بل إنها تقف على طرف النقيض منهم، وتطرح عددا كبيرا من الأسئلة حول مصداقية السردية الغربية والعلاقة بين الاغريق واليونان، وبالتالي لا يمكن الاطمئنان إلى القول أن سردية اغريقية اليونان التي تشغل مجال شمال المتوسط.

والأمر نفسه ينطبق على بحر الروم، الذي تم توطينه على أساس أنه البحر الأبيض المتوسط، حتى أصبح الأمر كأنه حقيقية تاريخية لا يرقى إليها الشك، لكن عددا من المعطيات التي قدمتها المصادر العربية الإسلامية لا تنسجم مع التحديدات الحالية للبحر الأبيض المتوسط، وتجعل السؤال مطروحا، أين يوجد بحر الروم؟ وأين يبدأ وينتهي؟

فعلى المستوى التاريخي يمكن التمييز بين مرحلتين:

مرحلة ما قبل عمر بن الخطاب:

لم تكن الفتوحات قد تجاوزت بحر الروم، بل كان يرفض ركوبه حسب ما ورد في النصوص، وبالتالي، كان البحر منطقة حدودية خلال منتصف الفترة الراشدة، في حين كانت قبرس على مشارف دار الإسلام خلال هذه المرحلة، في مقابل هذا الغياب، كان للصحابة حضور تجاري في البحر الرومي، ما يؤشر على وجود علاقات اقتصادية تربط المدينة مع باقي الأطراف من خلال بحر الروم، منذ البدايات الأولى للإسلام.

- **مرحلة ما بعد عمر بن الخطاب:**

أصبح بحر الروم جزءا أساسيا من الفتوحات الإسلامية، وكان حاضرا خلال توسع أرجاء الدولة الإسلامية، في حين ظلت بعض مناطق بحر الروم غير خاضعة لبلاد الإسلام، وبالتالي، يمكن اعتبار جزءا من بحر الروم كان بمثابة الحد بين بلاد الإسلام وغيرها.

أما الروايات الدينية، فتقدم سردية يمتزج فيها التاريخي والجغرافي، فحسب أغلب الروايات فإن مجمع البحرين هو نقطة التقاء بحر الروم وبحر فارس، حيث يتجه بحر الروم غربا، بينما يتجه بحر فارس شرقا، وتشكل جزيرة العرب او الجزائر برزخا بينهما يمنعهما من الالتقاء، في منطقة أشبه بالدلتا. كما أن بحر الروم هو مصب الأنهار كلها، يشكل سلسلة مائية تبدأ منه ثم النيل فبحر فارس ثم دجلة.

من جهة أخرى، فإن بحر الروم هو المكان الذي جرت فيه وقائع قصة يونس بن متى، كما أن قوم جالوت استقروا على سواحله الممتدة بين مصر والشام، بينما كان سد ذو القرنين وراء حدوده عند مضيق صغير، مع الإشارة إلى معدن الحديد.

أما كتب الجغرافيا والرحلات فتقدم معطيات مهمة، يمكن تقسيمها إلى قسمين، معطيات تتعارض مع التحديدات الحالية لبحر الروم (البحر الأبيض المتوسط)، ومعطيات تقدم تحديدات جديدة.

– المعطيات التي تتعارض مع التحديدات الحالية:

يفترض الصيرافي أن بحر الروم يدور على بلاد الصين وبلاد الترك والخزر ويصب في خليج بحر الشام، وباعتبار أن التوطينات الحالية تحدد بحر قزوين على أنه بحر الخزر، وهو بحر داخلي، كما أنه لا يوجد ما يربط بين بلاد الصين والبحر الأبيض المتوسط، كما ان الصيرافي قرن بين اليمن والشام والروم وسلوقيا وجعلها تنتمي لنفس المجال الجغرافي، وهو ما لا يستقيم مع التوطينات الحالية، أي أننا إزاء تحديدات مغايرة.

أما المعطى الهام الذي ورد في عدد من النصوص، فهو أن المكان الذي يصب فيه النيل في بحر الروم، هو عند الإقليم الثالث، في حين يفترض أنه الإقليم الرابع حسب التوطينات الحالية، ما يؤكد على عدم اتساق التوطينات الحالية. كما ان عددا من النصوص حددت بحر القلزم على أنه بحر الفرما، وأن النيل يمر بينه وبين المفازة، في أرض الحبشة، وهو لا ينسجم مع التحديد الحالي للبحر الأبيض المتوسط.

ويشير المسعودي إلى أن المناطق الشمالية لبحر الروم تنعدم فيها الامطار وهو ما يتناقض مع التوطين الحالي حيث يفترض أن أوروبا التي توجد شمال المتوسط تعرف تساقطات مطرية مهمة، كما أن الدراسات المناخية الوسيطية تؤكد أن المنطقة كانت تعرف مناخا باردا بشكل كبير؛ إضافة لهذا فإن النصوص تؤشر على أن مياه بحر الروم عذبة وليست مالحة، وتعرف تواجد الدلافين النهرية التي تعيش في المياه العذبة. كما أن ملتقى نهر النيل ببحر الروم يتكون من عدة فروع متفرقة، يعرف أحدها بفرع الروم، بينما تود فروع أخرى، وهو ما يتناقض مع التوطينات الحالية للبحر الأبيض المتوسط على أنه بحر الروم.

بناء على هذا يمكن القول أن توطين بحر الروم على أنه البحر الأبيض المتوسط لا ينسجم والإشارات المصدرية التي توفرها نصوص الجغرافيا والرحلات الإسلامية من القرن الثاني الهجري إلى السادس الهجري، وأننا إزاء جغرافية أخرى مختلفة.

- تحديدات أساسية

من خلال تجميع الإشارات الواردة في النصوص، نجد أن الحقل التداولي لاسم بحر الروم يرتبط بالروم والشام ومصر، تعتبر مصر الثابث الواحد فيها، بينما تتغير الشام والروم لتعوض الواحدة منهما الأخرى، فيصح القول أن البحر الرومي = البحر الشامي، أو أن بحر مصر والشام = بحر مصر والروم، وهو ما يمكن أن يعتبر مؤشرا على اقتران الشام والروم؟ أو على الأقل انتماؤهما لمنطقة محاذية لبعضهما البعض؟ مع الإشارة إلى أن ابن قدامة أضاف إليه اسما يونانيا وهو أروفي.

تذهب أغلب الإشارات إلى اعتبار البحر الرومي مصب كل البحار الأخرى (الهند والصين والخزر)، وأنه ينبع من خليج بلاد الاندلس وطنجة حيث يحده جبلان (الأصح سلسلتان جبليتان)، الأول اشبرتال (القلال في روايات أخرى) الذي يمتد جنوبا إلى سلا، والثاني الأغر (جبل طارق في روايات أخرى) الذي يمتد شمالا إلى لبلة، ويتجه بحر الروم مشرقا حتى يمر على مصر والشام، فيصل إلى طرسوس، ثم ينعطف على بلدان الروم، ويصير جنوب جليقية إلى أن يصل إلى شنترين آخر حد بلاد الإسلام المحاذية لبلاد الروم.

تؤكد النصوص أن بحر الروم يوجد شمال أرض المغرب وجنوب ارض الأندلس، وأنه يقع بين بحر القلزم وحدود المغرب، كما يشير إلى أن بحر الروم يقع شمال أرض المغرب، لكن البكري يشير إلى أن بحر الروم يمر من السوس الأقصى من بلاد فارس والأهواز، وهو ما يطرح عددا من الأسئلة حول مسار هذا البحر، خاصة مع الإشارات النصية إلى أن بحرا الصين والروم يتقاربان بين الفرما والقلزم، مسيرة ليلة واحدة (بين ٢٢ و ٤٠ كلم).

معطيات جغرافية متنوعة

نجد عدة إشارات متنوعة للجغرافية البشرية والطبيعية للمنطقة، فحسب النصوص، يحضر معدن الذهب والحديد والفضة والنحاس، كما ان المرجان يخرج من

بحر الروم، أما بعض سكان الاندلس الذين يقعون على أطراف بحر الروم، فيشبهون الصقالبة، فهوم بيض وشعرهم أحمر، وعيونهم كالقطط.

تتباين الإشارات النصية حول المناخ فشمال بحر الروم في الأراضي المصرية يكون الجو قاحلا، أما بالتوجه للشمال أكثر، فإن المنطقة تعرف تساقطات ثلجية كثيرة، ويشير البكري إلى أن بحر الروم يبدأ بالهيجان منذ أن تسير الشمس في أول العقرب إلى الحوت (نونبر – مارس) أي فصل الشتاء، حيث يعرف الرياح والعواصف والاهوية خاصة في الناحية الشمالية.

أما الحديث عن مقدونية، فهو حديث عن تشكل ثلاث سرديات، جغرافية، وتاريخية وثقافية أو أنثربولوجية، تباينت في كرونولوجيتها، وفي دوافعها وفي مستوياتها أيضا، ويمكن تلمس أهم ملامحها في الآتي:

أولا: السردية الجغرافية:

كان لها سبق الظهور منذ القرن الثالث الهجري في كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه، قبل أن تتضح معالم جغرافية مقدونية في القرن الرابع الهجري، ثم يختفي هذا المحدد أو على الأقل يتضاءل، حيث كادت الإشارات الجغرافية تنعدم إلا فيما تعلق بجذور مقدونية والاسكندر وأصوله، وهو نقاش كان إثنيا أكثر منه جغرافيا، يحمل في طياته بعض الأسئلة القلقة المتعلقة بإعادة توطين التاريخ، وبوجود انقطاعات أدت إلى تشوش الرؤية عند الكتاب القدامى –كما قدموا إلينا على الأقل.

ثانيا: سردية انثروبولوجية:

بدأت هذه السردية على الخصوص منذ القرن الثامن الهجري، حيث حضر الاهتمام بالتاريخي والأنثربولوجي على حساب الجغرافي، وهو أمر لا يمكن أن يفسر إلا بالحاجة إلى معرفة الآخر، في ظل السياقات التي كان يشهدها العالم الإسلامي، وبداية الانحطاط الجغرافي/ السياسي.

لهذا كان من الطبيعي أن يتعدى حضور مقدونية المصادر التاريخية والجغرافية إلى المصادر الفقهية، حيث بدأت تتشكل كنقيض للصورة الفقهية السائدة، بوضعها كمنطقة جغرافية مرتبطة بالمعرفة العقلية والمنطقية، وبالتعددية الدينية المرادفة للشرك، وضد التوحيد، لتوجه إليها سهام النقد ومن خلالها إلى الخصوم "الايديولوجيين للفقهاء التقليديين" الممثلين في ابن تيمية على وجه الخصوص؛ وبهذا يمكن الجنوح إلى القول أن صورة مقدونية وإن كانت تبدو جغرافية إلا أنها في الواقع كانت متخيلا ثقافيا، أكثر منه واقعا جغرافيا في هذه المرحلة، وأنها رمزت للآخر المعرفي.

صفوة القول، فانطلاقا من القرن الثامن الهجري تحولت مقدونية في المصادر الإسلامية من مجرد مجال جغرافي، إلى مجال ثقافي ارتبط بالنقاشات والسجالات الداخلية أكثر من الخارجية، وهو ما يستحق دراسة متأنية وعميقة للمخيال والذاكرة الإسلامية وحضورها فيه.

ثالثا: سردية تاريخية جديدة

كان القرن التاسع الهجري، هو الأكثر وفرة من حيث النصوص حول مقدونية، والتي تنوعت واختلفت، وإن ظلت منحصرة في التحديدات الثلاثة (جغرافية، تاريخية، انثربولوجية)، إلا أن التحديدات التاريخية كانت هي الطاغية، حيث تم وضع أسس السردية الخلدونية التي أضافت الكثير من الأحداث، لم ترد في المصادر السابقة، وهو ما يستوجب دراسة متأنية لمصادر ابن خلدون فيها ومنطلقاته وخلفياته.

خلاصة القول، إذا كان القرن الثالث هو تاريخ تشكل السردية الجغرافية التي سرعان ما انطمست وغابت ملامحها، فإن القرن الثامن الهجري هو قرن تشكل السردية الثقافية أو الانثربولوجية لمقدونية، حيث وضعت على الطرف النقيض للرؤية الفقهية، وارتبطت بالمنطق والشرك والوثنية والتعددية؛ أما القرن التاسع الهجري، فقد كان عصر تشكل السردية التاريخية، حيث حضرت النصوص التاريخية والإشارات التاريخية بشكل لافت.

أما التحديدات الثلاثة التي تضمنتها المصادر، فيمكن تجميع مادتها على الشكل التالي:

١- الإشارات الجغرافية:

ارتبطت مقدونية بثلاثة مناطق جغرافية، هي أرض الروم، وأرض اليونان وأرض مصر:

أ- بلاد الروم

بعض المصادر جعلت مقدونية أحد أقاليم بلاد الروم طولها مسيرة خمسة عشر يوما، وعرضها مسيرة خمسة أيام (أي أن مجموع مساحتها هو ١٢٧٤٣١,٦٣ كلم)، وهو ما لا يستقيم ومساحة مقدونيا الحالية، يحدها من الاتجاهات الأربعة: الغرب: بلاد الصقالبة؛ الشرق: يحدها غربا السور المبنى من بحر الخزر إلى بحر الشام؛ الجنوب: بحر الشام؛ الشمال: تراقية، وبرجان؛ والمسافة من عرض بحر الخزر إلى أن يصل إلى بلاد مقدونية هو مسيرة ٣ أيام أي ١٢٣,٦٦ كلم، وطوله (بحر الخزر) مسيرة ١١ يوما أي ٤٥٢,٢٢ كلم.

ب- بلاد اليونان

اقترنت مقدونية كذلك ببلاد اليونان في عدد من النصوص، حيث اعتبرت أن بلاد مقدونية كانت ضمن بلاد اليونانيين، ومنها بدأ ملكهم.

ت- بلاد مصر

ربطت عدد من النصوص بين مصر ومقدونيا، فأغلب النصوص أشارت إلى أن مقدونية هو الإسم القديم لمصر، منهم صاحب صفة جزيرة العرب الذي أكد انها مصر قديما، وحددت مساحة مصر في أنها مسيرة شهر في شهر (أي ١٥٢٩١٧٩,٥٦ كلم).

وأشارت نصوص أخرى إلى أنها من كور مصر السابعة وأنها قبل الصعيد، إذ ذكر الريف واسكندرية ثم مقدونية ثم الصعيد، واعتبرت نصوص أخرى ان حدودها تقف عند الصعيد وتمتد من الإسكندرية إلى حد الصعيد الأعلى. بينما ذهبت بعض

النصوص إلى القول بأن قصبتها (عاصمتها او حاضرتها) هي الفسطاط، ومن مدنها العزيزية والجيزة وعين الشمس؛ وتمتد من شجرتين بين رفح والعريش إلى اسوان، وعرضها من برقة إلى أيلة، بينما جعلتها نصوص أخرى هي مدينة أقنينة، قبل ان يتغير اسمها إلى مقدونية.

أشارت بعض المصادر الجغرافية أيضا إلى أن مقدونية تتموقع ضمن مثلث الثور والعذراء والجدي، حيث تخضع فلكيا للزهرة وزحل وعطارد، وهي ضمن مدار الجدي

٢- الإشارات التاريخية

ارتبطت هذه الإشارات بعدة قصص واخبار، كان أهمها الاسكندر المقدوني الذي يحضر بشكل لافت في النصوص التاريخية والجغرافية؛ بينما وردت إشارات أخرى بخصوص التقويم، حيث جعلت التقويم مرتبطا بوصول الاسكندر للحكم، إضافة إلى ذلك وردت إشارة أخرى ربطت بين مقدونية وسيف الدولة، حيث جعلت طريق مقدونية ضمن ممتلكات سيف الدولة، حيث يشير إلى إحدى معاركه فيها، وهو ما يطرح أكثر من علامة استفهام؟

كما وردت إشارات متنوعة، كارتباط مقدونية بكليوباطرة وبطليموس، وتنبيء هذه الإشارات عن تضارب المؤرخين في تحديد جذور مقدونية وأصولها، وانقسامهم إلى قائل بين الأصل الرومي واليوناني والأصل المصري، دون ان يدلل أي منهما على موقفه، خاصة مع إهمال التحديدات الجغرافية.

بداية من القرن التاسع الهجري سنعثر على إشارات تاريخية غير مسبوقة، بخصوص مقدونية، وارتبطت بأحداث كثيرة، لم تنقلها عن المصادر السابقة (المعروفة على الأقل)، منها نصوص منقولة من نصوص دينية، والمقصود سفر المكابيين التي أوردها بالخصوص ابن خلدون في تاريخه، حيث أشار في النص الثالث إلى سيطرة أنطوخيوس صاحب مقدونية على مصر، وامتناع اليهود عنه، واستغرق فصولا طويلة في تفصيل صراع انطوخيوس مع اليهود وهزيمته.

إضافة إلى نصوص تتضمن أحداثا ووقائع جديدة لم ترد في مصادر سابقة، كقصة كيساوس المقدوني، وأرطحشاشت وفلوماط وتحالفه مع النوبيين، ضد الروم، وهجوم الترك على مقدونية وانهزامهم أمام الروم، ويمكن اعتباره الظهور الأول للترك على مسرح الاحداث في المصادر التاريخية، إضافة إلى تغلب القوط على مقدونية وبلاد الغريقيين، ونجاح غلينوش في دفعهم عن بلاده.

٣- الإشارات الأنثربولوجية

قدمت النصوص التاريخية والجغرافية- عددا من الخصائص والسمات الأنثربولوجية لسكان مقدونيا، فهم متشاهبين في الصور أكثر من غيرهم، ومعتدلي الأبدان والأنفس؛ يحبون الأغاني المليحة والتعليم والجهاد والتنظيف؛ وهم أيضا أصحاب سياسة أشداء غير خاضعين محبين للحرية، ولكل منهم رياسته وسنته، يحبون الملك، ولا يشتركون في الأشياء السنة؛ كما انهم مضيافون ومواسون، يحبون إضافة الغرباء والعدل والكتاب واستعمال الكلام، وكتم الأسرار.

لكن السمة الأكثر بروزا كانت ارتباط مقدونية بالحكمة والحكماء والفلسفة، حيث اعتبرت عاصمتهم وأرضهم بامتياز، كما وردت إشارات بخصوص الطبيعة الاعتقاد لمقدونية حيث أشارت بعض النصوص إلى أن المنطقة كانت بديانة توحيدية، بينما أشارت نصوص أخرى إلى أنها كانت مسيحية، وجعلتها نصوص أخرى متعددة الديانات.

وأخيرا الجزيرة الخضراء التي كان يفترض أنها كانت موقعا مركزيا في هذه المرحلة، إلا أنه لم يتم الاهتمام الجغرافي به، حيث تباينت الإشارات إليه بحسب طبيعة المصادر واهتمامات مؤلفيها، وتنوعت بين الجغرافية والتاريخية والسياسية والاقتصادية والثقافية والدينية.

ففي القرن الثالث الهجري، تكاد تنعدم الإشارات إلى الجزيرة الخضراء، باستثناء ما ورد في قلائد العقيان، وهي إشارة ذات طبيعة تاريخية؛ أما في القرن الرابع الهجري فقد وردت الإشارة إلى الجزيرة الخضراء في عدة نصوص ارتبطت فيها كلها

ببلاد الأندلس، حيث ورد ذكرها ضمن قائمة بأسماء لمدن وكور الأندلس، كما وردت إشارات إلى قربها من سبتة، وإلى أهميتها الاقتصادية كمصدر للمرجان، وإلى التنظيم الإداري بها.

وفي القرن الخامس الهجري، وردت إشارات إلى طبيعتها الجبلية، وإلى الثورات والصراعات على السلطة التي شهدتها، وإلى الحركة الثقافية النشطة التي عرفتها، وإلى أهميتها كموقع استراتيجي وعسكري. بينما تميزت نصوص القرن السادس الهجري، بالإشارة إلى موقعها الاستراتيجي الهام مع ربطها بالأندلس دوما، حيث اعتبرت بوابة الأندلس ومفتاح الدخول إليها من المغرب، كما وردت إشارات إلى طبيعتها الجغرافية، وإلى دورها في الفتح الإسلامي للأندلس، وإلى الأحداث السياسية التي شهدتها، وإلى الحراك الثقافي والعلمي بها، وإلى إشكالية تسميتها.

وفي القرن السابع الهجري، وردت أول إشارة إلى أن الجزيرة الخضراء توجد أيضا ببلاد الزنج، والملاحظ أن هذه الإشارة قد مرت دون أي إضافات أو تحديد، بل يمكن القول إنه وعلى غير عادة المصادر الإسلامية في التفريق بين الأماكن الجغرافية كما وردت إشارات إلى موقعها الاستراتيجي وميناءها البحري النشط، وإلى دورها في الفتح الإسلامي للأندلس، وإلى الأحداث السياسية والثورات التي شهدتها، وإلى الحراك الثقافي والعلمي بها، وإشكالية تسميتها، وارتباطها بأرض البربر.

وفي القرن الثامن الهجري، أجمعت الإشارات المرتبطة بالجزيرة الخضراء أنها كانت من أهم المدن الأندلسية، وذلك لموقعها الاستراتيجي الهام، ما أهلها لأن تصبح مركزًا تجاريًا هامًا، كما وردت إشارات إلى طبيعتها الجغرافية، وإلى الأحداث التاريخية الهامة التي شهدتها، وإلى الشخصيات البارزة التي عاشت فيها، وإلى القصص الأسطورية التي ارتبطت بها، وإلى دورها في الصراع بين المسلمين والنصارى.

وفي القرن التاسع الهجري، وردت إشارات إلى موقعها الجغرافي وتاريخها، وإلى الأحداث التاريخية التي شهدتها، وإلى الشخصيات البارزة التي عاشت فيها، وإلى القصص الأسطورية التي ارتبطت بها، وإلى أهميتها في الجواز إلى الأندلس.

ومن الملاحظات التي يمكن إبداءها في هذا السياق حضور السودان والبربر بشكل كبير في تاريخ الجزيرة الخضراء، في الآن نفسه الذي ورد الحديث عن الجزيرة الخضراء الموجودة ببلاد الزنج والقريبة من بلاد بربرا، دون أن يتم ايراد معطيات أخرى حولها، وهو ما قد يدفع لمزيد من التساؤلات عن سبب هذا التغييب للجزيرة الخضراء "الزنجية".

إضافة إلى هذا، وعلى عكس المناطق، فإن المصادر الجغرافية والتاريخية على حد سواء لا تفصل في جغرافية الجزيرة الخضراء رغم أهميتها التاريخية، وغياب هذا الوصف يزيد من صعوبة التحديد الواضح للجزيرة، بل إن الجزيرة كان دوما يتم تحديده بالاستناد لمناطق أخرى كجبل طارق أو سبتة أو طنجة او بحر الروم، وفي الان نفسه تغيب الجزيرة جغرافية وتحضر تاريخيا وهو ما يدفع للتساؤل عن سبب هذا الغياب أو التغييب.

إن كل ما سبق يدفع إلى القول أننا أمام مجالات جغرافية متباينة لا تستقيم والسردية التاريخية والجغرافية الحالية، وأن هذه الجغرافيات لم تكن واحدة بل كانت أسماء متعددة يحتمل أنها تمثلات ثقافية أكثر منها مجالات جغرافية، وأن كتابة تاريخ "أوروبا" في المصادر العربية الإسلامية، لم تكن بريئة، بل كانت خاضعة لتجاذبات معرفية وأيديولوجية وسياسية، وعملية متطورة، فالتشكل الأوروبي في مقابل الإسلامي أو الشرقي، إذا وظفنا مفهوم التقابل الذي عمل به جاك لوكوف، لم يكن معطى جاهزا ونهائيا وراسخا، بل متحولا ومتغيرا.

وهنا يجوز طرح السؤال، إذا كانت صورة أوروبا متحولة ومتغيرة، فهل كان هذا التحول ثقافيا فقط أم أنه امتد ليشمل البنية الجغرافية والهوياتية أيضا؟ وهل يعني

ذلك أن 'أوروبا' كما نعرفها اليوم كانت غائبة أو مشوشة في تلك الفترة؟ سؤال يظل مفتوحا للقراءة والتدقيق، وإعادة مساءلة البديهيات واليقينيات الراسخة، عبر حفر أركيولوجي –بالمفهوم الفوكوي– في تاريخ تشكل الخرائطية الجغرافية والثقافية والهوياتية لأوروبا في المصادر العربية الإسلامية، يمكن أن يكشف ربما عن سرديات تاريخية جديدة، تعيد الاعتبار للهامشي والمنسي.

الملاحق

الملحق ٠١: دوائر الأرض حسب الهمداني

الدائرة	طول ساعات النهار	الحدود
الأولى (الدائرة العظمى)	يستوي الليل والنهار في ساعاتهم	دائرة خط الاستواء
الثانية	أقصى ساعات النهار فيها خلال الاعتدال اثنتي عشرة ساعة وربعا	ترسم مارة بالجزيرة المسماة: طبروباني
الثالثة	أطول ما يكون من النهار فيها اثنتي عشرة ساعة ونصفا	بعد هذه الدائرة من معدل النهار وخط الاستواء ثمانية أجزاء وخمس وعشرون دقيقة، ترسم مارة بالخليج المسمى أواليطيس
الرابعة	أطول ما يكون من النهار فيها اثنتي عشرة ساعة ونصفا وربع ساعة	بعد هذه الدائرة من معدل النهار اثنا عشر جزءا ونصف جزء، وترسم مارة بالخليج المسمى أودوليطيقوس
الخامسة	أطول ما يكون من النهار فيها ثلاث عشرة ساعة	بعد هذه الدائرة من معدل النهار ستة عشر جزءا وسبع وعشرون

		دقيقة، وترسم مارة بالجزيرة المسماة ما روى
السادسة	أطول ما يكون من النهار فيها ثلاث عشرة ساعة وربعا من ساعات الاستواء	بعد هذه الدائرة من معدل النهار عشرون جزءا وأربع عشرة دقيقة، وترسم مارة بالمواضع المسماة ناباطو
السابعة	أطول ما يكون من النهار فيها ثلاث عشرة ساعة ونصفا من ساعات الاستواء	بعد هذه الدائرة من معدل النهار، ثلاثة وعشرون جزءا وإحدى وخمسون دقيقة ... وترسم مارة بالجزيرة المسماة سوينى...
الثامنة	أطول ما يكون من النهار فيها ثلاث عشرة ساعة ونصفا وربعا من ساعات الاستواء	بعد هذه الدائرة من معدل النهار سبعة وعشرون جزءا وخمس جزء، وترسم مارة بالمدينة المسماة بطولامايس وهي المعروفة بأرميس فيبلاد تيبايس
التاسعة	أطول ما يكون من النهار فيها أربع عشرة ساعة من ساعات الاستواء	بعد هذه الدائرة من معدل النهار ثلاثون جزءا واثنتان وعشرون دقيقة، وترسم مارة بأسفل أرض

		مصر وما أخذها شرقا وغربا
العاشرة	أطول ما يكون النهار فيها أربع عشرة ساعة وربعا من ساعات الاستواء	بعد هذه الدائرة من معدل النهار ثلاثة وثلاثون جزءا وثماني عشرة دقيقة، وترسم مارة بوسط بلاد الشام
الحادية عشر	أطول ما يكون من النهار فيها أربع عشرة ساعة ونصفا من ساعات الاستواء	بعد هذه الدائرة من معدل النهار ستة وثلاثون جزءا، وترسم مارة بالجزيرة المسماة رودس
الثانية عشر	أطول ما يكون من النهار فيها أربع عشرة ساعة ونصفا وربعا من ساعات الاستواء	بعد هذه الدائرة من معدل النهار ثمانية وثلاثون جزءا وخمس وثلاثون دقيقة، وترسم مارة بالجزيرة المسماة بسمورنا
الثالثة عشر	أطول ما يكون من النهار بها خمس عشرة ساعة من ساعات الاستواء	بعد هذه الدائرة من معدل النهار أربعون جزءا وست وخمسون دقيقة، ترسم مارة بالبلاد المسماة السنطس

الرابعة عشر	أطول ما يكون من النهار فيها خمس عشرة ساعة وربعا من ساعات الاستواء	بعد هذه الدائرة من معدل النهار ثلاثة وأربعون جزءا وأربع دقائق، وترسم مارة بالجزيرة المسماة ماساليا
الخامسة عشر	أطول ما يكون من النهار فيها خمس عشرة ساعة ونصفا من ساعات الاستواء	بعد هذه الدائرة من معدل النهار خمسة وأربعون جزءا ودقيقة واحدة، وترسم مارة بوسط بحر (بنطس)
السادسة عشر	أطول ما يكون من النهار فيها خمس عشرة ساعة ونصفا وربعا من ساعات الاستواء	بعد هذه الدائرة من معدل النهار ستة وأربعون جزءا وإحدى وخمسون دقيقة، ترسم مارة بعيون النهر المسمى اسطروس
السابعة عشر	أطول ما يكون النهار فيها ست عشرة ساعة مستوية	بعد هذه الدائرة من معدل النهار ثمانية وأربعون جزءا واثنتان وثلاثون دقيقة وترسم مارة بمخارج النهر المسمى بورسطانس

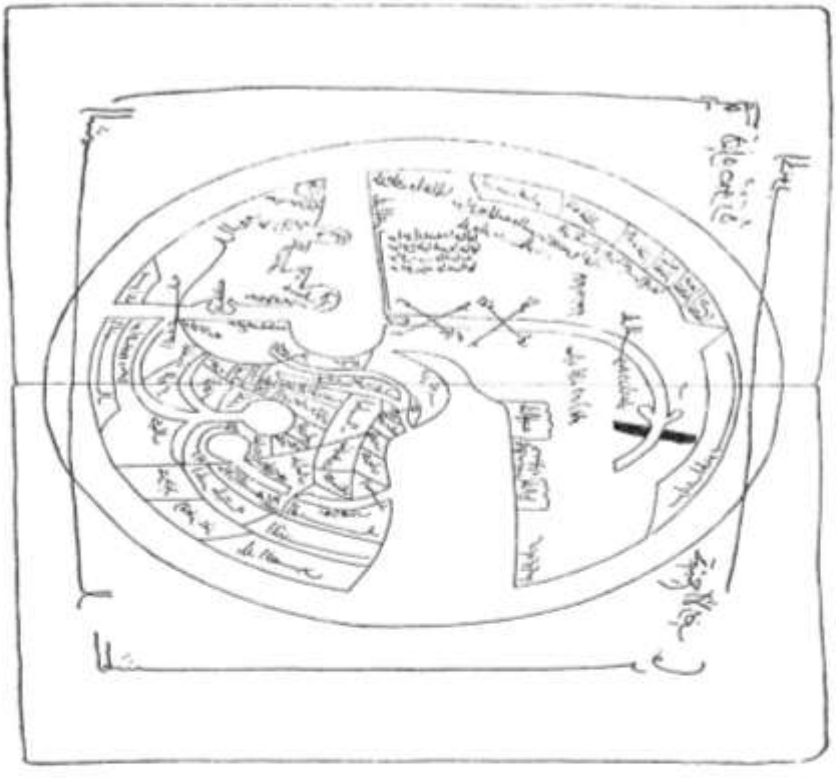
الثامنة عشر	أطول ما يكون من النهار فيها ست عشرة ساعة وربعا من ساعات الاستواء	بعد هذه الدائرة من معدل النهار خمسون جزءا وأربع دقائق، وترسم مارة بوسط البحيرة المسماة ما أوطس
التاسعة عشر	أطول ما يكون من النهار فيها ست عشرة ساعة ونصفا من ساعات الاستواء	بعد هذه الدائرة من معدل النهار واحد وخمسون جزءا ونصف جزء، وترسم مارة بأقاصي ناحية الجنوب من بلاد برطانيا
العشرون	أطول ما يكون من النهار فيها ست عشرة ساعة ونصفا وربعا من ساعات الاستواء	بعد هذه الدائرة من معدل النهار اثنان وخمسون جزءا وخمسون دقيقة، وترسم مارة بمغايض رينس
الواحد والعشرون	أطول ما يكون من النهار فيها سبع عشرة ساعة مستوية	بعد هذه الدائرة من معدل النهار أربعة وخمسون جزءا ودقيقة واحدة، وترسم مارة بمغايض طانايس
الثانية والعشرون	أطول ما يكون من النهار فيها سبع عشرة ساعة وربعا من ساعات	بعد هذه الدائرة من معدل النهار خمسة وخمسون جزءا، وترسم

	الاستواء	مارة بالموضع المسمى بريغانطيس من بلاد برطانيا الكبرى
الثالثة والعشرون	أطول ما يكون النهار فيها سبع عشرة ساعة ونصفا من ساعات الاستواء	بعد هذه الدائرة من معدل النهار ستة وخمسون جزءا، وترسم مارة بوسط بلاد برطانيا الكبرى
الرابعة والعشرون	أطول ما يكون النهار فيه سبع عشرة ساعة ونصفا وربعا من ساعات الاستواء	بعد هذه الدائرة من معدل النهار سبعة وخمسون جزءا، وترسم مارة بالموضع المسمى قاطورقطونيس من بلاد برطانيا
الخامسة والعشرون	أطول ما يكون من النهار فيها ثماني عشرة ساعة من ساعات الاستواء	بعد هذه الدائرة من معدل النهار ثمانية وخمسون جزءا، وترسم مارة بنواحي الجنوب من بلاد برطانيا الصغرى
السادسة والعشرون	أطول ما يكون النهار فيها ثماني عشرة ساعة ونصفا من ساعات الاستواء	بعد هذه الدائرة من معدل النهار تسعة وخمسون جزءا ونصف جزء وترسم مارة بالمواضع الوسطى من بلاد برطانيا

		الصغرى.
السابعة والعشرون	أطول ما يكون النهار فيه تسع عشر ساعة من ساعات الاستواء	بعدها من معدل النهار أحد وستون جزءا وترسم مارة بأقاصي الشمال من بلاد برطانيا الصغرى..
الثامنة والعشرون	أطول ما يكون من أيام النهار فيه تسع عشرة ساعة ونصف ساعة من ساعات الاستواء.	بعدها من معدل النهار اثنين وستين جزءا وترسم مارة بالجزيرة المسماة أبودوهي اورنقى..
التاسعة والعشرون	أطول ما يكون النهار فيه عشرون ساعة من ساعات الاستواء	بعدها من معدل النهار ثلاثة وستين جزءا وترسم مارة بالجزيرة المسماة ثولي...
الثلاثون	أطول ما يكون من النهار فيه إحدى وعشرون ساعة من ساعات الاستواء	بعدها من معدل النهار أربعة وستون جزءا ونصف جزء وترسم مارة بأمم لا يعرفون ولا يعدون من الصقالبة
الواحدة	أطول ما يكون من النهار فيه اثنتان وعشرون ساعة من ساعات	بعدها من معدل النهار خمسة

وثلاثون	الاستواء	وستون جزءا ونصف جزء
الثانية وثلاثون	أطول ما يكون فيه النهار ثلاث وعشرون ساعة من ساعات الاستواء	بعدها من معدل النهار ستة وستين جزءا
الثالثة وثلاثون	أطول ما يكون النهار فيه أربع وعشرون ساعة من ساعات الاستواء	بعدها من معدل النهار ستة وستون جزءا ونصف جزء.

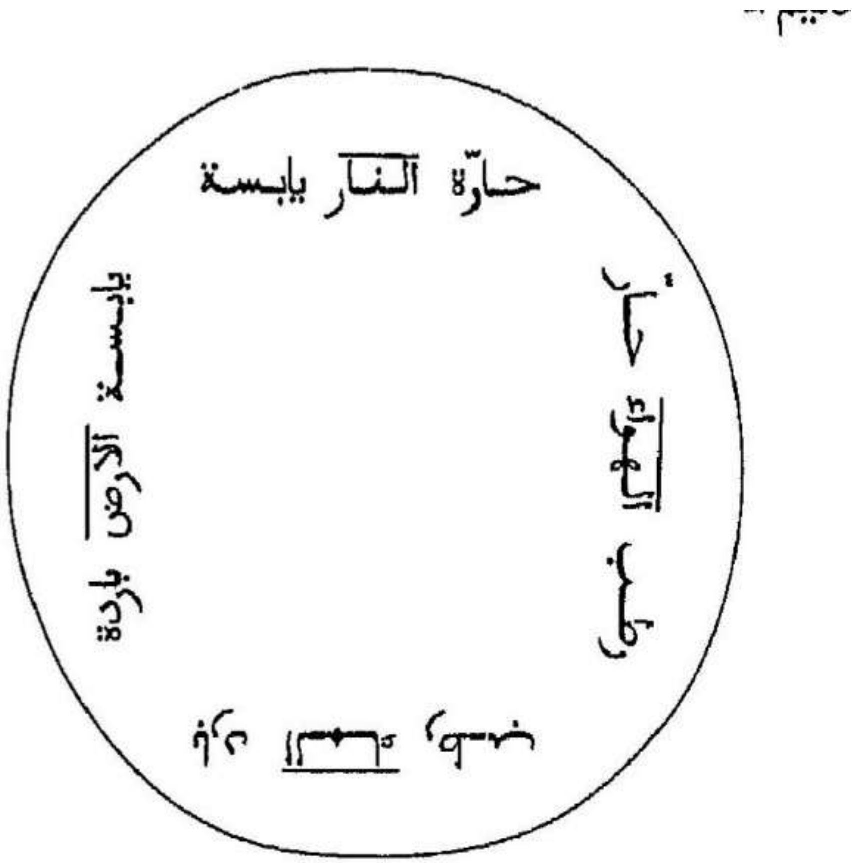
الملحق ٠٢: صورة الأرض حسب ابن حوقل

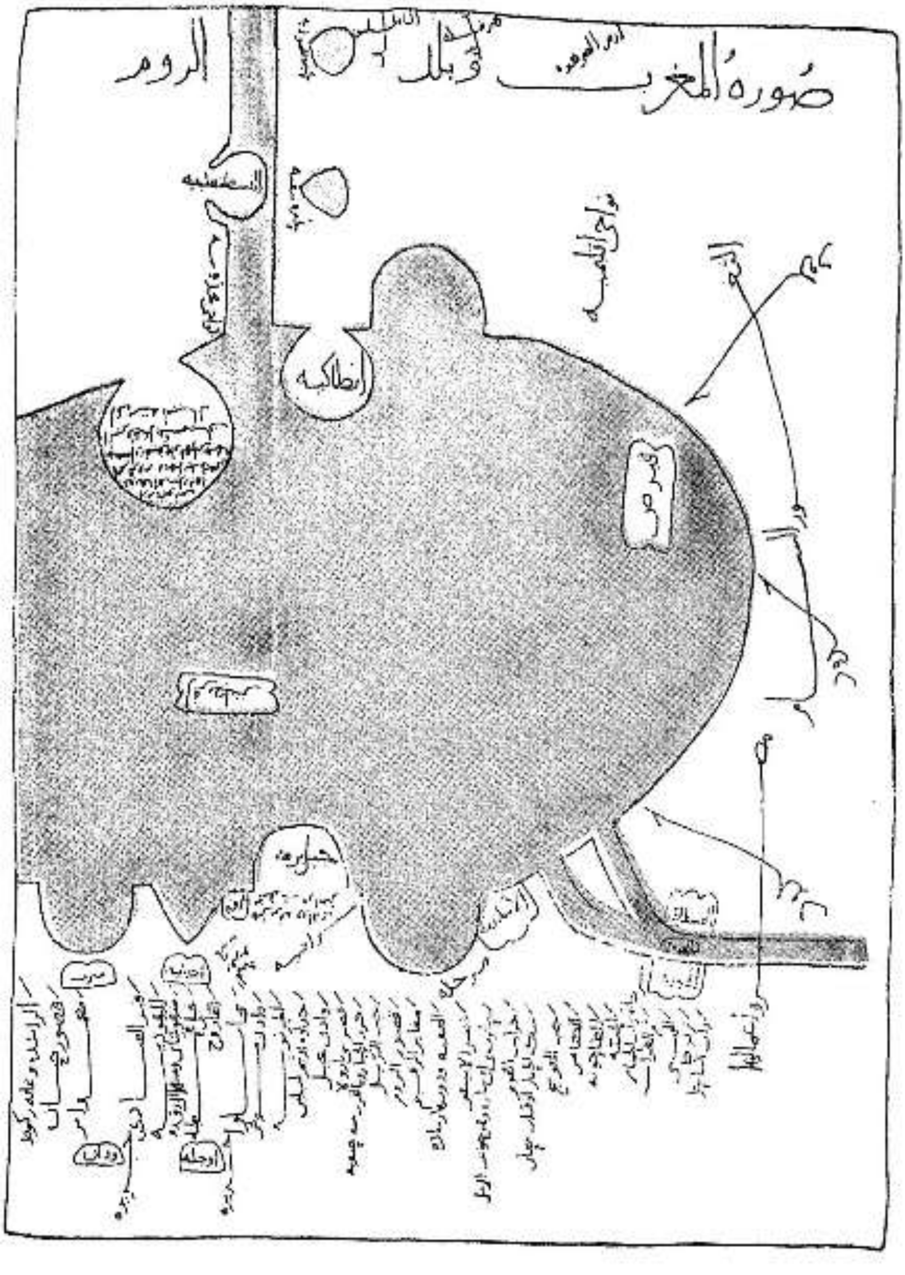


الملحق ٠٣: صورة الأرض حسب الشريف الإدريسي

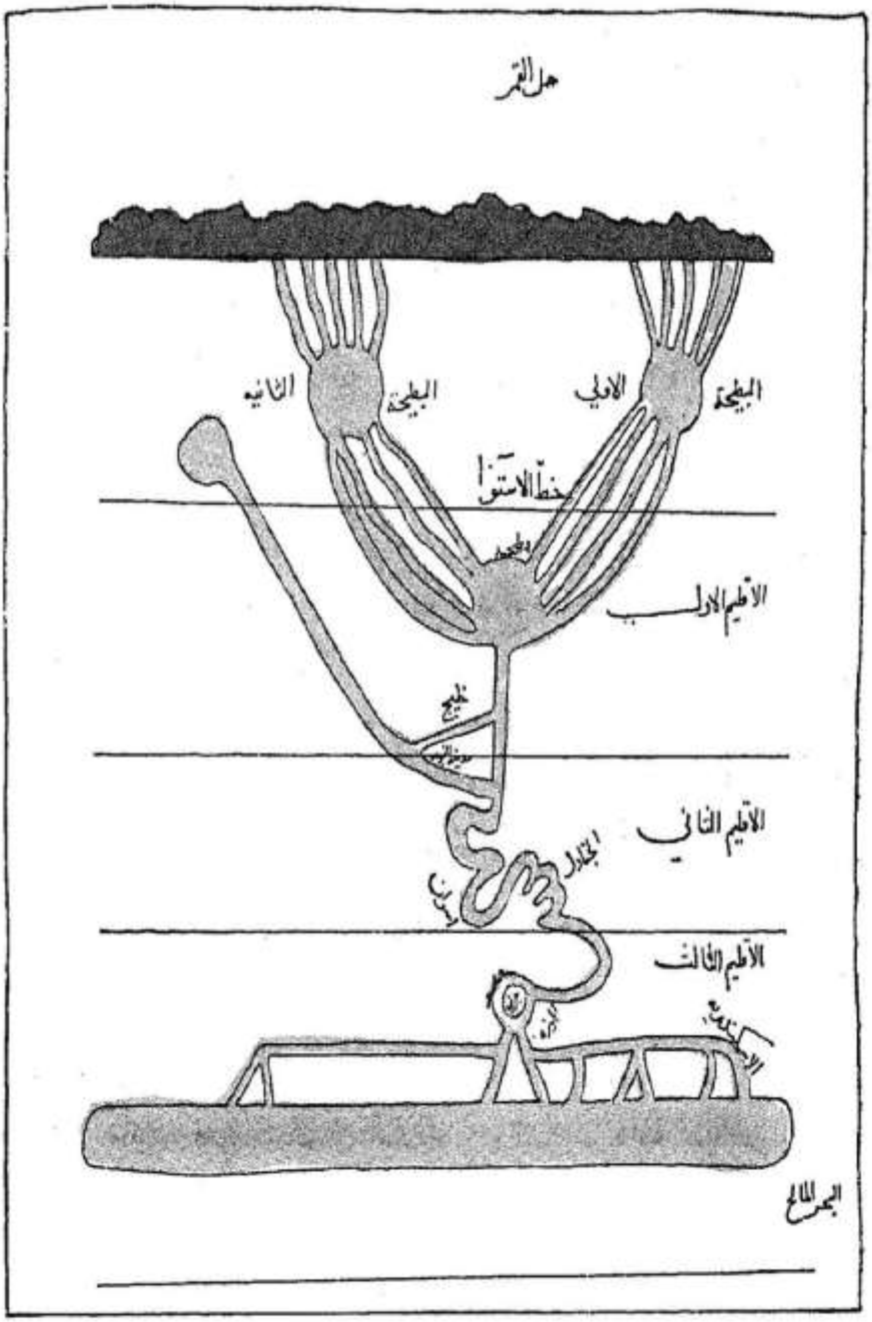


الملحق ٠٤: جهات الأرض حسب ابن خرداذبه

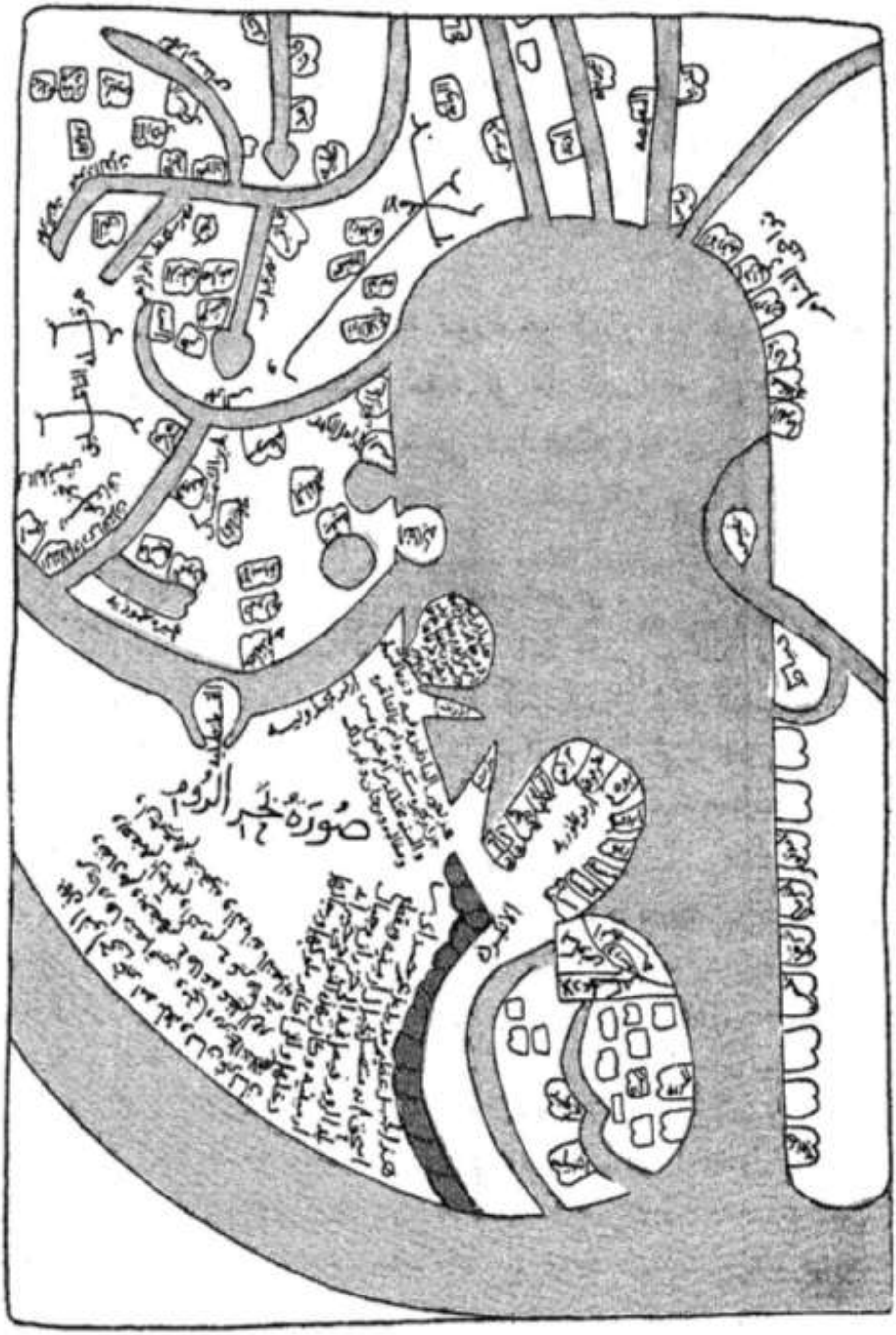




الملحق ٠٥: صورة المغرب وبلاد الروم عند ابن حوقل



الملحق ٠٦: أقاليم الأرض عند ابن حوقل



الملحق ٠٧ : بحر الروم عند ابن حوقل



الملحق ٠٨: صورة الأندلس عند الإدريسي



الملحق ٠٩: جزيرة قبرس عند الإدريسي

البيبليوغرافيا

أولا: المصادر العربية

١- ابن الأثير عز الدين، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، الجزء الأول.

٢- ، "اللباب في تهذيب الأنساب"، دار صادر، بيروت -لبنان، د.ط، ١٩٨٠، الجزء الأول.

٣- الإدريسي الشريف محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحسني الطالبي، "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، عالم الكتب بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩.

٤- ابن أبي أصيبعة أبو العباس، "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت، د.ط، د.ت.

٥- الأصفهاني حمزة بن الحسن، "التنبيه على حدوث التصحيف"، تحقيق محمد أسعد طلس، دار صادر بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٢.

٦- البتاني محمد بن جابر البستاني الحراني الرقي الصابيء أبو عبد الله، "زيج الصابئ"، نسخة الكترونية ضمن المكتبة الشاملة.

٧- البغوي أبو محمد الحسين، "معالم التنزيل في تفسير القرآن"، تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٩٩٧، الجزء السابع.

٨- ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، عني بنشره وصححه وراجع أصله: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، ١٩٥٥.

٩- بكري حسين الديار، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، دار صادر-بيروت، د.ط، د.ت، الجزء الأول.

١٠- البكري أبو عبيد الله، "المسالك والممالك"، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة، دار الغرب الإسلامي، د.ط، ١٩٩٢.

١١- البلاذري أحمد بن يحيى، "فتوح البلدان"، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ط، ١٩٨٨.

١٢- البلخي الخوارزمي محمد بن أحمد بن يوسف أبو عبد الله الكاتب، "مفاتيح العلوم"، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٩.

١٣- البيروني أبو الريحان، "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦.

١٤- التطيلي الرابي بنيامين بن الرابي يونة النباري الاسباني اليهودي، "رحلة بنيامين التطيلى" المجمع الثقافي أبو ظبي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢.

١٥- التوحيدي أبو حيان علي بن محمد بن العباس، "الإمتاع والمؤانسة"، مراجعة هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١١.

١٦- ابن تيمية تقي الدين، "بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية"، تحقيق يحيى بن محمد الهنيدي وآخرون، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة-السعودية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥، الجزء ٢.

١٧- ---، "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح"، تحقيق علي بن حسن، عبد العزيز بن إبراهيم وحمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٩٩٩، المجلد الأول.

١٨- ---، "مجموع الفتاوى"، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة- السعودية، ٢٠٠٤، الجزء ١٧.

١٩- الثعلبي أبو إسحاق، "الكشف والبيان عن تفسير القرآن"، تحقيق أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، الجزء التاسع.

٢٠- ابن جبير أبو الحسين، "رحلة ابن جبير"، دار ومكتبة الهلال، د.ت، د.ط.

٢١- الجرجاني عبد القاهر، "درج الدرر في تفسير الآي والسور"، تحقيق وليد بن أحمد بن صالح الحسين، مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة الأولى ٢٠٠٨، الجزء الثالث.

٢٢- الجوزي جمال الدين أبو الفرج، "زاد المسير في علم التفسير"، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، الجزء الثاني.

٢٣- حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله، "سلم الوصول إلى طبقات الفحول"، تحقيق محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسكيا، تركيا، ٢٠١٠، المجلد الأول.

٢٤- --- ، "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"، تحقيق وتعليق إكمال الدين إحسان أوغلي، وبشار عواد معروف، ومهران محمود الزعيمي، ومحمود بشار العبيدي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ومركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن، إنجلترا، الطبعة الأولى ٢٠٢١، الجزء ١.

٢٥- ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة ٢، ١٩٨٧.

٢٦- الحموي ياقوت شهاب الدين، "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣، الجزء الثاني.

٢٧- ---، "معجم البلدان"، دار صادر بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٥.

٢٨- الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، "الروض المعطار في خبر الأقطار"، تحقيق عباس إحسان، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠.

٢٩- ---، "صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار"، تصحيح وتعليق ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت -لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٨.

٣٠- ابن حوقل البغدادي أبو القاسم محمد، "صورة الأرض"، دار صادر، أفست، ليدن، بيروت، ١٩٣٨، المجلد الأول.

٣١- بن خاقان أبو نصر الفتح، "قلائد العقيان في محاسن الرؤساء والقضاة والكتاب والأدباء والأعيان"، المطبعة الأميرية- بولاق، سنة ١٨٦٦.

٣٢- ابن خرداذبه أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، "المسالك والممالك"، دار صادر، أفست ليدن، ١٨٨٩.

٣٣- خسرو أبو معين الدين ناصر الحكيم القبادياني المروزي، "سفر نامه"، تحقيق يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣.

٣٤- ابن خلكان شمس الدين، "وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان"، تحقيق إحسان عباس، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، ١٩٧١.

٣٥- ابن خلدون عبد الرحمان، "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت –لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٨، الجزء الأول.

٣٦- خوجة حمدان بن عثمان، "المرآة"، تحقيق وتعريب محمد العربي الزبيري، منشورات **ANEP** – المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية – وحدة الرغاية –الجزائر، ٢٠٠٦.

٣٧- الدميري كمال الدين، "حياة الحيوان الكبرى"، دار الكتب العلمية، بيروت، الجزء الأول.

٣٨- ابن أبي الدنيا، "إصلاح المال"، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣.

٣٩- الدواداري أبو بكر بن عبد الله بن أيبك، "كنز الدرر وجامع الغرر"، تحقيق ادوارد بدين، عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٩٩٤، ج.٢.

٤٠- الدينوري ابن قتيبة، "المعارف"، تحقيق ثروت عكاشة، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢، الجزء الأول.

٤١- الذهبي شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣، الجزء ٢٧.

٤٢- الرازي ابن أبي حاتم، "تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق اسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، الطبعة الثالثة، الجزء الثامن.

٤٣- ابن رشد أبو الوليد محمد، "تلخيص الخطابة"، تحقيق محمد سليم سالم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٧.

٤٤- الزمخشري جار الله، "ربيع الأبرار ونصوص الأخيار"، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، المجلد الرابع.

٤٥- سبط ابن الجوزي، "مرآة الزمان في تواريخ الأعيان"، تحقيق وتعليق محمد بركات وكامل الخراط وعمار ريحاوي، دار الرسالة العالمية، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٣، المجلد الثاني.

٤٦- السمرقندي أبو الليث نصر، "بحر العلوم"، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود وزكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣، الجزء الثالث.

٤٧- السمعاني أبو المظفر، "تفسير القرآن"، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، الجزء السادس، ص ١٦٦.

٤٨- السيرافي أبو زيد حسن بن يزيد، "رحلة السيرافى"، تحقيق عبد الله الحبشي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، د.ط، ١٩٩٩.

٤٩- السيوطي جلال الدين، "حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة"، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية وعيسى البابي وشركاه-مصر، الطبعة الأولى، ١٩٦٧، الجزء الأول.

٥٠- الشنتريني ابن بسام، "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، الدار العربية للكتاب، تونس-ليبيا، الطبعة الأولى ١٩٨٩، المجلد السابع.

٥١- الشهرستاني أبو الفتح، "الملل والنحل"، مؤسسة الحلبي، د.ط، د.ت، المجلد الثاني.

٥٢- الاصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، "المسالك والممالك"، دار صادر بيروت، ٢٠٠٤.

٥٣- الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك، "نكث الهميان في نكت العميان"، تعليق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.

٥٤- ---، "الوافي بالوفيات"، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ٢٠٠٠، الجزء ١٣.

٥٥- الطبري محمد بن جرير، "تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري"، دار التراث، بيروت، ١٩٦٧، الطبعة الثانية، الجزء الثامن.

٥٦- ---، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث، د.ت، د.ط، الجزء ١٨.

٥٧- الطرطوشي أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري، سراج الملوك، من أوائل المطبوعات العربية، مصر، ١٨٧٢.

٥٨- الضبي أبو جعفر، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧.

٥٩- ابن العبري أبو الفرج، "تاريخ مختصر الدول"، تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢، المجلد الأول.

٦٠- ابن العديم كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي الحلبي، "بغية الطلب في تاريخ حلب"، تحقيق المهدي عيد الرواضية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ومركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن-إنجلترا، الطبعة الأولى، ٢٠١٦، الجزء ٤.

٦١- العمري ابن فضل الله، "التعريف بالمصطلح الشريف"، تحقيق وتعليق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٨.

٦٢- "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، المجمع الثقافي أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، المجلد التاسع.

٦٣- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل، "المختصر في أخبار البشر"، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى، الجزء ١، ص ٨٤.

٦٤- ابن الفقيه أبو عبد الله احمد ابن محمد بن إسحاق الهمداني، "البلدان"، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦.

٦٥- ابن قدامة أبو الفرج قدامة بن جعفر، "الخراج وصناعة الكتابة"، دار الرشيد للنشر، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨١.

٦٦- القرطبي ابن حيان القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

٦٧- القرطبي شمس الدين، "الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام"، تحقيق أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة، د.ت، د.ط.

٦٨- القزويني زكريا بن محمد بن محمود، "آثار البلاد وأخبار العباد"، دار صادر، د.ت، د.ط، بيروت-لبنان.

٦٩- القفطي جمال الدين، "إخبار العلماء بأخبار الحكماء"، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥.

٧٠- القلقشندي أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د.ط، ١٩٨٧، الجزء الخامس.

٧١- الماتريدي أبو منصور، "تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة"، تحقيق مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥، الجزء الثامن.

٧٢- الماوردي أبو الحسن علي، "تفسير الماوردي - النكت والعيون"، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، د.ط، د.ت، الجزء الثالث.

٧٣- مجاهد أبو الحجاج بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، تفسير مجاهد، تحقيق محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٨٩.

٧٤- مجهول، "حدود العالم من المشرق إلى المغرب"، تحقيق السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة ٢٠٠٣.

٧٥- المسعودي أبو الحسن، "أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع –بيروت، ١٩٩٦.

٧٦- المسعودي أبو الحسن، "التنبيه والإشراف"، تصحيح عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، الجزء الأول.

٧٧- المقدسي البشاري أبو عبد الله محمد بن أحمد، "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩١.

٧٨- المقدسي المطهر بن طاهر، "البدء والتاريخ"، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد-مصر، ج ٤.

٧٩- مقديش محمود، "نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار"، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، ج ١.

٨٠- المقريزي تقي الدين، "إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع"، تحقيق محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٩، الجزء الرابع.

٨١- المقريزي تقي الدين، "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"، الحواشي خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٨، الجزء ١.

٨٢- المقري التلمساني شهاب الدين أحمد بن محمد، " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب"، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت – لبنان، ١٩٩٧، ج ١.

٨٣- مكي أبو محمد، " الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه"، تحقيق بإشراف الشاهد البوشيخي، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ج ٦.

٨٤- المهلبي العزيزي الحسن بن أحمد، " الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك"، جمعه وعلق عليه تيسير خلف.

٨٥- ابن الموفق زين الدين أبو محمد بن عبد الرحمن، ابن الشيخ أبي الحرم مكّي بن عثمان الشارعي الشافعي، " مرشد الزوار إلى قبور الأبرار"، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

٨٦- النحاس أبو جعفر، "إعراب القرآن للنحاس"، تعليق عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، الجزء الرابع.

٨٧- ابن النديم، الفهرست، تعليق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٧.

٨٨- النويري شهاب الدين، "نهاية الأرب في فنون الأدب"، تحقيق يوسف الطويل وعلي محمد هاشم، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، الجزء ١٥.

٨٩- الهمداني أبو محمد الحسن، "صفة جزيرة العرب"، مطبعة بريل- ليدن، ١٨٨٤

٩٠- الواحدي أبو الحسن علي، "التفسير البسيط"، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الجزء الرابع عشر.

٩١- الواحدي أبو الحسن علي، "الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى.

٩٢- ابن الوردي سراج الدين، "خريدة العجائب وفريدة الغرائب"، تحقيق أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة –مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.

٩٣- ابن الوردي زين الدين، "تاريخ ابن الوردي"، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، الجزء ١.

٩٤- الهمداني أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، الأماكن، ما اتفق لفظه وافترق مسماه، تحقيق حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر.

٩٥- السمعاني عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، الأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، بيروت – لبنان، ج ٣.

٩٦- اللخمي ابن هشام، المدخل إلى تقويم اللسان، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣.

٩٧- المحاربي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ج ٣.

٩٨- الأصفهاني عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢.

٩٩- الصغاني الحسن بن محمد بن الحسن، التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق إبراهيم إسماعيل الأبياري، راجعه محمد خلف الله أحمد، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧١، ج ٢.

١٠٠- المراكشي عبد الواحد بن علي التميمي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦.

١٠١- ابن الأبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، تحفة القادم، تعليق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٨٦.

١٠٢- ابن الأبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة – لبنان، ١٩٩٥، ج ١.

١٠٣- ابن مماتي أسعد بن مهذب بن مينا بن زكريا، لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة، ص٧٧. جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف

١٠٤- ابن القفطي، المحمدون من الشعراء، تحقيق حسن معمري، دار اليمامة، ١٩٧٠

١٠٥- القفطي جمال الدين، أبو الحسن، علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢، ج ٢.

١٠٦- القرطبي أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٤، ج ١١.

١٠٧- الذهبي شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥، ج١٧.

١٠٨- ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ج ١.

١٠٩- المراكشي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي، السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ١٩٦٥، ج ١.

١١٠- المراكشي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١٢، ج ١.

١١١- اليونيني أبو الفتح موسى بن محمد، ذيل مرآة الزمان، وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢، ج ٤.

١١٢- الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، المستملح من كتاب التكملة، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.

١١٣- الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، معجم الشيوخ الكبير للذهبي، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، ج ٢.

١١٤- الغرناطي أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى، ج ١.

١١٥- ابن حيان الأندلسي محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، بعناية زهير جعيد، دار الفكر – بيروت، ٢٠٠٠، ج ٧.

١١٦- ابن ناصر الدين شمس الدين، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣، ج ٢.

١١٧- القلقشندي أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، ج ٥.

١١٨- الأبناسي برهان الدين أبو إسحاق، الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح، تحقيق صلاح فتحي هلل، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ج ٢.

١١٩- ابن الأحمر، النفحة النسرينية واللمحة المرينية.

١٢٠- البسيلي أبو العباس، نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، تحقيق محمد الطبراني، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ج ١.

١٢١- المقريزي تقي الدين، المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦، ج١.

١٢٢- الأبشيهي شهاب الدين محمد بن أحمد بن أبي الفتح، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: سعيد محمد اللحام، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى.

ثانيا: المراجع العربية والمترجمة

١٢٣- لوغوف جاك، "هل ولدت أوروبا في العصر الوسيط"، ترجمة محمد حناوي ويوسف نكادي، مطبعة مفكر، وجدة المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠١٥.

١٢٤- الميداني محمود عصام، خطوط الطول والعرض وقياس محيط الأرض في الجغرافيا العربية، دورية رسائل جغرافية، العدد ١٥٨، جامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، يوليوز ١٩٩٣.

١٢٥- نلينو كرلو، "علم الفلك: تاريخه عند العرب في القرون الوسطى"، روما، ١٩١١

ثالثا: المراجع باللغات الأجنبية

١٢٦- PORTEN BEZALEL, THE ELEPHANTINE PAPYRI IN ENGLISH, THREE MILLENNIA OF CROSS-CULTURAL CONTINUITY AND CHANGE, EJ.BRILL, LEIDEN 1996, P223

الفهرس



"هل وُلدت أوروبا في العصر الوسيط؟" سؤال أثاره المؤرخ الفرنسي جاك لوغوف، محاولاً الكشف عن اللحظة التي بدأت فيها أوروبا تشييد هويتها الثقافية والسياسية والجغرافية المستقلة، لكن، ماذا لو قلبنا العدسة واستعرضنا أوروبا الوسيطية كما رآها الجغرافيون والمؤرخون العرب والمسلمون؟ وكيف تشكلت أوروبا ككيان جغرافي وثقافي في المؤلفات العربية الإسلامية؟

يعيد هذا الكتاب مساءلة السرديات الجغرافية والتاريخية التقليدية، التي تقدم أوروبا ككيان موحد ومتجانس منذ بدايات التاريخ الوسيط، ويحاول تفكيك هذه الصورة وإعادة تركيبها كما وردت في المصادر العربية الإسلامية، متسائلاً عن مدى وجود "أوروبا" بصيغتها الحالية داخل هذه النصوص.

اعتمد الكتاب منهجًا يجمع بين التحليل التاريخي والمقاربة النقدية، مستنطقًا النصوص التراثية ومسائلا البديهيات الراسخة، عبر منهج تاريخي وصفي وتحليلي نقدي، لا يهدف إلى تقديم إجابات قاطعة، قدر هدفه طرح أسئلة تفتح آفاقا جديدة تسهم في إعادة تركيب السرديات التاريخية وتشكلها.

عبر رحلة تمتد على عشر قرون، منطلقا من صورة الأرض، وتطور الجغرافيا الإسلامية، وتشكل الشعوب، والمدن الأوروبية من يونان ومقدونية وأثينة والجزيرة الخضراء، إلى اللغة اللاتينية وحضورها في المصادر العربية، يعيد الكتاب مساءلة سرديات كبرى تتعلق بالجغرافيا واللغة والتاريخ.

هذا العمل موجّه للباحثين والمهتمين بالسرديات التاريخية والثقافية، ولكل قارئ يرغب في إعادة النظر في المفاهيم المتداولة حول الجغرافيا الأوروبية وتاريخها الوسيط، ولكل مهتم بذاكرة وتاريخ عادلين، في أفق الانتصار للهامش وتحرير قراءتنا للتاريخ، هي البداية فقط.